تريند

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 27872/ 2019

تصميم الغلاف : محمد عبد العاطي

الإخراج الداخلي : ضياء فريد.

المديـــر العـام : إيناس ناصر.

المدير التنفيذي : شادي أبو شهبة.

Logarithpublish@gmail.com

01281052824

تريند

رواية

محمد عبد العاطي

#-١

منشور على الفيس بوك:

@سارة ربيع:

نحن البشر كائنات ثرثارة. كلنا نريد أن نتكلم طوال الوقت، كلنا نعتقد أن لدينا ما نقوله ونظن أنه يستحق أن يسمعه الناس.. وللأسف أعطانا التطور العلمي فرصة لأن نتكلم.. نتكلم جميعا في نفس الوقت! من سيستمع إذن؟

على الأقل في هذا العالم الجديد صار كل واحد يكتب ما عنده والناس تقرأ على مهلها وتحكم.. هذه هي السوشيال ميديا!

لكن، عندما فعلنا هذا ظهر بوضوح أن كل ما كان لدينا ونريد أن نقوله ليس بهذه الأهمية حقا.. كله كلام فارغ.

لكن فئة من الناس بدأوا يكتبون كلاما مفيدا.. هؤلاء هم من يختار الناس القراءة لهم ومتابعتهم أكثر من غيرهم.. هؤلاء هم «المؤثرون» أو «الإنفلوينسرز». هؤلاء هم كتاب العصر الجديد، الذين تنتشر منشوراتهم انتشارا فيروسيا، وصار الناس يعرفونهم كأنهم شخصيات عامة.

أنا «إنفلوينسر». أنا واحدة من هؤلاء «المؤثرين» الجدد. لا أقول هذا لأتفاخر، فقط أريد أن أقول إنني لست كائنا فضائيا، أنا عادية تماما.. مشهورة قليلا، وأستمتع بهذا بالطبع، لكنني أعاني من ذلك، طوال الوقت يتهمني الناس بالغرور والتعالي، وطوال الوقت أنا متهمة ومطالبة بالدفاع عن نفسي. أي واحد في مكاني لن يستطيع ببساطة هكذا التعامل مع كل الناس والتعرف على كل الناس والرد على كل الناس، لأنه ببساطة إنسان ويومه ٢٤ ساعة فقط كأي شخص آخر!

أنا لست مغرورة والله، لكن لي حياة مثلكم تماما. ثم إنني بنت. أي إنني من النصف الأكثر انطوائية أصلا. صحيح أنا معروفة قليلا، لكنني - برغم ذلك - خجولة ومنطوية. ليس هذا غريبا والله.

معظم «المؤثرين» أو مشاهير السوشيال ميديا أشخاص معقدون منطوون غريبو الأطوار، أو كما يسمونهم في الغرب (nerds).. تعرفون هذا النوع، التلميذ المجتهد الذي يصفف شعره إلى الجانب ويجلس في الأمام ويحبه المدرسون، بينما يكرهه زملاؤه ويتحرش به الأقوياء منهم ويحيلون حياته جحيما.. كان هذا في الماضي. الآن هذا زمن المعقدين ال nerds. مارك زوكربيرغ معقد من هؤلاء، نجح في اختراع هذه اللعبة التي حولت العالم كله إلى جنة المعقدين، حيث التفوق لم يعد للأقوى أو الأجمل وإنما للأكثر هوسا وتعقيدا.. حتى وقت قريب كان المدونون ومرتادو المنتديات ومدمنو القراءة معقدين مهاويس، لكنهم سادوا الآن.. لقد انتصرنا.. أصبح من يقرأ «رائعا»، وصرتم جميعا مثلنا تستخدمون الوجوه التعبيرية.. لا يهم ما عندك من كاريزما، المهم كيف هي صفحتك؟ هل تكتب جيدا؟ هل كلماتك المكتوبة تأسرني؟ نحن نسيطر هنا يا قوم، لكننا ما زلنا منطوين، فاسمحوا لي بمساحة شخصية لو تكرمتم. شكرا لتفهمكم :)

تحديث: «منشورات فيروسية» + «إنفلوينسر»؟ هل تقصدين «أنفلوانزا»؟ هاهاها!

ها هي النكتة المحبوبة مثبتة في المنشور نفسه، ممكن نتجاوزها في التعليقات الآن؟ ابحثوا عن نكات مبتكرة أكثر من هذا يا شباب! يومكم جميل :)

***

محادثة خاصة على الفيس بوك:

@رامي خليل:

شكرا على قبول الإضافة يا عماد.

@عماد الصاوي:

عفوا!

@رامي خليل:

صحيح بالمناسبة، أنا لاحظت بالصدفة أنك صديق عند سارة ربيع. صحيح هذا؟

@عماد الصاوي:

نعم!

@رامي خليل:

ولاحظت أنها تعلق عندك وتعرفك شخصيا!

@عماد الصاوي:

صحيح!

@رامي خليل:

كيف يا صاحبي؟

@عماد الصاوي:

كيف ماذا؟

@رامي خليل:

كيف جعلتها تقبل إضافتك؟

@عماد الصاوي:

نحن معرفة قديمة.

@رامي خليل:

فعلا؟

@عماد الصاوي:

فعلا!

@رامي خليل:

أم أنك تقول هذا حتى لا أطلب منك أن تعرفني عليها؟

@عماد الصاوي:

لا، فعلا.

@رامي خليل:

طيب. ممكن أطلب منك خدمة؟

@عماد الصاوي:

؟

@رامي خليل:

عرفني عليها!

@عماد الصاوي:

آسف يا رامي، أنا كنت أقول هذا حتى لا تطلب مني أن أعرفك عليها.

***

محادثة خاصة على الفيس بوك:

@نسرين طه:

خائب جدا عماد هذا!

@شيماء حاتم:

عماد الصاوي؟ الموظف الجديد؟

@نسرين طه:

نعم. كلمني اليوم وكان غارقا في عرقه ولا يكاد ينطق جملة على بعضها.. كأنه لم ير بنتا حلوة من قبل!

@شيماء حاتم:

طول عمرك متواضعة!

@نسرين طه:

طبعا 😎

@شيماء حاتم:

تعرفي أن عماد الذي لا يعجبك هذا صاحب سارة ربيع؟

@نسرين طه:

سارة ربيع من؟ المشهورة على الفيس بوك؟

@شيماء حاتم:

هي بعينها!

@نسرين طه:

كيف؟ ما الذي جمع الشامي بالمغربي؟

@شيماء حاتم:

لا أعرف.

@نسرين طه:

ربما أضافها على الفيس بوك فقط؟

@شيماء حاتم:

لا، هي تعرفه فعلا وتعلق عنده.. رامي قال لي، وأنا رأيت تعليقاتها عنده.

@نسرين طه:

غريبة فعلا! فرق شاسع! سمعت أنها لا تدفع أبدا في أي مطعم أو فندق. يعطونها كل شيء بالمجان طلبا لرضاها!

@شيماء حاتم:

أو تجنبا لأذاها! هل عرفت ما فعلته بمطعم الوجبات السريعة في العباسية؟ الفرع أغلق تماما بسبب منشور واحد منها!

@نسرين طه:

آه! هكذا تختلف الأمور.. سأضيفه الآن!

ما هذا؟ يا بنت اللذين..! أنت أضفته بالفعل؟

@شيماء حاتم:

طبعا! وهل أنا خائبة مثلك؟ هذه أمور لا تفوتني 😜

***

محادثة خاصة على الفيس بوك:@نسرين طه:

عماد، أنت تعرف سارة ربيع؟

@عماد الصاوي:

نعم.

@نسرين طه:

غريبة!

@عماد الصاوي:

لماذا؟

@نسرين طه:

يعني.. هي مشهورة، فكيف تعرف واحدًا مثلك؟

@عماد الصاوي:

واحد مثلي ماذا؟ جربوع مثلا؟

@نسرين طه:

لا والله! لا أقصد.. كنت أسأل فقط عن علاقتك بها.

@عماد الصاوي:

هذه أمور شخصية يا آنسة!

***

منشور على الفيس بوك:

@عماد الصاوي:

«بعض الناس لا يستحيي عندما يختفي خلف لوحة المفاتيح.. بعض الناس يظن أن الكلام عبر لوحة المفاتيح يجعل العيب عاديا والممنوع متاحا.»

***

محادثة خاصة على الفيس بوك:

@نسرين طه:

كلمت عماد وسألته عن سارة!

@شيماء حاتم:

يا مجنونة!! وماذا قال؟

@نسرين طه:

تكلم بحساسية في الأول.. ولمّح لي أن بينهما علاقة قوية.

@شيماء حاتم:

قوية من أي نوع؟

@نسرين طه:

قوية يا بنتي، افهمي.. يعني صاحبته!

@شيماء حاتم:

😮

#٠

قال عماد للضابط:

ـ ما تهمتي بالضبط؟

قال الضابط بهذه الطريقة الودود التي تخيف أكثر مما تطمئن:

ـ أنت متهم بقتل سارة ربيع.. أو اختطافها! لا نعرف بالضبط لكنك ستخبرنا بنفسك. نعرف أنك تريد أن تتعاون معنا.. ستفعل طبعا، أليس كذلك؟

قال عماد:

ـ أتعاون نعم، لكن.. أنا لم أقتلها ولم أختطفها.

ـ أنت الوحيد الذي كنت على اتصال بها في الفترة الأخيرة، قبل اختفائها.. هي كتبت ذلك على حسابها على الفيس بوك، هل تنكر ذلك؟

ـ لا، لكن...

ـ ماذا تعرف عن سارة ربيع؟

ـ زميلة عمل.. كانت.

ـ هكذا؟ طيب، ماذا تعرف عن عصمت أبو رية.. صاحب السايبر في سمادون؟

امتقع وجه عماد لسماع الاسم وقال:

ـ عصمت؟

ـ أنت حكايتك كبيرة يا عماد! لن نتحدث الآن عن «الخلية» التي شكلتها في السايبر..

ـ خلية؟ يا نهار أسود!

ـ ... سنؤجل هذا لجلسة منفصلة.. دعنا نبدأ بهذه الفتاة، قصة حبك القديمة، أيام الثانوية.. عصمت قال إن اسمها كان.. (ثريا ربيع)؟

ـ عصمت قال هذا؟

ـ وبعدها سألك عنها فأخبرته أنها...

ـ ماتت.

...

ـ ماذا تعرف عن سارة يا عماد؟

ـ أعرف الكثير.

ـ إذن.. تفضل.. تكلم.

ـ كل شيء؟

ـ لو تكرمت!

ـ سأقول كل شيء بصراحة.. لكنني.. لا أجيد الاختصار.

مد الضابط ذراعه جانبا في الهواء، فتناول من أحدهم رزمة أوراق وقلمًا، وضعهما أمام عماد وقال آمرا:

ـ اكتب كل شيء. نحن لا نحب الاختصار!

#١

منشور على فيس بوك:

@سارة ربيع:

هذه لقطة لرسالة من صديقي وأخي العزيز عماد الصاوي. تأخرت في الرد عليه (ضاعت رسالته في الزحمة بصراحة)، وبدلا من أن يرسل لي ويذكرني - كأي إنسان طبيعي - كتب لي هذه العريضة. طبعا أنا أعرف أنه يمزح، لكنني قتلته بعدها، ولو كرر هذا سأقتله مرة أخرى!

#حتى_أصحابي_يا_ربي

صورة المنشور:

@عماد الصاوي:

يا ستي، يا أستاذة، يا معالي المشغولة، يا جناب المهمة.. لو تكرمتِ سعادتك ممكن تردي على رسالتي السابقة في غضون السنة الراهنة؟ أعرف أنني وأمثالي من العامة والدهماء لا نكف عن إزعاج فخامتك برسائلنا وطلباتنا التي لا تتوقف، لكن هذا قدرك، وربنا يعينك علينا، والله والموفق والمستعان.

***

في قاعة الاجتماعات بشركة الكمال للاستثمار العقاري، وقف عماد يغالب ارتباكه. كالعادة، ترتفع درجة حرارته (أم هي حرارة الغرفة؟) حين يكون في موقف كهذا، حبيبات العرق تنبت على جبينه وتتكاثر حتى تسيل كقطرات المطر على زجاج نافذة غرفته في الليالي المطيرة.

عماد - تصور هذا - يقدم عرضا تقديميا عن خطة عمل المشروع التسويقي الذي سيقوده بنفسه، أمام كل الموظفين والمديرين بل ورئيس وصاحب الشركة نفسها كمال العسال.

عندما استرسل في الكلام نسي نفسه وشعر أنهم اختفوا من حوله.. هم هناك حوله، لكنه يراهم أشباحا ضبابية.. سمع نفسه يقول:

- ... فإذا كان الهدف ثمينا ورفض طلب الصداقة، فعليك أن تضيف أصدقاء مقربين منه، حتى يزيد عدد الأصدقاء المشتركين، وهكذا تخدع الهدف وتصطاده.. ثم تستخدم هذا الزبون لاصطياد أهداف أثمن!

كان الصمت المطبق هو الذي نبهه إلى وجود شيء غريب.. حتما.

من يعرف عماد يفهم بالضبط حجم المأساة هنا. عماد لا يجيد فن الكلام.. ولا حتى الاستماع. هو إنسان طبيعي ذكي ماهر واسع الحيلة، ما دام بعيدا عن المواجهة مع بني البشر (الحيوانات لا تشكل له عقبة غالبا).. الآخرون حوله ينغصون حياته ويتسببون في ضخ الأدرينالين إلى دمه بكميات مزعجة، ناهيك عن متاعب القولون العصبي المعتادة، التي قد تضطره إلى القفز فجأة والعدو إلى الحمام في أي وقت وتحت أية ظروف.

لماذا إذن، والوضع هكذا، يقبل عماد تكليفا كهذا؟

الحق أن عماد حاول مخلصا أن يتملص من هذا الموقف من البداية، لكنه فشل. عماد موظف جديد في هذه الشركة، وقد جاء هنا

خصيصا ليعمل في قسم التسويق مسئولا عن صفحات الشركة على مواقع التواصل الاجتماعي. هذا ما أخبروه به، وهو كلام يُفهم منه، كما ترى، أن بالشركة قسما للتسويق. أليس كذلك؟ هذا أيضا ما فهمه عماد. ثم وجد أن كل ما في الأمر أن لديهم قسما عاما، يمكن تسميته بـ"العلاقات العامة"، وهذا يضم مدام (عُلا) مساعدة المدير - الرجل الثاني كما يطلقون عليها سرا - وهي امرأة خمسينية، لكنها رشيقة وأنيقة ومرحة وخفيفة الظل، فتعطي الانطباع بأنها أصغر سنا.. محبوبة حقا لكنها قوية الشخصية، وتدير كل شيء هنا بصرامة، حتى في وجود كمال العسال، ثم (جنة) السكرتيرة، وهي فتاة عشرينية محجبة غير مرتبطة، تجيد الإنجليزية أكثر من الخواجة (ترامب) نفسه - بافتراض أنه يجيد الإنجليزية طبعا - ولا أحد يفهم لماذا هي مستمرة في العمل هنا بمهاراتها هذه. والضلع الثالث هو (سلوى) موظفة الاستقبال التي لا يراها أحد لا تتكلم في التليفون. ترد على مكالمات العملاء طوال الوقت، وفي الوقت ذاته تلتقي بالعملاء الجدد الذين يزورون الشركة. وبرغم وجود هذا الفريق الثلاثي، فإن التسويق - كما رأى عماد - لم يكن حقا جزءا من عملهم، وإنما اقتصر على التواصل مع العملاء الحاليين أو السابقين، ومتابعة إجراءات التعاقد معهم، وربما إقناعهم بشراء عقارات جديدة. التسويق الحقيقي لم يتجاوز نشر إعلانات مدفوعة، مطبوعة أو لافتات في الشوارع أو في الصحف. ويبدو أنهم أدركوا مؤخرا أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في التسويق، فقرروا تعيين موظف يتولى هذه المهمة. كان هذا عندما جاء عماد يسأل عن وظيفة شاغرة، بوصفه خريجا جديدا، قالوا له إن لديهم عددا من الوظائف المتاحة، فسأل عنها واختار وظيفة التسويق ببساطة! لا أحد يعرف كيف علم بوجود وظائف شاغرة قبل أن يعلنوا عنها. وعندما سأله كمال العسال في المقابلة الشخصية عن ذلك قال إنها صدفة.. كان يطوف على الشركات القريبة منه.

- أنت تسكن في المعادي؟
- لا.. في السيدة زينب!

عماد كان يتمتع بالمواصفات المطلوبة بالضبط، في رأي مدام (علا).. قالت لكمال بك إن طراز عماد هذا - الذي لا تكاد تسمع له صوتا وهو يحدثك - عادة ما يكون ذا قدرات اجتماعية خارقة على الإنترنت، وهذا هو ما نحتاج إليه بالضبط. كمال العسال لم يستوعب هذا تماما، ولم يقتنع بعماد، لكنه ترك القرار لمدام (علا)، معلقا:

- قدرات اجتماعية على الإنترنت؟ عموما كلها شهران وسنرى ماذا نفعل به!

كان ينوي أن يعينه فترة من الوقت، حتى يملأ الصفحات ببعض المحتوى والصور، وبعدها يستغني عن خدماته، وتصبح الصفحات وقتها غير "خالية" كما يقولون الآن.. وهي على "النت" على كل حال، يراها العالم كله، وهو لا يريد من كل هذا العالم إلا بضع عشرات من العملاء.. خطة عبقرية محكمة! أخبرته مدام (علا) أن هذا كلام فارغ، ولا بد من "إدارة" الصفحات وتجديد المحتوى بشكل مستمر وإلا صارت بلا فائدة.. هكذا فهمت من ابنها، لكن هذا لم يغير من فكرة كمال العسال بخصوص عماد.

كما أن عماد سمع بقصة (رضا) فرّاش الشركة. قال له الزملاء هنا إنه - رضا - كان متخرجا من كلية التجارة، جاء ليعمل موظفا في الحسابات، وعمل فعلا لبعض الوقت، إلا أن كمال العسال قرر الاستغناء عنه، لأنه "ليس بالكفاءة المطلوبة". والكفاءة المطلوبة عند كمال بك هي أن تعمل كالحمار مكان اثنين من الموظفين على الأقل. وكانوا وقتها يحتاجون إلى اثنين من الموظفين في الحسابات، وأصر هو على أن يكتفوا بواحد ويحمِّلوه العمل المطلوب وعليه أن يجتهد ويؤدي المطلوب. وعندما قرر فصل "رضا" من العمل، ظل هذا الأخير يستعطفه لحاجته

للعمل.. فعرض عليه كمال وظيفة الفراش، وقبلها "رضا" مضطرا ومبتلعا إحساسه بالإهانة. الإهانة لن تطعم أهل بيته.

كان عماد إذن يعرف أن وجوده هنا مهدد.

في الأسابيع الأولى لعمله أبهرهم عماد بالنتائج التي حققها، وبأرقام متابعي الصفحات التي فاقت كل التوقعات. كان يكتب تقارير احترافية توضح ما يتم إنجازه أولا بأول وبالأرقام، ويرسلها بالبريد الإلكتروني لكمال بك ومدام (علا). التقارير ذاتها أثارت إعجاب كمال العسال أكثر من العمل نفسه، إلا أنها أثارت حنق الزملاء عليه، خاصة عندما عرضتها عليهم مدام (علا) في الاجتماع الأسبوعي، مطالبة إياهم بالاقتداء به وتقديم تقارير مماثلة! وأيد كمال بك كلامها، مؤكدا أن "هذا هو الشغل"!

لكن حتى هذه النتائج لم تكن كافية لتثبيت أقدام عماد في الشركة.. إلى أن بدأت النتائج تخرج من العالم الافتراضي وتظهر على أرض الواقع. تدريجيا، بدأت فئة جديدة من العملاء في الإقبال على الشركة: عملاء جاءوا من الإنترنت فقط. أسر وشباب مقبل على الزواج وباحثون عن شقق للسكن أو مكاتب للعمل، كلهم عرفوا بالشركة من مواقع التواصل الاجتماعي. في البداية لم يعط كمال بك أهمية للأمر، لكن عدد هؤلاء العملاء استمر في التزايد بشكل ملحوظ، حتى صارت (سلوى) و(جنة) ولأول مرة منذ إنشاء الشركة غير قادرتين على مقابلة العملاء الجدد والرد عليهم بمفردهما، وانضمت إليهما مدام (علا) بنفسها إلى حين إقناع كمال بك باستقدام موظفة جديدة. وعندما تخطت نسبة العملاء القادمين من الإنترنت نسبة القدامى الذين اعتادوا أن يأتوا بوسائل التسويق القديمة، أدرك كمال بك أخيرا أهمية الموضوع برمته.

أرسلت مدام (علا) في طلب عماد لاجتماع مهم مع كمال بك. ذهب عماد إلى الاجتماع متوترا. لماذا اجتماع؟ أليس البريد الإلكتروني بوسيلة فعالة ومريحة؟ إن أرادوا أن يفصلوه فليفعلوا ذلك برسالة إلكترونية وينتهي الأمر.

لكن الاجتماع - كما اتضح لعلاء - لم يكن لفصله من العمل. يومها دلف عماد إلى مكتب كمال بك وفي يده ملف أنيق مطبوع أعده بنفسه. كان كمال بك منهمكا في حديث مع مدام علا، التي التفتت إليه مبتسمة، وشرحت له بلهجة ودود:

- كمال بك معجب جدا بالنتائج الأخيرة لشغلك.

صمتت لتعطيه فرصة للتعليق فلم يرد. كان يتساءل في نفسه: "لماذا تعبر هي عن إعجاب كمال بك نيابة عنه وهو ملقى هناك على مقعده.. البك معاق اجتماعيا مثلي؟". قال هذا في عقله وليس بصوت مسموع.. لحسن الحظ. تابعت مدام علا:

- ... وعندنا لك تكليف بعمل أكبر.
- شكرا!

رد أحمق طبعا. الآن يعرف هذا، بعد أن سمعه من نفسه. كانت هذه ال "شكرا" لتصلح ردا على عبارتها السابقة، وليست هذه يا أحمق. لم تتوقف عند رده هذا على أي حال، وتابعت:

- شغلك عمل طفرة في أعداد العملاء. والمطلوب الآن زيادة هذا النمو. هل هذا ممكن؟

مد يده إليها بالملف الذي في يده. تناولته وألقت عليه نظرة وتساءلت:

- ما هذا؟ تقرير أسبوعي آخر؟
- لا، هذه هي الخطة.

ضحك كمال بك وقال وهو يتناول الملف منها:

ـ أي خطة يا حاج عماد؟ هل نحن في عصابة؟ هاهاها؟

ـ آه! البك هنا يتسم بالمرح وخفة الظل فيما يبدو!!

لم يرد عماد واكتفى بالإشارة إلى الملف كأن هذا هو رده الوحيد. ألقى كمال بك نظرة عابرة على الملف وأعاده إلى مدام علا ثم قال بجدية:

ـ عملك الحالي بالضبط هو ما نريد، لكن لو أصبح معك فريق من الموظفين هل تستطيع أن توزع عليهم الشغل وتتابعهم بحيث تضاعف النتيجة؟

اكتفى عماد بالإشارة إلى الملف الذي تحمله مدام علا وقال:

ـ بدون موظفين جدد.. نصف ساعة من كل موظف حالي في الشركة كفاية.

أومأت مدام علا برأسها إيجابا، وقد قرأت بعض تفاصيل الملف وقالت:

ـ صحيح! هي خطة عمل للتوسع! أنت كنت تعرف سبب اجتماعنا؟

ـ لا. لكن هذا هو الطريق الطبيعي للنمو.

أفلتت من كمال بك نظرة إعجاب لأول مرة، واحتفظ بالملف.

بعد الاجتماع أرسلت له مدام علا رسالة بالبريد الإلكتروني، تكلّفه بالإعداد لتنفيذ الخطة وتوزيع المهام على الموظفين وشرحه لهم في عرض تقديمي في الاجتماع الأسبوعي التالي.

قرأ عماد الرسالة، وأعاد قراءتها أكثر من مرة بحثا عن مخرج من ورطة «العرض التقديمي» هذه. انتظر حتى حانت الاستراحة ووقف يترصّد مدام علا. وقف مرتبكا شاردا في المطبخ يحاول استيعاب ما حدث. هل سيستطيع حقا؟ راح يعد لنفسه فنجان قهوة، وقف يراقب

"الكنكة" على النار ويتمتم لنفسه: "ربنا يستر"!

ربتت يد على كتفه. التفت فوجده (رضا).

ـ تفضل أنت يا أستاذ عماد، وسأحضرها لك على مكتبك.

ـ شكرا يا رضا.. أنا أحب عمل قهوتي بنفسي.

قال رضا بعد لحظات، وكأنه قد قرأ أفكاره:

ـ لا تقلق يا أستاذ عماد. كله خير.

ـ ماذا؟

ـ الشغل الكثير والمزيد من الشغل علامة خير هنا.. يعني أنهم صاروا يحتاجون لك..

ـ صحيح؟

ـ ارم تكالك على الله.

ـ ونعم بالله.

ـ صحيح، كان عندي بعض الأسئلة في الإكسيل.. ممكن أمر عليك في المكتب تشرحها لي بسرعة؟ مطلوب مني تقفيل بعض الملفات هنا وعندي بعض المشكلات فيها..

ـ يكلفونك بشغل على الإكسيل؟ فعلا؟

ـ نعم.. بتعليمات سرية من «القرش».. توفير عمالة كما يقول الكتاب!

ـ القرش؟

ضحك رضا وقال بصوت خفيض بعد أن تلفت حوله:

ـ هذا هو الاسم الحركي لكمال العسال، لأنه يموت على القرش!

ـ لكن.. أنت لست مضطرا للقيام بهذا العمل.

هز رضا كتفيه بلامبالاة وقال:

ـ طبعا لست مضطرا، لكنني أريد هذا.. تدريب مجاني، إلى أن أعثر على فرصة عمل حقيقية بعيدا عن وجه القرش!

وتلفت حوله من جديد، ثم اقترب من عماد وهو يهمس:

ـ أقول لك سرًا؟ هل لاحظت إصبعه؟ سبابته المقطوعة؟

ـ نعم.

ـ يقولون إنه قطعها بنفسه!

تقلص وجه عماد في ألم لمجرد تصور الفكرة، وقال مستنكرا:

ـ لماذا؟

ـ ليهرب من التجنيد طبعا.. كان هذا شائعا في الماضي!

في هذه اللحظة لمح عماد مدام علا في الممر، فاستأذن رضا وأسرع نحوها وأوقفها، ثم تلعثم وتردد ولم يقل شيئا. لاحظت تردده فقالت بود:

ـ خير يا عماد. هل تريد شيئا؟

ـ ممكن شرح خطة العمل وتوزيع المهام يكون على «الإيميل»؟

دققت في وجهه بإمعان، فلم تعثر على أثر للمزاح، فأطلقت ضحكة عالية وقالت:

ـ هذه هي مشكلتك؟ يا سيدي لا تخف.. لا أحد سيأكلك!

لم يضحك. وتجهم وجهه أكثر. لا أمل إذن.

ربتت على كتفه بود، وقالت:

ـ أنا أشعر بك. كنت مثلك يوما!

قال غير مصدق:

ـ أنتِ؟

ضحكت وقالت:

ـ نعم.. أعني منذ سنين طويلة. هذا طبيعي.. كل الناس يخشون التحدث أمام المجموعات.. تخشى من التلعثم، من الخطأ، من السخرية..

ارتجف.. أهذه طريقتها في طمأنتك؟ كلامها هذا فيلم رعب!

تابعت:

ـ لكنك تستطيع تجاوزه.. الموضوع بسيط.

ـ كيف؟

ـ لتستطيع التحدث أمام مجموعة، تحدث أمام مجموعة!

ـ فعلا؟!

ـ آه والله. هي مجرد مهارة تحتاج للتدريب والممارسة كأي شيء آخر.. تذكر فقط أنهم مثلك، لا عباقرة هنا.. في الحقيقة، في هذا العرض الذي ستقدمه تحديدا، أنت أكثرنا فهما له.. فلا داعي للقلق إطلاقا.

ـ هذا لا يساعد كثيرا..

ـ يابني اسمع كلامي وضع نفسك في التجربة.. إنه مثل.. مثل السباحة.. اترك نفسك للماء ولسوف تطفو.. هل تجيد السباحة؟

ـ لا طبعا.. هذه أسوأ!

ـ إذن.. سأقول لك فكرة. جهز عرضك كله في ملف «باور بوينت»، واطبعه، ثم اقرأ من الورق وأنت تعرضه. والآن هلا تركتني لآكل شيئا..؟

ـ طبعا طبعا.. أنا آسف!

كانت فكرة عبقرية على بساطتها.

وبرغم ذلك، وقف عماد في بداية الاجتماع مرتبكا غارقا في العرق، لا يعرف كيف يبدأ.

بادرت مدام علا بالتقديم للموضوع وإعطاء خلفية عن الفكرة، ثم تركته يشرح تفاصيل العمل كما كتبها. لدهشته بدأ صوته يعلو ويكتسب نبرة ثقة. كان من المريح أنه لا يعاني مشكلة في صياغة الكلام أو في نسيان الأفكار، فكل شيء مكتوب هنا. يزداد إحساسه بالثقة، وتبدأ الأفكار في الانسياب من عقله بسلاسة. إلى أن نسي نفسه وسمع نفسه يقول:

- ... فإذا كان الهدف ثمينا ورفض طلب الصداقة، فعليك أن تضيف أصدقاء مقربين منه، حتى يزيد عدد الأصدقاء المشتركين، وهكذا تخدع الهدف وتصطاده.. ثم تستخدم هذا الزبون لاصطياد أهداف أثمن!

ووجد نفسه وسط هذا الصمت المطبق.

انزاح عنه الحاجز الضبابي واستعادت عيناه التفاصيل، بينما تدخل كمال العسال، وقال مازحا:

- ماذا تقول يا عماد؟ ننصب على الناس؟ نخدع عقولهم..؟
- آ.. لا أقصد ننصب طبعا.. التعبيرات تخونني، لكن.. أنتم تفهمون ما أعنيه.. صحيح؟

قالت مدام علا بلباقة، وسط ضحكات مكتومة بدأت تفلت من الحاضرين:

- لكن.. لا نريد أن نقول هذا يا عماد. لا يجب.

قال في حيرة:

- ولكننا نريد أن نفعل هذا.. هذه هي الحقيقة!

- ليس هكذا يا أخي.. اخدعنا!
- لكن.. نحن نريد أن نخدعهم هم!

انفجر كمال العسال ضاحكا، فأطلق الباقون العنان لضحكاتهم المكتومة، بينما وقف عماد هناك أمامهم يفتش في أرضية القاعة عن أية حفرة قد تصلح لأن يدفن نفسه فيها. استمرت نوبة الضحك، وطعّمها بعضهم بتعليقات ساخرة زادات الأمر طرافة لهم، وزادت نسبة اللون الأحمر الطافح في وجهه.

نهض كمال العسال في النهاية، وتنحنح منهيا هستيريا الضحك هذه قائلا:

- مضحك فعلا عماد هذا.. مضحك!

وأطلق ضحكة أخرى قبل أن ينصرف، وتبعته مدام علا، بينما تجمد عماد في مكانه لا يدري بالضبط معنى ما حدث هذا. مضحك بالمعنى الإيجابي للكلمة؟ أم مضحك كالمهرج فلا يؤخذ بجدية؟

أمور كهذه قد تكون واضحة لهم، هم الجالسين على الجانب الآخر من المدفع، في موقع المشاهد.. لكن أنّى لك يا عماد وأنت أمام الفوهة أن تدرك هذا؟ أنّى لك بصديق يفسر لك معنى الكلام وما خفي بين سطوره؟ مدام علا قد تخبرك، لكن هل لديك الشجاعة الكافية لسؤالها؟ ليس أمامك فيما يبدو إلا أن تنتظر، ولسوف تبدي لك الأيام ما كنت جاهلا.

نهضوا جميعا وتزاحموا للخروج خلف مدام علا، بينما أوقفت إحداهن عماد قبل أن ينصرف، وبادرته كأنهما صديقين حميمين:

- عماد عماد.. انتظر!

التفت إليها متسائلا، فقالت مبتسمة:

- كل هذا يأتي منك أنت! أحييك والله!
- إحم.. شكرا يا شيماء.

ـ لي عندك طلب.. ممكن؟

ـ تفضلي؟

ـ ممكن تشرح لي على انفراد ما المطلوب مني؟ أعرف أنك شرحته في الاجتماع، لكن.. أنا أحتاج درس خصوصي! بصراحة لم أفهم شيئا، وخفت أتكلم في الاجتماع حتى لا أبدو كالحمارة.. ممكن؟

ـ ممكن طبعا، لا مشكلة.

ـ قل لي صحيح، أنت فعلا تعرف سارة ربيع؟

#٢

بعد أسبوع عمل طويل تجد نفسك في ليلة الخميس تبحث تلقائيا عن صحبة آدمية تثرثر معها في الفراغ عن اللاشيء. هكذا فكر عماد وهو ينزل من المترو في محطة السيدة زينب. انسل إلى مدخل العمارة فهبت رائحة العطن الأبدية تزكم أنفه، وصعد درجات السلم العتيق المتكسر حتى الدور السابع والأخير. أرخص سكن يمكن العثور عليها هنا.

دلف إلى الشقة ليجد زملاء السكن قد اجتمعوا بالفعل. بدأت سهرة الخميس مبكرا هذه المرة. يتبادلون قضاء هذه الليلة بين المقهى المعتاد في شارع بورسعيد، وبين المكوث هنا في الشقة على سبيل توفير حساب المشاريب في المقهى.

ما كان عماد صديق أحدهم المفضل، وما كانوا له كذلك. لكنه كان اليوم بحاجة إلى صحبة ينسى معها أفكاره المرتبكة، وهواجسه القلقة حول مستقبله في العمل.

كان ثلاثتهم يجلسون في نهاية الصالة بالقرب من باب البلكونة، حول طاولة بلاستيكية يلعبون الدومينو. المكان قذر تسوده الفوضى، صينية عليها أطباق متسخة وبقايا طعام لم يرفعها أحد، وأكواب شاي فارغة في كل مكان، وأريكة عليها بطانية غير مرتبة، وتليفزيون عتيق على طاولة خشبية حركوه جانبا ليفسحوا مكانا لجلستهم هذه.. مطفآت سجائر

تفيض عن آخرها بالأعقاب والرماد المتطاير، وشيشة يدخنها الجالس بجوار البلكونة، على سبيل التهوية.

أومأ لهم عماد برأسه في صمت على سبيل التحية ثم جذب كرسيا وجلس.

قال له تامر:

ـ تدخل جمعية يا عماد؟

رد فورا بدون تفكير:

ـ لا، شكرا.

قال تامر ساخرا، وشاخرا وهو ينفث أدخنة الحشيش:

ـ طبعا.. من أسأل؟ شحاذ.. يدخل جمعية؟

تأمله عماد بمقت، ببشرته الناعمة الصفراء ذات النمش وشعره البرتقالي الباهت، وجسده الضخم مفتول العضلات، ثم أسوأ ما فيه: فمه المعوج دوما من ركنه الأيمن، في وضع استعداد دائم للشخر. تامر كان يشخر بانتظام بين كل ثلاث جمل ينطقها، فهذا يعطيه رهبة ويخيف الآخرين منه، مما يعطيه الفرصة للتنمر والضحك عليهم.

كان عماد هو آخر من سكن معهم في هذه الشقة. كان قد بدأ الدراسة متأخرا بسبب ملفه الذي أرسله مكتب التنسيق إلى جامعة المنوفية، وإجراءات التحويل إلى جامعة القاهرة التي تأخرت. والنتيجة أنه لم يلحق بالمدينة الجامعية وراح يبحث عن سكن مشترك. بحث في المناطق المحيطة بالجامعة فوجد الأسعار كلها جنونية، على الأقل بالنسبة لميزانيته الضحلة. وعندما اتصل بأمه أصرت على أن يتصل بتامر توفيق، الذي يدرس في القاهرة بالفعل منذ العام الماضي، وأملته رقمه الذي أخذته بالفعل من أم تامر "كتر خيرها" التي أكدت أن عيونها وعيون ابنها لهم بالتأكيد.

عماد لم يكن على اتصال بتامر هذا، في الواقع هو لم يره منذ انتقل إلى المدرسة الثانوية، برغم أنهما ابنا بلدة واحدة. وقبلها، في سنوات الدراسة الإعدادية الثلاثة كانت علاقتهما تقتصر على هوايات تامر المعتادة التي كان يمارسها ضد قطط الفصل الشيرازية الصموت، ونال عماد منه القليل، بوصفه واحدا من هذه القطط: إسقاط بنطلونه فجأة وسط الفناء في الفسحة، سرقة أشعاره وخواطره العاطفية التي كتبها عن (رباب) جميلة جميلات مدرسة البنات الثانوية المجاورة، ولصقها بتوقيع عماد على السبورة قبل ثوان من دخول الأستاذ سمير أبو جبل، مدرس الجغرافيا المرعب شخصيا إلى حصته، وبالطبع اكتشافه الخطير لاسم أم عماد وفضحه له أمام الجميع حتى أصبح اسمه الحركي في المدرسة كلها "ابن عوالي"!

لذا فلم يكن عماد يعتبر علاقته بتامر علاقة صداقة وثيقة، وبالتأكيد لم يكن ليتصل به طالبا مساعدته إلا في حالة "الشديد القوي" من الأزمات. وهذا ما حدث للأسف. وما أشد أو أقوى من هذا؟ تقطعت به السبل في القاهرة.. كل السماسرة الذين قابلهم والشقق فوق ميزانيته الضحلة أصلا.. الشمس غربت واليوم شارف على الانتهاء، وهو قد أتى بحقيبة ملابسه وزاد من الطعام أعدته له أمه ليكفيه أسبوعا، ووقف ينوء بحمله لا يجد له مستقرا.. سيفسد الطعام ولن يجد له مكان للمبيت.

لوكاندة؟ غالية. هل يعود للبلد يجر أذيال الخيبة ويضيع أسبوعا آخر - أو أكثر - من الدراسة؟

كان ليعود، لكن ماذا سيقول لأمه؟

لو عاد فلسوف تتصل هي بأم تامر أو بتامر نفسه وترتب معه الأمر. هو في غنى عن هذا بالتأكيد. تامر عرف اسمها فقط فوصمه به ثلاث سنين، فماذا لو رآها هي شخصيا؟

استسلم في النهاية واتصل به. عرفه بنفسه باختصار:

ـ أنا عماد الصاوي، بلدياتك من سمادون.. والدتي أخذت رقمك من الحاجة والدتك..

ـ ها.. انجز؟

أثلج صدر عماد أنه لم يتذكره أصلا، قال بسرعة:

ـ سكن.. أبحث عن سكن رخيص قريب من جامعة القاهرة. سأدرس هناك هذا العام و...

ـ موجود!

ـ نعم؟

ـ طلبك موجود.. عندنا غرفة هنا في شقتنا بالسيدة.

ـ وأين السيدة؟ قريبة من جامعة القاهرة.

ـ فركة كعب!

عندما التقاه تامر في الشقة رمقه بابتسامة غامضة. لم يفهم عماد إن كان قد تذكره أم لا.. ربما لا.. كان لتامر عشرات الضحايا أيام المدرسة، لعله نسي.

ـ الحاجة أوصتني عليك كثيرا. والدتك صاحبتها الروح بالروح.

ـ صحيح.

ـ وأنا لا أحتاج توصية أصلا.. بلدياتي ومن واجبي أخدمك.

ـ تُشكر.

ـ تعال نرى الغرفة.. هي غرفة مشتركة، ليست ممتازة لكن تفي بالغرض.. ادخل باليمين!

لم تكن غرفة في الواقع، هي ثلث غرفة تامر، فصلها تامر بستارة.

ـ نصيبك من الإيجار ٣٠٠ جنيه.. مقدم.

ردد عماد مستكثرا المبلغ:

- ٣٠٠ جنيه؟

أضاف تامر بسرعة:

- هذا نصف الإيجار، بعدل ربنا. وأنت عندك سرير وباب مستقل وترابيزة محترمة وكرسي.. والحمام والمطبخ مشتركين للشقة كلها.

أطرق عماد مفكرا، فألح تامر:

- لاحظ أنك متأخر وهذه فرصة.. وربنا المعبود، وحياة الأخوة، اليوم طلبها مني زميل دمياطي في كلية هندسة، لكن أنا قلت ابن بلدي أولى بها!

ألاعيب التجار والباعة هذه التي يغلبونك بها، وتقبل في النهاية وأنت تعرف في قرارة نفسك أنك حمار، لكنك تقبل التعاون معهم في خداع نفسك واعتبار أنك اقتنصت الصفقة الرابحة. وافق عماد ودفع الإيجار لتامر وأخرج حاجياته. فتح سبت الطعام الذي أعدته أمه له، وأخرج الفطير والجبن والدجاجة التي قد تفسد لو بقيت هكذا بينما تامر ما زال واقفا كالكلب البلدي الفضولي يتشمم.

- توجد ثلاجة هنا؟

أشار تامر بكامل ذراعه إلى الصالة وقال دون أن يرفع عينيه عن الدجاجة:

- هناك.. ضع طعامك في رف خاص بك، ولا تقلق.. عندنا هنا احترام للملكية.

لكنه عندما عاد من يومه الأول في الجامعة وهو يخطط لالتهام ربع الدجاجة فقط لم يجدها في الثلاجة طبعا. كان مكانها في الثلاجة خاليا، وكان تامر متمددا على الأريكة في الصالة يربت على كرشه في استرخاء

ويسلك أسنانه بعود كبريت ويدخن سيجارة حشيش منتفخة باستمتاع شديد. المشهد يشرح نفسه. لو أنه كتب على جبهته "أنا أكلت الدجاجة" لما كان أكثر وضوحا من هذا.

صاح عماد متسائلا باستنكار:

- أين طعامي؟

لم يتزحزح تامر من مكانه. قال ببرود وتحد:

- لا أعرف!

هتف عماد بغضب:

- أنت.. أنت أكلتها!

رفع تامر حاجبيه متصنعا الدهشة، ونهض بتثاقل.. اقترب من وجه عماد بوجهه حتى كاد يلصق أنفه بأنفه.. هل تعرف طريقة البلطجية المميزة هذه؟ هذه الطريقة تخيف. وجهه يحتل الكادر بالكامل، وكيانه الكريه يخترق محيط خصوصيتك الذي لا تحب أن يخترقه أحد، فتنطلق أجهزتك الدفاعية ويفور الأدريالين ويتقلص القولون وينعقد لسانك. اللون الأحمر على وجهك يخبره بنجاح المهمة. يعود لأريكته ويسترخي من جديد. في هذه المواقف تترحم على الدجاجة الفقيدة وتواجه مصيرك.

اعتاد عماد المحافظة على أشيائه. لا خصوصية ولا احترام للملكية هنا، هذه أسطورة يخدع بها تامر السذج القادمين حديثا.

لكن الأمور دائما تتحسن مع الوقت. تعرف عماد على (سامي) و(فوزي) رفيقي سكنه الآخَرين. ارتاح لسامي أكثر.. في البداية على الأقل، عندما روى له ضاحكا أن تامرا أوقعه في الفخ ذاته عندما سكن هنا للمرة الأولى.

فوزي كان أبله نوعا، فلم يجد مجالا للكلام معه، ولا كان راغبا في ذلك على كل حال.

لكن عماد عرف من سامي، في الشهر التالي، وفي موعد دفع الإيجار أن إيجار الغرفة الواحدة ٣٠٠ جنيه فقط!

ـ الوغد!

تامر استغله وخدعه وأجّر له ركنا صغيرا في غرفته مقابل إيجار غرفته كاملا.

قال له سامي مشفقا:

ـ كنت أظنك تعرف.. قال إنكما بلديات واتفقتما على هذا مؤقتا.

ـ مؤقتا؟

ـ بعد شهرين فوزي سينتقل لشقة أخرى مع بعض أقاربه.

ـ لكن هذه سرقة!

ـ عوضك على الله!

في هذه المواقف تبتلع الإهانة وتواجه مصيرك.

تحمل عماد. تحمل شهرين آخرين في غرفة واحدة معه. وعندما طلب منه تامر الإيجار دفعه، وتحمل مصيره.

عندما يحصل على غرفته الخاصة أخيرا سيقطع علاقته بهذا الحيوان.

أفاق عماد من ذكرياته، وتجاهل عبارة تامر، التي نسيها أصلا، وقال لهم:

ـ من يلعب شطرنج؟

كل هذا من الماضي.. الآن أمامه ليلة من الثرثرة في الفراغ، حتى ولو مع تامر الوغد. رد تامر بركن فمه المعوج:

ـ شطرنج؟ الشطرنج هذا لعبة العيال الطرية من أمثالك.

قال سامي:

ـ نلعب استيميشن! ما رأيك يا صَاوْصَاوْ؟ تلعب؟

"صاو صاو" هو عماد الصاوي طبعا. إستيميشن؟ هذه جلسة لن تقل عن ساعة ونصف.. سيجلس معهم ولن يفارقه شعوره بالوحدة.. لا بد أنه يتجه للجنون فعلا، لأنه قال:

ـ قشطة!

ـ قشطة تزوجت!

ـ وخلفت زبدة!

ـ اخرس يابن البقرة أنت وهو!

ياللملل! حتى حواراتهم ودعاباتهم مكررة ومستهلكة.

تولى تامر تسطير الورقة، وكتابة الأسماء، ووضع الورقة بجانبه ليكتب النتائج، بينما وزع فوزي الورق. تناول عماد ورقه ورتبه، ثم تساءل وكأنه يفكر بصوت عال:

ـ القلب الأسود أعلى لون ثم القلب الأحمر.. ثم...

انفجر تامر ضاحكا، وقال ساخرا:

ـ قلب أسود وقلب أحمر؟ أنت ستتعلم الآن؟

وضع عماد الورق على الطاولة وقال ببساطة:

ـ نعم. هكذا ألعب.. لو عندكم اعتراض ممكن أنسحب.

تدخل سامي قائلا:

ـ لا يا زميلي، لا مشكلة.. العب براحتك.. كلنا تعلمنا هكذا يا تامر.

تناول الورق من جديد.. ورق ضعيف نسبيا، بالكاد ٤ لمات.. لا داعي لدخول المزاد إذن، لن يأخذ منه إلا انكشاف ورقه. الفكرة هنا أن اللاعب عليه أن يطلب عدد اللمات التي "يتوقع" الحصول عليها. لو نجح

في تحقيق توقع يكسب، ولو اختلف عددها بالزيادة أو النقصان يخسر.

ستحوذ تامر على المزاد، وعليه صار القاطوع هو القلب الأسود. "القاطوع" هو سيد الجولة، هو اللون الذي يعلو أي لون آخر، بشرط ألا ترميه إلا إذا استنفدت كروتك من اللون الموجود على الأرض. همك الأول هنا أن تعرف عدد القواطيع الموجودة وتحصي ما نزل منها بالفعل لتعرف ما يحمله خصومك في الرميات الأخيرة الحاسمة.

لكن أن تكون مثل عماد، تحصي تلقائيا كل الكروت ال٥٢ وكل الألوان، فهذه نقطة تفوق تمكنك من أن تقرر من يكسب ومن يخسر. هكذا راح يوزع المكسب والخسارة.

هو يجيد الفوز، يجيد التفوق عليهم، لكنه لم يختر الفوز هذه المرة، لا يريد أن ينتهي الأمر ككل مرة إلى الصدام. ظل محافظا على المركز الثاني، دافعا بفوزي إلى القمة. فوزي الذي لا يكسب أبدا والذي لم يكن ليجيد اللعبة إلا بالممارسة ولعب المئات والمئات من الأدوار التي يخسر معظمها. تركه عماد يفوز، يليه هو ثم سامي وقبع تامر في الحضيض موصوما بلقب «الكوز» لا يجرؤ على التفوه بكلمة.

تقترب «البولة» من نهايتها. دور حاسم. ركز عماد في حساب أوراقه. ورق جيد قد يعطيه المزاد، لكنه لا يؤهله إلى الثمانية السحرية. الثمانية تعطيك فوزا مضاعفا وخسارة مضاعفة كذلك. طلب تامر ثمانية. طلب غريب. مع الورق العالي عند عماد من الصعب أن تجد آخر لديه ورقا عاليا مثله. يدور اللعب ويفهم عماد متأخرا. يخسر الجميع، وبالتالي يُعاد الدور مع مضاعفة نقاط الدور التالي أيا كانت، بالمكسب والخسارة. كانت مناورة من تامر للحصول على فرصة أخيرة لتعويض الخسارة.

علت ضحكات تامر الظافرة، بينما أمعن عماد في التركيز هذه المرة. يستطيع حساب أوراقهم تقريبيا من طلباتهم في المزاد، ومن رمياتهم الأولى. طال المزاد وانتهى عند تامر الذي ارتفع به حتى طلب

ثمانية من جديد. لماذا يبتسمون ويكتمون الضحكات؟ تفحص عماد وجوههم في ريبة:

ـ ماذا هناك؟

ـ لا شيء، العب!

دار اللعب.. كل الخيوط في يد تامر.. ثمانية مضمونة الفوز فيما يبدو.. لا شيء بيد عماد يمكنه تغيير النتيجة. انتهت الجولة وفاز بها تامر بنقاط مضاعفة، وكسب الجولة و«البولة» بالكامل. راح سامي يدون النقاط وهو يكتم الضحك، وألقى تامر بالأوراق على الطاولة وسقط على الأرض ضاحكا بهستيريا.. وانفجر سامي وفوزي معه معه ضاحكين، بينما عماد يدير عينيه بينهم بعدم فهم. علام يضحكون؟

ظل متجمدا مكانه منتظرا تفسيرا، حتى قال فوزي مغالبا ضحكاته:

ـ تبادلنا الأوراق تحت الترابيزة. أعطيناه الثمانية!

لم يفهم. لماذا؟ هذه لعبة. في اللعبة تحاول أن تكسب. لماذا تفسدها؟

ـ لكن.. هكذا أنت لم تكسب!

تعالت ضحكات تامر أكثر كأن هذا بالضبط ما كان يسعى إليه. تقافز كالقرد وهو يهتف مشيرا لعماد:

ـ بل كسبت.. يا خرووووف!

***

دخل غرفته غير فاهم لما حدث. فقط يتلقى درسه القديم مرة أخرى: الاختلاط بهم غير مأمون.

كنت لتقضي ليلتك في غرفتك وعالمك الخاص سعيدا مزهوا بانتصارك الصغير. لماذا الغرور والإصرار على فتوحات في منطقة ليست منطقتك؟

فتح حاسبه المحمول.. هذه منطقته التي يرتاح فيها.. هنا يفهم القواعد ويجيد التلاعب بها.. سترى يا تامر الوغد!

فتح متصفح البصلة (تور) وضغط زر الاتصال. من هنا يدخل الجزء المظلم في الإنترنت. هنا يعيش حياة ثانية. نسخ اسم موقع طويل من ملف نصي ولصقه في شريط عنوان الموقع، فانفتحت صفحة منتدى بسيط الشكل، نصوصه كلها خضراء على خلفية سوداء، يعلوها اسم الموقع بالإنجليزية (الجحيم). سجل الدخول باسم (آلان سوبرانو). هنا عماد اسمه (آلان سوبرانو). هنا يلتقي بأصحاب مقربين ثقات لم ير أحدهم من قبل ولا يعرف اسمه الحقيقي. هنا أصدقاء افتراضيون، لكنهم حقيقيون أكثر من كثيرين غيرهم.

عماد ماهر تقنيا، لكنه هنا يجد المشورة من «خبراء» حقيقيين في الأمور المعقدة حقا.. الأمور التي تفوق بالتأكيد تثبيت الويندوز أو تعريف الطابعة.

هنا كتب (آلان سوبرانو):

«هولا!

أصدقائي العباقرة من مشارق الأرض ومغاربها. سؤال قد يبدو بسيطا ساذجا لمعظمكم: كيف تخترق جهازا شخصيا معك على الشبكة نفسها (يستخدم الراوتر ذاته)، إذا كان هذا الجهاز بإعدادات الحماية الافتراضية للويندوز؟ معي كلمة مرور الراوتر!»

ظهر الرد الأول بسرعة بمجرد تحديث الصفحة، من عضو باسم (زيروكود):

«سؤال ساذج فعلا يا آلان.. ليس لصعوبته! فقط لو بحثت في أرشيف المنتدى لوجدت موضوعا كاملا يشرح ذلك **في هذا الرابط**.. ركز.. دائما أقول لك ركززززز!».

#٣

عماد لا يعرف الكثر عن القرصنة الإلكترونية، لكنه يجيد اتباع الوصفات وتطبيقها خطوة بخطوة، وأصدقاؤه في منتدى (الجحيم) بارعون في توفير هذه الوصفات. أنت لا تحتاج إلى حفظ أسطر الأوامر المعقدة إذا كان يمكنك نسخها ببساطة. لست بحاجة لفهم كل شيء في إعدادات الشبكة لتخترق جهازا عاريا، إذا كنت تفهم ببساطة كيف يبدو رقم «آي بي» الجهاز المستهدف. ما الصعب في أن تنسخ هذا الرقم وتلصقه وسط أوامر الوصفة السحرية للاختراق في الموضع الذي يقول «الصق هنا عنوان الآي بي»؟ إذا كنت تفهم الإنجليزية، فما الصعوبة في ذلك؟

الراوتر المشترك يعني مشاركة البيانات بدون تشفير، إلا إذا كنت حريصا على حماية جهازك وبياناتك بشكل خاص، ولا أحد هنا يفعل ذلك.. بالتأكيد ليس تامر.

يتّبع عماد الخطوات بدقة. يبحث عن الأجهزة المتصلة بالشبكة.. تامر يترك جهازه مفتوحا معظم الوقت، لتحميل الأفلام ببرامج التورنت. وجد الجهاز على الشبكة باسم «تيتو». ينسخ أسطر الأوامر واحدا بعد الآخر ويعدلها لتناسب اسم الجهاز، ويستكمل خطوات الاتصال الخفي بالجهاز، حتى تظهر الرسالة الخضراء «تم الاتصال». وعندها ينفتح أمامه

جهاز تامر ك.. كجهاز كمبيوتر مفتوح. صار بداخل جهاز كمبيوتر تامر توفيق، يتجول فيه ويتصفح ملفاته كافة كيفما شاء. ما الصعوبة هنا في أن يتوغل فيها بحثا عن فضيحة؟

الوقت. فقط يحتاج إلى بعض الوقت. ينقب في إعدادات المتصفح بحثا عن كلمات المرور لحساباته. الفيس بوك والبريد الإلكتروني. هذا أحمق آخر يستخدم كلمة مرور واحدة لكل حساباته! يدخل إلى حساباته واحدا بعد الآخر باستمتاع حقيقي.. هنا يرى حقيقته وأسراره.. يراه عاريا.. البريد الإلكتروني لا يستخدمه إلا في مراسلة جهات عمل بسيرة ذاتية وضيعة. رسائل الفيسبوك تحتاج إلى أسبوع لقرائتها..

يتصفح المحادثات.. عشرات المحادثات مع عشرات الفتيات.. يفتح محادثة فيجد الصور التي تبادلها مع الفتاة.. صورتها بالحجاب، صورة مع أسرتها.. وهل هذه صورتها بقميص نوم؟ وهل هذه صورته بالـ.. بوكسر؟ وهذه بدون البوكسر؟ للأسف لا يظهر وجهه في هذه الأخيرة!

يأخذ عماد العشرات من اللقطات لهذه المحادثات.. يجمعها في ملف مضغوط. الآن الخطة جاهزة.. لقد تأخر الوقت الآن وهدأ ضجيجهم في الخارج. لا بد أنهم خلدوا إلى النوم.

يغلق حاسبه المحمول، ويخرج إلى الصالة، ويحوم حول غرفة تامر قبل عودته. لقد نام حتما. يعود إلى غرفته ويفتح حاسبه. يرسل ملف الصور في رسالة جماعية إلى جميع أصدقاء تامر، ثم يكتب منشورا من حساب تامر نفسه:

«@تامر توفيق:

حسابي على الفيس أصابه فيروس يرسل صور من محادثاتي الخاصة لكل الأصدقاء.. لو سمحتم.. بأمانة، لا أحد يفتح هذه الصور حفاظا على خصوصيتي وخصوصية الأصدقاء عندي»!

هل من رسالة أكثر تحفيزا من هذه تدفعك لفتح رسالة تامر وتحميل الصور فورا قبل حذفها؟

يغير كلمة مرور حساب تامر على الفيس بوك باستخدام البريد الإلكتروني، ويغلق الجهاز. الله يرحمك يا تامر!

***

يفتح عماد درج المكتب السفلي، يتناول منظارا معظما كان قد اشتراه من موقع إنترنت لبيع السلع المستعملة، ويتجه للنافذة.

في منطقة شعبية كالسيدة زينب لا يبذل الناس جهدا للحفاظ على خصوصيتهم، النوافذ والشرفات مفتوحة تكشف مساحات عميقة من شققهم وتفاصيل حياتهم، خاصة لو كنت تنظر من الزاوية المناسبة.. وعماد يسكن في الزاوية المناسبة، شقة على السطوح توفر منظورا علويا، في مواجهة بيت قديم مهجور نصف متهدم من دورين، هكذا يتسع منظوره ليخترق النوافذ الخلفية للعمارات التي تقع خلف هذا البيت. هذه تضم التشكيلة الأكبر من الأسرار المعروضة، حيث غرف النوم والنوافذ الخلفية واعتياد التجول بأريحية في البيت. لا يتوقف أحدهم لحظة ليفكر في مصير خصوصيته لو تصادف وجود متلصص ما ينظر عبر هذه النوافذ. الأسهل ألا تفكر وتستمر في حياتك محتميا بجهلك. هل تفهمني؟ هل تستخدم كلمة مرور موحدة لكل حساباتك على الإنترنت؟ هل كلمة مرورك هي تاريخ ميلادك أو رقم هاتفك أو اسم ابنك أو حيوانك الأليف أو مزيج من هذه الأشياء؟ إذن أنت تفهم قصدي. أنت معرض للاختراق لكنك في أمان إذا ما تغطيت بالهواء واحتميت بجهلك، و"لا تسألوا عن أشياء..."!

يطفئ النور ثم ينظر عبر المنظار. هكذا يصير خفيا يراهم من حيث لا يرونه، هم يتدثرون بجهلهم وهو يتدثر بالظلام.

ما كان يخطط لهذا حين اشترى المنظار، كان معروضا بسعر مغرٍ حقا، ففكر أن يلعب به لفترة ثم يعرضه للبيع فيما بعد على الموقع نفسه، لعله يكسب قرشين منه. بدأ يجربه و«يلعب به» كما أراد، فوقف وقفته هذه لأول مرة حين رآها هناك. لم يكن يقصد التلصص.. لقد وقع في الفخ، أغوته فتنتها حين رآها.. وها هي ذي نافذتها الخضراء مغلقة الآن.

كان يقضي أوقات انتظاره لها يسلي نفسه بمراقبة النوافذ الأخرى. جذبته حكاياتهم وتفاصيل حيواتهم الصغيرة. لم يفكر فيما كان يفعله على أنه تجسس أو اختراق للخصوصية، فهو.. هو! هو لن يفضح أحدًا بالتأكيد.. كما أنه شخص أمين تماما، وهو يثق في هذا.. هو لن يسرب هذه الأسرار إلى أي مخلوق.. دعك من أنه لم يعد يعتبر نفسه غريبا عنهم!

يستدير بالمنظار.. شقة المرأة العجوز البدينة في الدور الثاني ذات الطلاء الوردي مضاءة خالية من الأحداث اليوم.. هذه الشقة نادرة الأحداث على كل حال، باستثناء الأعياد والإجازات عندما تزورها بناتها المتزوجات.

الرجل النحيل الأسمر ذو الفانلة الداخلية الملونة مع أسرته في غرفة المعيشة يشاهدون التلفاز.. تنهض الزوجة وتعود ببعض السندوتشات.. يتناولون العشاء.

غرفة الشاب العاطل الذي يعيش مع أسرته في الدور الخامس بالعمارة اليسرى، هنا عرض شبه مستمر، فالنافذة جانبية ومنظوره لها غير متوقع. في الغرفة خلف النافذة مباشرة مكتب الشاب وعليه الكمبيوتر الذي تتمحور حوله حياته كلها، يقضي وقته بين التدخين في البلكونة وبين الاستلقاء أمام شاشة الكمبيوتر المواجهة للنافذة يشاهد الأفلام أو المسلسلات أو اليوتيوب أو يجلس على المكتب يتصفح الفيسبوك أو

يشاهد أفلاما إباحية. أخته الصغيرة طالبة الجامعة تستخدم الكمبيوتر ذاته، أحيانا بعلمه وأحيانا بدونه. قوة تكبير المنظار تتيح له تمييز ما يحدث على الشاشة بدقة، إلى حد قراءة النصوص المكتوبة. يستطيع من حركة يد الشاب (أو الفتاة) على لوحة المفاتيح أن يتوصل إلى كلمة مرور كل منهما على الفيسبوك، لكنه لم يحاول، لأنه لا يبالي.. حتى الآن.

الآن لا يحدث شيء.. فقط حافظة شاشة متحركة غبية عبارة عن كلمة "ميزو" مجسمة تتقافز هنا وهناك. لا بد أن كلمة مروره هي Mizo1984 أو شيئا من هذا القبيل!

في الشقة الأولى تنهض الزوجة بعد العشاء لتصرف الأطفال الثلاثة للنوم، تعود بقميص نوم وتجلس بجانب الزوج.. سينتقلان لغرفة النوم بعد قليل بعيدا عن مجال رؤية عماد.

شرفة الدور الثالث في العمارة اليمنى تكشف دولاب الفتاة المراهقة الفاشلة في دراستها.. تأتي هنا كثيرا لتقف أمام مرآة الدولاب. لا تترك التابلت من يدها.. التابلت الصغير الذي هو في الوقت ذاته هاتفها وحاسوبها وكاميرتها وألبوم صورها ومقهاها وملهاها الليلي. منذ أن التقطت صورة سيلفي لنفسها هنا بفستانها الجديد ونشرتها على إنستجرام بعد الظهر لم تعد بعد.. عماد رأى الصورة وهي تلتقطها ورآها بعد نشرها على حسابها. لا يحتاج لاختراق حسابها ليعرف هذا أو ليرى الصور.. كل شيء مفتوح للعامة.. ملقى على قارعة طريق الإنترنت.

المرأة الحسناء التي تعيش وحدها مع طفليها في الدور السادس بالعمارة اليمنى نامت مبكرا اليوم. النافذة مفتوحة كالعادة، وضوء الحمام الخافت الذي لا تطفئه أبدا - ربما تخاف النوم في الظلام؟ - يلقي ظلالا على الغرفة المواجهة للنافذة. زوجها لم يظهر في العرض قط. لا أثر لها على الشبكات الاجتماعية. تستخدم الكمبيوتر كجهاز تليفزيون لمشاهدة الأفلام والمسلسلات واليوتيوب.. فقط من وقت لآخر تستخدم

سكايب. تتزين وتنعزل في غرفتها بعيدة عن الأطفال وتقابل شخصا ما..

مطلقة؟ أرملة؟ زوجها مسافر؟ لا يدري. ربما ببعض التقصّي يعثر على هذه التفاصيل.. لكنه لا يبالي الآن.. فقط هو مشفق عليها.. ربما هي أفضل حالا منه.. فلديها طفلان.. ربما لو اقتنى قطّا لأصبح مثلها..؟

كابل الإنترنت يدخل إلى نافذتها من الطابق الأرضي. تستخدم وصلة من السايبر.

لم يرَ منها الكثير.. فقط بعض المكالمات وهي مستلقية.. تطفئ النور عندها ويلمح ظلالا لجسدها يتلوى، لكنه لم يستمتع بالمشاهدة قط.. كانت فقط تذكّره بوحدته.

تبدأ محاثة الفيديو، فيفتح عماد جهازه ويفتح برنامجا.. يراقب جهازها من على بعد.

جهاز كمبيوتر متواجد على شبكة بدون حماية، يمكنك اختراقه بسهولة لو دخلت إلى هذه الشبكة. وهذه الشبكة متاحة للاستخدام بثلاثة جنيهات في الساعة. لا تحتاج من الساعة إلا دقائق قليلة لتصل إلى جهازها، ثم تزرع فيه كود التجسس، وبعدها فالجهاز ملكك، يمكنك مراقبته من أي جهاز متصل بالإنترنت، إذا كان لديك البرامج المناسبة، وعماد لديه البرامج المناسبة.

هذه المرة كانت المحادثة سكايب بالفيديو على لابتوب يحضرها الأطفال.. هذا أبوهم إذن!

***

كل هذا ممل. كل هذا لم يعد يثير اهتمامه. يدير المنظار نحو النافذة الخضراء بالدور الرابع، ويتوقف عندها بالمنظار طويلا. ما زالت مغلقة، وهو يعرف أنها لن تنفتح، لكنه لا يحول نظره عنها.. يخفق قلبه.. هنا رآها لأول مرة قبل أن ترحل مع أسرتها.

الشقة كانت للحاج سعيد صاحب مطعم الكشري المعروف بالمنطقة. كان عماد يعرفه منذ جاء للسكن هنا، لكن لم يعرف ابنته هذه إلا بالمنظار.

هذا الحسن، وهذه الرقة كفيلان باستدراجك لاستكمال «تجربة» المنظار التي بدأتها لمجرد التجربة.. جديران بإسكات ضميرك تماما.. بسحبك إلى عوالمها الفاتنة.

لم تكن ذات جمال صارخ، فقط ملامح هادئة بريئة، وشعر أسود فاحم منسدل كالليل ذاته، لو أن الليل قرر التحول إلى شلال يلمع تحت ضوء النجوم. رآها وهي تتكلم، وحاول مرارا أن يقرأ حركات شفاهها.. ليس متأكدا مما كانت تقول..

جرب استخدام كاميرا الهاتف من خلف عدسة المنظار، ليسجل مقاطع فيديو مقربة لها وهي تتكلم، ثم يدرس حركات شفتيها بتمعن، لكن النتيجة لم تكن مرضية في النهاية.. كانت تقول: «يا بنتي الفيلم كله دم وعنف، يعني ليس ذوقي.. وحتى لو هو فيلم حلو فأنا أفضل رؤيته في البيت على الكمبيوتر».

لكنها كان تتكلم وتتصرف ببراءة وكأنها لا تعرف أنها جميلة الجميلات.. وكأنها فتاة أخرى تطبخ وتنظّف البيت وتذاكر دروسها لتنجح، وكأنها ليست ملكة متوجة تستطيع أن تجلس هناك على عرشها، وتوزع الأوامر، فيطبخون لها ويدرسون لها ويمتحنون بدلا منها.

لو أنصفوا لأجرت هي امتحانات للجامعات نفسها، لتختار هي من بينها الجامعة الجديرة بأن تحصل هي على شهادتها.

كان يدقق في وجهها كلما وجد زاوية مناسبة. لا أثر في وجهه لمساحيق التجميل بالطبع..

كانت هي الجمال بعينه. أية محاولة لتعديل هذا الجمال بمساحيق لن تكون للأجمل. لأنه لا يوجد أجمل.

حاول جاهدا الخروج من دوامة وجهها الأخاذ.. حاول كثيرا وفشل.. صارت هي متعته الخاصة.. حياته السرية.. حفظ تقاطيع وجهها وطريقتها في الكلام والإيماء، والإشارة باليد.. ابتسامتها المميزة ووجهها حين يشرق بالبهجة.. غمازتاها اللتان تبرزان عند الابتسام وعند البكاء. بكاؤها الذي يقطع القلب. نظارتها ذات الإطار الأسود، التي تعطيها طابعا جادا، لكنها زادتها - في عينيه - فتنة.

يكتب كل هذا.. يصفها لنفسه في خواطر وأشعار.. يحاول أن يرسمها..

يقاوم هذا الإدمان، ثم يعجز عن الاستمرار فيعود إليها معتذرا في همس لن تسمعه. وحين كف عن المقاومة أخيرا قرر أن يفعل شيئا.. لكنه لم يفعل. فهو حتى لا يعرف اسمها.

فكر أن يفتعل سببا ما ليطرق باب بيتها ويراها ويسمع صوتها..مرة.. مرة واحدة.. وربما لو أسعده حظه يعرف اسمها.. لكنه لم يجرؤ.

إلى أن استيقظ يوما، وأطل على النافذة الخضراء ووجدها مفتوحة، ويظهر منها عمال يحملون الأثاث.. نظر من النافذة في جزع أمام العمارة فوجد ما كان يخشاه: هذه الشاحنة تنقل حاجياتهم.. سينتقلون من هنا!

إلى أين؟ انتظروا.. انتظري يا... ما اسمك؟ أعطوني العنوان أولا!

ارتدى ملابسه على عجل، وهرع مسرعا ليلحق بهم.. اصطدم بسامي في خروجه، فهبطت عليه الفكرة.. قال له في توسل لاهث:

- سامي.. ممكن أستعير الموتوسيكل؟
- من عيوني! الموتوسيكل وصاحب الموتوسيكل يا برنس!

هكذا تتبع الشاحنة. وهكذا عرف العنوان الجديد، في المعادي.

في الأيام التالية ظل يراقب النافذة الخضراء، هي كل ما تبقى له منها. يجتر صورة بيتها الجديد في عقله. ثم لم يعد يحتمل.. ذهب إليها هناك أمام سكنها الجديد. كان يمر أمام البناية عدة مرات في تردد ثم يرحل لا يلوي على شيء. ثم صار يخرج في الصباح، ينتظر على مقهى قريب يراقب باب العمارة آملا في رؤيتها.

لم تظهر حتى اليوم الثالث. خرجت في الصباح واستقلت سيارة أجرة إلى مكان ما.

في اليوم التالي كان مستعدا بالموتوسيكل. استقلت سيارة أجرة من جديد، فتتبعها حتى وصلت إلى عمارة ما. صعدت ونزلت بعد نحو الساعة.

في الأيام التالية تكرر الروتين ذاته، لكنها ذهبت إلى مكان مختلف في المعادي كذلك.

في اليوم الخامس ذهبت إلى المكان ذاته، ولم تخرج بعد ساعة. انتظرها طويلا فلم تخرج.

وحين اقترب من مدخل العمارة وجد لافتة وحيدة واضحة تقول «شركة الكمال للاستثمار العقاري».

هكذا عاد إلى المكان ذاته في اليوم التالي، ودخل الشركة، وتقدم للعمل معهم.

هناك، وبالمصادفة كانوا يطلبون موظفا فقبلوه. وهناك فقط سمع صوتها لأول مرة.. وهناك فقط عرف أن اسمها (آية).

***

في الصباح صحا عماد على صخب في الخارج. تذكر ما فعله بتامر بالأمس فخرج ليجده يحاول عبثا فتح الفيسبوك على هاتفه، بينما فوزي وسامي أمامه يستلقيان على الأرض حرفيا من الضحك. تقدم منه عماد وهو يرسم على وجهه ابتسامة مبتهجة أكثر من اللازم، ورمى له بقبلة في الهواء قائلا:

- استمتع!

تصاعدت ضحكات سامي وفوزي إلى درجة الهستيريا، بينما نهض تامر بوجه أحمر كالورم الخبيث واتجه نحو عماد في بطء. وقف فوزي حائلا بينهما، بينما انتحى سامي بعماد جانبا يرجوه أن ينهي المهزلة الجارية خاصة أن الفضيحة حصلت بالفعل وحقق هو انتقامه. تمنع عماد قليلا، ثم قال أخيرا:

- هو ليس بحاجة لتدخلي على كل حال، يستطيع استعادة الحساب برقم هاتفه.

صاح تامر في سخط:

- وكأنني لم أفكر في هذا! أنا لم أربط حسابي برقم هاتفي أصلا!

قهقه عماد عاليا، وقال ساخرا:

- المتدثرون بالعراء هؤلاء!
- خلاص يا عم عماد، يكفيك ما حدث، ثم لأجل خاطرنا نحن يا سيدي.
- حسنا.. لأجل خاطركم فقط.. لكني أريد اعتذارا!

#٤

العمل تحت الضغط صعب، ربما، لكن العمل تحت تهديد فقدان عملك في أية لحظة.. هذا مرعب.

عندما قابل عماد كمال العسال لأول مرة لم يكن يعرف عنه الكثير، لكنه لم يحبه. ثقته المبالغ فيها ولهجته الآمرة التي لم تكن تفارق صوته لم يكونا السببين الوحيدين، فهو رب العمل ومن حقه أن تمشي الأمور كما يريد، فقط كان يستشف جهلا عميقا في شخصه يغطيه بهذه الغطرسة. كان رجلا نصف ممتلئ الجسد، ذا ملامح دقيقة تقترب من الأنوثة، لولا جبهته العريضة الواسعة التي لم يأت اتساعها من الذكاء وإنما من بوادر الصلع التي تزحف على شعره. يستفزه هذا العُثنون.. «السكسوكة» الرفيعة المحيطة بفمه، التي لا تليق بشخصه ولا سنه الذي تجاوز الخامسة والأربعين من عمره، وربما الخمسين، وتستفزه بالتأكيد نظارته الشمسية التي يرتديها حتى في الأماكن المغلقة، خاصة عندما يحرص على أن يبدو أنيقا. صوره الفوتوغرافية كانت تزعج عماد أكثر إلى درجة التقيؤ، تلك النظرة الرومانسية المفتعلة التي يرتديها، مع تشبيك أصابعه أمام وجهه (اليد اليسرى فوق اليمنى ليخفي سبابته اليمنى المقطوعة) أو نظرته الجانبية نحو الأفق في محاولة بائسة لأن يبدو عظيما، كل هذا تجاوز بعماد مرحلة الاستفزاز والتقزز ليدخل في نطاق الشفقة الحقيقية!

عندما قابله كمال بك في المقابلة الشخصية مع مدام علا التي جلست صامتة معظم الوقت، لم يكن كمال بك ملما أصلا بما يفترض بعماد إجادته للحصول على الوظيفة، لكنه كان يسأل ويستمع لإجابات عماد متظاهرا بالفهم، ثم متدخلا بتعليقات وإضافات عن معلومات وخبرات شخصية لا علاقة لها بالموضوع أصلا. في النهاية وافق على تعيينه لأنه لا يفهم بما يكفي أصلا لأن يحدد إن كان يصلح أم لا، لكنه استشف من مدام علا أنه جيد، فتظاهر بأنه وافق فاهما، ولم يحاول عماد أن يقف في طريق نرجسيته تلك.

حصل على الوظيفة، لكن هذه ليست نهاية المطاف. ما زالت أمامه مهمة أصعب: كسب ثقة كمال العسال.

***

لم يكن توزيع العمل والإشراف على تنفيذه سهلا كما كان عماد ينتظر.

بعد عرضه التقديمي في الاجتماع كلف عماد كل موظف معه بأن ينشئ حسابا جديدا على الفيسبوك مخصصا فقط للعمل، هذا الحساب باسم الموظف، لكنه مربوط ببريده الإلكتروني الخاص بالشركة. وعلى كل موظف استكمال بيانات الحساب، ووضع صورته عليه، والقيام بأنشطة عادية على الحساب بحيث يظل نشطا بشكل مستمر. ترك عماد لكل موظف الحرية في كتابة أو مشاركة أي شيء على حسابه، بشرط تجنب الآراء الشخصية السياسية أو الدينية، فالهدف هنا تسويقي أولا وأخيرا. بعد هذا بدأ يرسل لهم تكليفات محددة كل يوم في مجموعة سرية على الفيس بوك. التكليفات معظمها كانت عبارة عن كتابة منشور واحد يوميا يصب في اتجاه تسويقي معين، إلى جانب الإعجاب بمنشورات الآخرين ومشاركة بعضها، وتوسيع قاعدة الأصدقاء بانتظام، بالطريقة نفسها التي ابتكرها هو: البحث عن مجموعات بكلمات مفتاحية مختلفة، فكان

يبحث أولا عن مجموعات بعبارات مثل «عقارات القاهرة»، «سوق العقارات»، «شقق للبيع».. ويرتب النتائج حسب عدد الأعضاء، ثم يرسل طلبا للانضمام للمجموعات الأكثر شعبية، ويعود في اليوم التالي بعد قبول طلب الانضمام، فيستعرض قائمة أعضاء المجموعة، ويبدأ في إرسال طلبات صداقة إليهم بمعدل معقول يوميا تجنبا لإغلاق الحساب، ثم دعوتهم في النهاية للانضمام لصفحة الشركة.

بدأ التنفيذ من أول الأسبوع. بعض الموظفين – خاصة الشباب منهم – تحمسوا للأمر، واعتبروه نشاطا ترفيهيا وسط روتين العمل، لكن آخرين تعاملوا مع الأمر برمته باستخفاف واضح. بعضهم راحوا يتغامزون ويلوحون بكلمة «مضحك» ويحورونها إلى «بهلوان» ثم «أراجوز».. تنامت الكلمات إلى مسامعه، وشم رائحة السخرية في نبراتهم، لكن أحدًا لم يلق بها في وجهه. المهم أنهم كانوا يرون كل هذا كلاما فارغا لا يمت للعمل بصلة، فضلا عن استنكارهم أصلا لفكرة العمل تحت إمرة "ابن إمبارح" هذا. هؤلاء ظلوا يؤدون المهام المطلوبة على مضض، و إن لم يعلن أحدهم رفضه هذا صراحةً، خاصة مع دعم كمال العسال الواضح للفكرة.. فضلوا الانتظار، آملين في نهاية قريبة لعماد ولمشروعه.. نهاية شبيهة - ربما - بنهاية رضا.

في نهاية الأسبوع جمع عماد ما أنجزه الفريق في تقرير كبير كالمعتاد، استعرض فيه الأرقام التي تحققت: عدد المنضمين الجدد للصفحة، عدد حسابات الموظفين التي تم إنشاؤها، عدد العملاء المحتملين الذين تمت دعوتهم.. إلخ..

استدعته مدام علا السكرتيرة، وتساءلت في حيرة وهي تلوح بالتقرير:

ـ الأرقام هذا الأسبوع قريبة مما كنت تنجزه أنت وحدك!

ارتبك عماد لوهلة، ثم راح يسرد لها المزيد من الأرقام:

ـ عدد الموظفين الذين أنشأوا حسابات جديدة بالفعل لم يصل إلى النصف، وعدد الذين قاموا بالمهام المطلوبة كان بدوره أقل من نصف هؤلاء!

ـ حقا؟ لماذا؟ من هنا لم ينشئ حسابا؟ ومن قال إن هذا شغل اختياري؟ وأنت.. ما قلت شيئا طوال الأسبوع؟

صمت عماد. كيف يقول هذا؟ تمتم بصعوبة:

ـ لا أحد منهم يراني مديرا!

قطبت في جدية صارمة، وصاحت:

ـ ما معنى هذا إن شاء الله؟

ازداد صوته خفوتا وهو يقول:

ـ المدير نفسه وصفني أمامهم بالمضحك.

ـ وماذا في ذلك؟

ـ مضحك؟ مهرج؟ لا أعرف.. هذا لا يدعو لأخذ الأمور بجدية، خاصة أن الموضوع كله على الفيس بوك و...

ـ طيب. أنا سأتصرف.

كان كمال بك مشغولا هذا الأسبوع، ولم يكن لديه وقت لعقد اجتماع كالمعتاد، لكنه استدعى الموظفين كافة لمكتبه لأمر عاجل في منتصف اليوم. تجمعوا جميعا واقفين في مكتبه، فأشار لبعضهم بالجلوس بما تسمح به المقاعد المتاحة في مكتبه. انتظر حتى اكتمل الحضور، ثم قال بحزم:

ـ عماد الآن مدير تسويق السوشيال ميديا، ومهام الشغل التي يوزعها عليكم هنا مثل أي تكليف آخر تتلقاه من مديرك تماما.. بل أهم! من الآن أي شغل ناقص سيتم إرساله في

مذكرة مباشرة إلى قسم الموارد البشرية، لأخذه في الاعتبار في المرتب والتقييم والخصومات. مفهوم؟ تفضلوا!

خرج عماد من هذا الاجتماع طائرا، قدماه لا تلمسان الأرض. كمال العسال قال هذا بنفسه «مدير تسويق السوشيال ميديا». قالها أمامهم جميعا. قالها في حضور آية!

آية التي جاء هنا لأجلها وبسببها، ثم اكتفى بهذا ولم يتقدم خطوة أخرى.

هو سعيد راض الآن بمجرد رؤيتها يوميا. سمع صوتها وعرف اسمها. هل يحبها؟ لا يعرف. ولا يهم. فحتى لو اعترف لنفسه بحبها، ماذا لديه ليفعله؟

يصارحها؟ يتكلم معها؟ يتقرب منها؟ هذه أمور يفعلها الآخرون، لكنك أنت تقف عاجزا عن ذلك. هذه معجزات يفعلونها هم ويدعون أنها أمور عادية بسيطة، لكنه هو يعرف أنها ليست كذلك.. كلهم يغمزون الموظف المرتشي بورقة مالية ليعجّل لهم أوراقهم، لكنه هو لا يقدر على ذلك.. هذه أمور لم يتعلمها، ولو وجد دورة تدريبية مدفوعة الأجر للتدريب عليها لكان أول من يسجل اسمه فيها.

***

بعد تعليمات كمال بك بدأ عماد يشعر بأنه قائد فريق بالفعل. الموظفون الذين كانوا يتذمرون بدأوا يواجهون الأمر الواقع، وراحوا يطلبون مساعدته على استحياء في أبسط بديهيات الفيسبوك والإنترنت عموما.

شرع عماد يعد تقرير الأسبوع التالي، وبدا له أن العمل بدأ يؤتي ثماره بالفعل. راجع الأرقام: حسام ٢٤٣ صديق، نسرين ٢١٣، عاطف ٣٠٧، خالد ١١٢، فيصل ٨٩، آية ٦٨٩، شيماء ١٣٦، هاني...

أرقام كأرقام خالد وفيصل تدل بوضوح على التكاسل.. ربما لو

وضع لهم هدفا أسبوعيا كحد أدنى يلتزم كل موظف بإنجازه. لكن رقم آية.. ٦٨٩؟ هذا غريب، بالنظر إلى أن هذا عمل جانبي تؤديه في ساعة تقتطعها من وقت عملها الأصلي.

توجه إلى مكتبها وقلبه يخفق. آية المرحة الجميلة.. آية الحلم.. آية التي تبادل معها شخصيا منذ جاء للعمل هنا ٣٧ كلمة، منها ١٨ كاملة منها هي.. بصوتها! آية التي يجد صعوبة في أن يتكلم معها من دون أن يسرح في شفتيها الفاكهية أو في شعرها الأسود الناعم المنسدل الذي يتطاير طوال الوقت في لقطات سينمائية بالتصوير البطيء..

آية المتفردة اسما وشكلا وصوتا وجمالا وطباعا وكينونة.. متفردة هكذا في المطلق..

آية التي صارت تشكل له معضلة أبدية: كيف يعثر على حجة مناسبة ليتحدث معها؟ لدهشته كان هناك من يتحدثون معها طوال الوقت، ولم يفهم قط بأية معجزة يفعلونها! كيف توصلوا إلى حل لغز سرمدي كهذا؟

كانت هناك على مكتبها تحدق في شيء ما على الشاشة وتقضم أناملها كعادتها، تقدم نحوها، وصاح بنبرة بدت له، عندما سمعها بصوته، أكثر حدة وجدية من اللازم:

ـ مساء الخير!

التفتت إليه بابتسامة متهللة وكأنها – تصور! – سعدت لرؤيته.

ـ مساء النور. أهلا عماد.

حاول ضبط نبرته، فجاءت هامسة أكثر من اللازم هذه المرة:

ـ شكرا! شكرا على... قصدي.. شغلك ممتاز!

لم يبد عليها أنها لاحظت ارتباكه، قالت ببساطة:

ـ فعلا؟ أنا اتبعت إرشاداتك فقط. وبالمناسبة كان عندي بعض الأسئلة.

بدأ يستعيد صوته الطبيعي، فقال:

ـ طبعا، بكل سرور (بكل سرور؟ من أي قرن جئت بهذا التعبير؟)، لكن اشرحي لي أولا ما قمتِ به بالضبط.

أشارت آية إلى صفحة فيس بوك كانت مفتوحة على شاشة جهازها، وراحت تشرح له ما تفعله بالضبط. لم تبذل جهدا إضافيا، فقط كان كل شيء يمشي معها بسلاسة غير معتادة. ٩٠٪ من طلبات الصداقة التي ترسلها تُقبل فورا، ثم عشرات من طلبات الصداقة تنهال عليها هي من دون حتى أن تبحث هي.

ـ وتقبلينها كلها؟

ـ نعم! أليس الهدف هو زيادة الأصدقاء لتوجيه الدعوات لهم؟

ـ ليس بالضبط.. هكذا سيزيد عدد الأصدقاء عندك، لكنهم من شرائح ليس لها اهتمام بمجال عملنا.. هؤلاء كلهم مهتمين بـ.. بأشياء أخرى!

ابتسمت بركن شفتيها وقد وصلها ما يعنيه، وقالت ببساطة:

ـ طيب.. قل لي ماذا أفعل!

آية تطلب منك أن تخبرها ماذا تفعل!

ـ أولا احذفي كل طلبات الصداقة هذه، و... ما كل هذه الرسائل؟

ضحكت ضحكة عالية، فأشرقت غمازتاها، وقالت:

ـ يريدون أن يتعرفوا!

ـ الله!

ـ هذا هو العادي.. هذه ميزة أن تكون فتاة!

ـ عادي؟ هل.. وضعتِ صورتك في هذا الحساب؟

ـ نعم!

ـ صورتك أنتِ؟ شخصيا؟

ـ نعم! لماذا؟

ـ لهذا إذن! طيب! اسمعيني.. اعملي «حظر» لكل هؤلاء.. بعد ذلك لا ترسلي أي طلب صداقة أصلا. فقط ادخلي على كل المجموعات المستهدفة عندنا، واكتبي فيها.. أي شيء.. تعليقات، منشورات عادية مثل النماذج المحددة للمجموعات، بصياغتك أنتِ طبعا.. ثم انتظري طلبات الصداقة.. ولا تقبلي منها إلا المشتركين معك في المجموعات!

استمعت له بانتباه وهي تقضم أظافرها، ثم قالت:

ـ وماذا لو لم تأتني طلبات صداقة؟

ـ ستأتي.. صدقيني ستأتي!

نهض من مقعده بجوارها لينصرف، فقالت:

ـ عماد!

ـ نعم؟

ـ ممكن سؤال؟

ـ طبعا!

ـ كيف تعرف سارة ربيع؟

تجمد عماد.. حتى آية تسأل عن سارة ربيع..

ـ آ.. هي.. معرفة قديمة.

ظلت جامدة تنظر له لحظات، وعندما لم يضف شيئا أشاحت بوجهها بعيدا وقالت:

ـ آسفة، لم أقصد التطفل!

ـ لا.. لا تطفل أبدا.. بالعكس، أنا أريدك أن تسألي!

ارتفع حاجباها السوداوان الرفيعان في دهشة وسألته:

- تريدني أن أسأل؟ عن ماذا؟
- عن سارة.. أعني عن أي شيء!
- لماذا؟
- لأنني.. أعني أنتِ بالذات تستطيعين سؤالي عن أي شيء..
- أنا بالذات؟
- في الشغل طبعا.. ممم.. أو في غير الشغل.. حتى لو في الحب أو الصداقة أو.. وتستطيعين عدم السؤال.. أعني، كما تريدين أنا أرحب بـ... عن إذنك!

انتزع نفسه من أمامها انتزاعا قبل أن يقول ما هو أسوأ.

هل هناك ما هو أسوأ؟

***

اتجه إلى مكتبه وهو يتصبب عرقا، كأنما عاد لتوه من الشمس. أغلق جهاز الكمبيوتر الخاص به، والتقط حقيبة ظهره وارتداها في شرود متجها لباب الشقة، ثم تذكر فجأة جهاز البصمة.. دائما ما ينسى هذا الإجراء السخيف قبل الانصراف. عاد إلى الممر المفضي لمكاتب الموظفين فوجد كمال العسال في وجهه. تهلل وجهه ما إن رآه، وقال:

- تعال يا عماد، أريد منك شيئا.

تبا! هل هو قرار الفصل؟ بهذه السرعة؟ وماذا عن آية؟! أعطوني فرصة لأتكلم معها قليلا!

لا، لم يكن قرار الفصل.. ليس بعد على كل حال. قال له كمال العسال وهو يشير إلى حاسبه المحمول:

- جهازي فيه مشكلة. لا يتصل بالإنترنت. و(رامز) فني الكمبيوتر انصرف. أنت تفهم في هذه الأمور؟
- بالتأكيد. دعني أر.

تناول الجهاز وتفحص الشبكة.. تعريف كارت الشبكة اللاسلكي لا يعمل.

ـ سأحتاج إلى تنزيل ملف من الإنترنت!

ـ والله؟ تحتاج الإنترنت لإصلاح مشكلة الاتصال بالإنترنت؟

ـ سأحمله من جهازي، وأنقله على ذاكرة فلاش.

قرأ موديل الجهاز وحفظه، وذهب إلى مكتبه وفتح جهازه من جديد ووقف ينتظر شاشة بداية الويندوز في ملل.. أخرج ذاكرة الفلاش من جيبه واوصلها بالجهاز. حمّل الملف ونسخه إلى الذاكرة. لم يستغرق الأمر أكثر من دقائق، عاد بعدها إلى مكتب كمال العسال الذي كان منهمكا في محادثة هاتفية، فأشار لعماد بالدخول وإكمال العمل.

فتح عماد قرص الفلاش لينقل التعريف، عندما رأي هذا البرنامج هناك. البرنامج الذي حمله من منتدى (الجحيم).. راودته الفكرة.. ألقى نظرة خاطفة على كمال العسال.. كان يقف أمام النافذة يوليه ظهره. نقر عماد على ملف البرنامج، ثم ضغط زر «تثبيت».

#٥

صار كمال العسال يستدعيه إلى مكتبه من وقت لآخر، فيطلب منه المساعدة في أشياء تتعلق بالتعامل مع الشبكات الاجتماعية في الغالب، برغم عودة رامز. ما تويتر هذا؟ كيف يعمل بالضبط؟ لماذا لم ير أحدا بعد أن سجل فيه؟ كيف يجد حسابات يتابعها؟ كيف يقص صورته الشخصية لتصبح مربعة مناسبة لصفحته على الفيس بوك؟ كيف يدخل على الفيس بوك دون أن يظهر للجميع على الماسنجر؟

كان عماد يجيبه بحماس، محاولا تجنب استخدام مصطلحات تقنية قد يتعذر عليه فهمها، لكنه كان يصطدم بنظرة عدم الفهم من حين لآخر، فيتناول الفأرة ويشرح ما يعنيه عمليا. وحتى بهذه الطريقة، كان عندما ينتهي من الخطوات، التي يظنها هو بسيطة، يجد كمال العسال المدير العظيم المتغطرس، وقد عقد حاجبيه بارتباك وقد نسي ما كان قد قاله من البداية. عندها كان يبدو له آدميا. تسقط الهالة التي يحيط نفسه بها، ويبدو تحتها تلميذ خائب يقف عاجزا أمام مسألة رياضية لا يستطيع فك رموزها.. عندها كان يترك الفأرة تماما ليمسك بها كمال، ويوجهه هو إلى ما ينبغي عمله، بحيث يقوم هو بنفسه بالخطوات المطلوبة خطوة بخطوة، وفي النهاية يجد نفسه قد قام بالأمر ببساطة وبنفسه، ويتذكره.. عندها كان وجه كمال العسال يتهلل، ويضحك مبتهجا كطفل صغير، ثم

يروي قصة أو دعابة، ويسترسل في الكلام، محدثا عماد عن خبراته أو ذكرياته بحكمة يتوهم أن عماد يتوق إلى أن ينهل منها:

- عارف يا عماد؟ هذه الشركة كانت مجرد مكتب لسمسرة العقارات، مثلها مثل مليون مكتب آخر.. لا أحد منهم كبر وأصبح بحجم شركة الكمال. تعرف لماذا؟

يسأل عماد متظاهرا بالاهتمام:

- لماذا؟
- لأنني أنا فهمت السوق ولعبت بقواعده. أي بيزنيس صغير يوفر نفقاته «الثانوية» مثل المكان وتشطيباته والدعاية ليركز على الصفقات والعمل نفسه. كلام فارغ. المظاهر والأمور الثانوية كهذه هي أساس كل شيء.. بها تكسب العلاقات وتكسب ثقة العملاء. تبني قاعدة عملاء ببدلتك وواجهة مكتبك الرخامية وجهاز الفاكس وسكرتيرتك الأنيقة، حتى لو أنت أصلا شحاذ ومديون وتنتظر منهم العربون لينقذك من الإفلاس!

ويضحك باستمتاع شاعرا بدهائه، قبل أن يضيف:

- هي مخاطرة، لكن لو فاهم ستنجح.
- مثل المقاول الذي يجمع مقدمات الشقق الآن قبل أن يبنيها ويبني لهم بها؟
- تمام! السمعة الطيبة وثقة الناس، وإلا لما حصل على جنيه واحد مقدم.

تكررت المرات التي استدعاه فيها كمال بك إلى مكتبه، واتسعت استشاراته لتشمل المشكلات الفنية مع الكمبيوتر أو الإنترنت. كان هناك (رامز) مختص الدعم الفني وصيانة الأجهزة بالشركة، لكنه صار يفضل طريقة عماد، ويرتاح لسرعته وإتقانه في إنجاز الأمور.

في إحدى هذه المرات طلبه كمال العسال لمشكلة في هاتفه المحمول:

ـ لا أستطيع تثبيت تطبيقات جديدة. ما المشكلة؟ هل أحتاج لجهاز جديد؟

تناول عماد منه الجهاز، وفحص الإعدادات، ثم هز رأسه بثقة:

ـ لا أبدا.. الجهاز جيد.

ـ يعني هناك حل؟

ـ نعم، حل بسيط. الذاكرة الداخلية ممتلئة.. نحتاج لحذف بعض الملفات لتوفير مساحة..

كان يتكلم وهو يعمل بالفعل، فحذف الملفات المؤقتة وبعض التطبيقات غير المستخدمة..

ـ ها؟ انتهت المشكلة؟

ـ نعم! هذه هي مشكلة الأندرويد.. الملفات المؤقتة تتراكم فيه ولا بد من حذفها يدويا.

تناول كمال بك منه الجهاز وجرب تثبيت تطبيق، فبدأ التثبيت فعلا.. أعاده لموضعه على مكتبه منتظرا انتهاء التثبيت.. كان رائق البال، تراجع بظهره على مقعده الضخم في استرخاء، وقال:

ـ عارف يا عماد؟ السوق الآن متجه لتغييرات ثورية. قواعد اللعبة كلها ستختلف. وفي الثورة لا بد أن تحجز لك مكانا في الصفوف الأولى، أو ستسقط وتدهسك الأقدام. تعرف تأثير هذه الثورة؟

قال عماد في تردد:

ـ ثورة يناير؟

ضحك كمال وقال:

ـ لا، قصدي ثورة التكنولوجيا! لكن حتى التكنولوجيا أصبحت ثورات متتالية لا ثورة واحدة. ثورة بعد ثورة. ثورة الكمبيوتر، ثم ثورة الإنترنت، ثم ثورة الموبايلات والموبايلات الذكية، ثم ثورة السوشيال ميديا. كل واحدة منهم قلبت الدنيا في الغرب، وبعدها وصلت لنا. آخرها ثورة السوشيال ميديا. لهذا أنا مهتم جدا بدورك هنا. شغلك هذا هو مستقبلنا كله.

هنا فقط شعر عماد بالاطمئنان. لم يعد مهددا بالفصل إذن؟!

لم يقل شيئا، فأضاف كمال بك بلهجة خطابية مازحة:

ـ مستقبلنا كلنا بين إيدييييك يا عماد!

ويمزح ويتباسط معه أيضا؟

ضحك عماد، وقال مازحا لأول مرة:

ـ مستقبلكم في يد أمينة يا باشا!

ـ ماشي. منتظر إبداعاتك يا فنان. وسلم لي على أمينة!

تدريجيا بدأت نظرته تتغير نحو كمال العسال. شعر أن العلاقة بينهما تتحول إلى شكل أقرب للصداقة.

مع شخص مثل كمال العسال يفتقر إلى أبسط مهارات التعامل مع الإنترنت فضلا عن الشبكات الاجتماعية الجديدة، وفي زمن كهذا يحتاج من هو مثله إلى مواكبة العصر واستخدام الوسائل الجديدة مع عملائه وزبائنه وعلاقاته الشخصية، صار عماد مستشار كمال العسال الشخصي في هذه الأمور، يحل له المشاكل ويساعده على تجنب الظهور بمظهر الجاهل.. وفي المقابل، يشبع كمال العسال حاجته في الحكي والنصح والظهور أمام نفسه بمظهر الحكيم المجرب، فيتركه عماد يسترسل ويستمع في إنصات واهتمام.

بمرور الوقت تطرقت المساعدات إلى أمور واستشارات تخص جهازه في البيت، وموبايل المدام، وتابلت الأولاد، وموقع أخيه حامد بك العسال طبعا.

***

كمال بك العسال هو الشقيق الأصغر للمستشار والسياسي حامد العسال النائب البرلماني المعروف. التاريخ المعروف للأخوين لا يقول الكثير عن كمال بك، لكن حكايات نجاح حامد بك في المسار القانوني والسياسي يعرفها الجميع. تفوقه الدراسي، ثم عمله كوكيل للنيابة وترقيه في المناصب، ثم دخوله مجال السياسة، بالتزامن مع سيرة عادية فاترة لأخيه طالب كلية الهندسة الذي تخرج وعمل مهندسا معماريا في شركة مرموقة، من الصعب - عادة - أن يحصل خريج حديث على عمل فيها.. لكن الأبواب تنفتح عندما يكون أخوك هو حامد العسال. لم يستقر كمال العسال الشاب في وظيفة واحدة طويلا، وظل يتنقل بين الوظائف.. يتدرج.. يصعد للدقة.. كان يبحث عن دخل أكبر طوال الوقت.. حتى التحق بشكل ما بالعمل في إحدى دول الخليج، في واحدة من شركات العقارات، هناك راح يتدرج بسرعة في المناصب، بعلاقات أخيه أيضا فيما يبدو، ثم ترك كل هذا وعاد إلى مصر ليبدأ مكتبا صغيرا لتجارة العقارات.. مكتب سمسار!

كل هذه المعلومات كانت متناثرة على الإنترنت، لكن ترتيبها زمنيا في جدولين متجاورين أظهر لعماد ما لا يراه الكثيرون: قفزات النجاح المفاجئة في مسيرة كمال بك كانت تأتي دائما بعد خطوة ترقي في مسيرة شقيقه. كمال كان يستغل نفوذ أخيه ونجاحه سياسيا لدعم أعماله في السوق.

ترشح حامد العسال لمجلس الشورى قبل ثورة يناير مستقلا،

وقيل إن ذلك كان بعد فشله في التنسيق مع الحزب الوطني في خوض الانتخابات تحت رايته. قيل إنهم طلبوا منه تأجيل الأمر للدورة البرلمانية التالية، لكنه رفض وخاض الانتخابات مستقلا، من دون أن يفسخ اتفاق الدورة التالية. تم تزوير الانتخابات ضده - أو هكذا قيل - ليفوز مرشح الحزب الوطني. بعد الثورة تزايد نشاطه المهاجم للحزب الوطني وللنظام القديم والمؤيد للثورة، وخاض الانتخابات ونجح في دخول مجلس الشعب، في مقاعد المعارضة.

لم يكن حامد العسال ذا صفة فعليه في شركة الكمال، فلم يكن شريكا فيها مثلا، لكن الجميع في الشركة كانوا يعرفون أن أية تكليفات عمل تخص حامد بك لا تقل أهمية عن واجبات عملهم الأساسية، وربما أهم. وكانت التكليفات تأتي من مستر (شادي) المساعد الشخصي لحامد العسال. كان (شادي) يتواجد كثيرا في الشركة، بل وكان يحتل مكتبا في بعض الأحيان. كان يمثل حامد بك شخصيا، لذا كان يُعامل هنا كالمدير تماما، فيوكل المهام للموظفين - بمن فيهم عماد - في أعمال لا يبدو أنها تتعلق بنشاط الشركة الخاص بالعقارات.

كانت مكانة خاصة تلك التي وصل إليها عماد، وشعر أنه أصبح الذراع اليمنى لكمال بك شخصيا، فاستغل المناسبة لفتح محادثة مع كمال بك، وسأله - وإن كان يعرف الإجابة - إن كان عليه أن يقتطع بعضا من وقته لتنفيذ ما يطلبه مستر شادي.

تراجع كمال في مقعده كما يفعل عندما يستعد للخطابة، وراح يسترسل في الحديث عن تذمره من الخدمات الكثيرة التي يثقل بها حامد بك عليه وعلى شركته مجانا، وكأنها شركة أبيه، أو كأن كل هذا مجاني، لكنه اختتم كل هذا بأنه أخوه في النهاية، وبالتأكيد على عماد بألا يبدي أي شيء من هذا الكلام له.

لم يعد عماد يرى كمال بك مدعيا متظاهرا، فبدا له مكافحا ذكيا

بطريقته، ولم يعد يرى مظهره سخيفا مبتذلا، فصارت نظارته الشمسية وعُثنونه من سمات البساطة والطيبة.. تحولت كراهيته له إلى شعور بالثقة والتفوق والانتماء لهذا الكيان المسيطر.

***

دخل عماد إلى مطبخ الشركة ليعد لنفسه فنجان قهوة. هناك وجد (شادي) واقفا يصب الماء البارد في الكنكة. كانت هذه هي الكنكة الوحيدة هنا، فوقف عماد ينتظره حتى ينتهي. كان (شادي) شابا ثلاثينيا، ذا وجه حليق وسيم، وشعر أسود فاحم مصفف بعناية.. كلما رآه عماد شعر بأن شعره يلمع أكثر من اللازم، مظهره يوحي بالبلل وكأنه غسله لتوه.. وكان عماد يقاوم بصعوبة رغبته الملحّة في لمس شعره للتأكد من موضوع البلل هذا.

التفت إليه (شادي) بابتسامته الأبدية الملتصقة بملامحه، وقال:

ـ تعمل قهوتك بنفسك أيضا؟

أومأ عماد برأسه إيجابا وهو يقاوم الشرود في نظارة شادي. هذا الشاب مليء بالمشتتات. نظارته مستطيلة ذات إطار أسود غليظ، لكنها ضيقة بشكل مبالغ فيه.. فكر عماد أنه يستطيع أن يرى رموشه من أعلى ومن أسفل النظارة طوال الوقت.. هذه عدسات لاصقة أضيف ذراعان لتبدو كالنظارة!

ـ عماد؟

ـ نعم؟

ـ أقول: تحب أعمل لك فنجانا معي؟

قال بسرعة:

ـ لا، شكرا.. أعني.. لا أريد أن أضيع «الوِش»!

- أنا لا أهتم بالوش، ممكن أصب لك فنجانك أولا.. هل تشربها بسكر؟
- لا.. سادة.
- ممتاز، وأنا كذلك.. ها؟ هل أضيف فنجانا؟
- لا.. سأنتظر!

لم تسقط ابتسامة شادي لحظة طيلة هذا الحديث، لكنها اهتزت هنيهة، وحلت محلها نظرة دهشة وامتعاض، ثم أعاد ارتداء ابتسامته البلاستيكية، وقال:

- كما تريد.. لكن لماذا؟

قال عماد وهو يفتح درفة المطبخ الخشبي، ويتناول منها برطمانا زجاجيا:

- لا أشرب من هذا البُن.. معي البُن الخاص بي..

التفت إليه شادي باهتمام، وسأله:

- حقا؟ وما الفرق؟
- هذا بن غامق، مضاف إليه «التحويجة».. أنتقيها بنفسي وأطحنها عند البنّان!
- آه! وهل النتيجة مختلفة حقا؟ هل أستطيع أن أجربه؟

قال عماد بسرعة:

- بالتأكيد! البن الغامق يعني أنه ناضج تماما، كما تصنع أنت القهوة بالماء البارد.. نفس الفكرة.. حتى تأخذ القهوة حقها في النضج على نار هادئة، أما التحويج...

استرسل عماد يشرح طريقته في انتقاء البن والتحويجة وصنع القهوة، وهو يصنع لشادي فنجانا معه، بينما لمعت عينا (شادي) في ظفر وهو يستمع إلى عماد. هكذا تجعل صموتا يتكلم.. هكذا تُحوّل

علاقات العمل إلى علاقات صداقة حتى تأخذ منهم ما تريد.. هكذا تؤكل الكتف.. هكذا ينجح شادي دائما.

وقف عماد يرشف فنجانه مع شادي، وهو مستمر في الثرثرة، دون أدنى فكرة لديه عما فعله شادي.. فقط لاحظ أن الابتسامة البلاستيكية لم تعد لزجة إلى هذا الحد، والنظارة الضيقة لم تعد مستفزة أو مزعجة على الإطلاق.

كان يتكلم بحماس وانهماك عن شيء ما، حين رأى فجأة وجها أنثويا مألوفا، فتوقف عن الكلام. أتاه صوتها الذي يفتقر إلى الأنوثة كما عرفه في الماضي:

ـ أهلا عماد!

ـ هبة؟

كانت فتاة شابة باشّة، تعطيك ملامحها المبتهجة إحساسا بالدفء، ولا تلاحظ حتى أنها تفتقر إلى الجمال. تقدمت منه متجاهلة وجود شادي، ومدت يدها تصافحه بحرارة، بينما هو متجمد تماما وكأنه لا يستطيع استيعاب مجرد وجودها هنا. رائحة الريحان تتسلل إلى خياشيمه.. هل هي رائحتها أم رائحة الذكريات؟

التفتت إلى (شادي) وصافحته بدوره، قائلة:

ـ هبة، موظفة جديدة هنا.

سألها عماد مندهشا:

ـ أنت؟ موظفة هنا؟

قالت بابتسامة عابثة:

ـ نعم! أيزعجك هذا؟

ـ لا.. قصدي.. لم أعرف..

ـ خرجت حالا من المقابلة الشخصية!

- طيب.. أهلا بكِ.
- شكلك غير سعيد بهذا.
- لا.. أبدا..
- طيب.. كمال بك يريدك.
- أنا؟ الآن؟
- نعم. قال لي أرسلي عماد الصاوي حالا!

ترك عماد فنجانه في الحوض، وأسرع لمكتب كمال بك.

نعم هو صار قريبا من كمال العسال، لكن ما طلبه منه كان مفاجئا فعلا.

في البداية سأله إن كان يعرف طريقة للتجسس من على بعد على هاتف ذكي يعمل بنظام أندرويد. أجاب عماد بأن الأمر يحتاج إلى «هاكر» محترف، إلا إذا كان الهاتف نفسه لدينا.

- ولو كان التليفون نفسه معنا؟
- ساعتها سنزرع تطبيقا بسيطا يعمل في الخلفية ويسمح لنا بمراقبة وتسجيل كل شيء يجري فيه.

أخرج كمال عسال من جيبه هاتفا وناوله لعماد قائلا:

- هذا هو التليفون. ازرع التطبيق!

تناول عماد الهاتف وهو يغالب شعوره بالمفاجأة، وبدأ العمل. حمّل التطبيق بصيغة apk، وثبته في الخلفية، وتأكد من إعداده للعمل. وعندما فتح إعدادت الجهاز، وجد البريد الإلكتروني يشي باسم صاحب الجهاز بوضوح: شاهندة مختار.

انتهز فرصة انشغال كمال العسال في مكالمة هاتفية لدقائق، فتناول هاتفه وبحث سريعا على الإنترنت، ليجد المفاجأة الأكبر.. شاهندة هي زوجة كمال العسال!

دس الهاتف في جيبه بسرعة محاولا إخفاء دهشته، وأكمل إعداد الجهاز، وشرح لكمال بك كيفية مراقبة الجهاز من حاسبه المحمول، صوتا وصورة. ثم انصرف.

ما معنى هذا؟ لماذا يريد كمال العسال مراقبة زوجته؟

هل يشك فيها؟ وهل كان يعرف أن عماد سيرى اسمها على الجهاز؟ ألم يخش من فضح شيء كهذا؟ هل بلغت ثقته بعماد هذا الحد فعلا؟

عاد عماد إلى مكتبه وألقى نظرة على المكاتب والموظفين حوله في زهو.. لقد اختلفت الأمور تماما منذ جاء هنا.. لم يعد كمال العسال بحاجة إليه فحسب، بل صار هو يحمل أدق أسراره.. هذا السر الذي ائتمنه عليه كمال بنفسه، إلى جانب أسرار أخرى لا يعرف أن عماد يعرفها..

فتح برنامجا على جهازه، ونقر عدة نقرات، حتى ظهرت شاشة جهاز كمبيوتر آخر.. تراجع بظهره وراح يراقب.. كانت الفأرة تتحرك، وتفتح نافذة متصفح.. صفحة رسائل فيس بوك، وكلام يُكتب من حساب (كمال العسال) إلى (شاهندة). توقف الكلام عن الظهور على الشاشة.. ولم يضغط زر الإرسال. هل هو يفكر؟ ربما جاءته مكالمة تليفونية، أو انشغل بإشعال سيجارة، أو... ماذا لو أنه...؟

أغلق عماد نافذة البرنامج بسرعة والتفت خلفه.. وجد ما توقعه.. هناك كان كمال العسال يقف خلفه تماما.

#٦

منشور على فيس بوك:

@كريم لطفي:

«هل تعلم، عزيزي الطالب، أن الوقت في أيام الامتحانات يمر بسرعة تُقدر بواحد على خمسين من سرعته الطبيعية؟ وهل تعلم أن الوقت نفسه، في أوقات الامتحانات نفسها، يمر بسرعة تُقدر بخمسين ضعفا من سرعته الطبيعية عندما تبدأ المذاكرة؟ وهل تعلم أن الوقت في امتحانات السنة الأخيرة يتوقف تماما؟ وهل تعلم أن آخر امتحان في آخر سنة لك في الجامعة وفي التعليم عموما، هو لعنة حقيقية؟».

***

كتب كريم تحديث الحالة على الفيس بوك، وضغط زر الإرسال.

فتح صفحة مجموعة «إعلانات شبرا»، وتفقد آخر المنشورات، ووافق على آخر طلبات الانضمام للمجموعة. كانت هذه مجموعة أنشأها منذ بداية ظهور مجموعات الفيسبوك بشكلها الجديد، ونجحت نجاحا باهرا، وصارت سوقا نشطة لنشر الإعلانات عن كل شيء تقريبا.. سيارات، أجهزة، ملابس، كتب، هواتف مستعملة.. وكلها لأبناء منطقة شبرا.. وبعد ذيوع صيت المجموعة كثر نشاط السماسرة وصارت المجموعة ملتقى

معروفا لتأجير وبيع الشقق.. لم يكن يكسب شيئا من هذه المجموعة، حتى الآن، برغم عدد أعضائها الهائل، لكنه قدر أنه سيتلقى طلبات بالإعلان في مجموعته يوما ما.. يجب أن يفكر في هذا الأمر فيما بعد.

ترك الحاسب تماما، ونهض ليجلس أمام أكوام الكتب والمذكرات في بؤس. من أين يبدأ؟ السؤال الأذلي، تتبعه أسئلة أخرى تزيد من حجم المأساة: كم سيستغرق كل هذا؟ هل سيتمكن من الإلمام بالمادة؟ بالأجزاء المهمة؟ هل سيُكتب له أن ينال بعض النوم في هذه الليلة المباركة؟

كان وقتا عصيبا يمر به كريم.

طالب في كلية الآداب قسم علم النفس، وغدا هو موعد الامتحان الأخير للمادة الأخيرة في السنة الأخيرة في دراسته الجامعية.. قد يكون الامتحان الأخير والأصعب في حياته كلها.

يتردد على المسجد ليؤدي الصلاة مع الجماعة في موعدها. في الأوقات العصيبة خصوصا يصير مدفوعا للتقرب من الله.

للأسف لم يكن كريم من الطراز الذي لا يبالي.. ليس من المحظوظين الذين يستطيعون دخول امتحان دون قراءة كلمة واحدة عن المادة، حتى لو كانت مادة غير مهمة أو لن تضاف للمجموع أو لأن هناك فرصة أخرى، أو... مهما كان الامتحان ومهما كانت المادة، يظل كريم منكبا على الكتب والمذكرات يحشرها حشرا في ذاكرته المنهكة. يُروى أنه كان يذاكر التربية القومية كما يذاكر الجغرافيا والتاريخ واللغة الإنجليزية.. التربية القومية.. هل تتخيل؟! اعتاد الضغط العصبي في أي امتحان مهما كان تافها، فما بالك بالامتحان الأخير؟

في لحظة ما بلغ التوتر به المنتهى، لم يعد يحتمل المزيد، سينهار في أية لحظة هكذا..

أين فاروق الوغد الآن؟ لا بد أنه يقضي ليلته في «غرزة» ما، يدخن

الحشيش حتى الصباح، غير مكترث بامتحان الصباح، ثم بعد ذلك، في لجنة الامتحان، كلام آخر.. المراقب والبرشام والغش واللاصق الشفاف والكتابة على الذراع.. إلخ..

تمنى كريم لو كان يجيد هذه الأمور.. ما أسوأ شيء سيحدث هنا؟ يرسب في مادة؟ يعيد السنة؟ ومن قال إنه سيعثر على عمل أصلا بليسانس آداب علم النفس هذا؟!

وقف وسط غرفته في يأس. نهض يدور في الغرفة كسمكة في حوض زجاجي، لا تدري إلى أين تذهب. ألقى نظرة على شاشة الكمبيوتر، فلمح علامة التنبيه الحمراء في حسابه على الفيسبوك. جلس أمام الجهاز، وفتح التنبيه. كان هذا طلب صداقة جديد.. فتاة اسمها سارة ربيع. من هذه؟ هل هي من الجامعة؟ لا يتذكر الاسم. فتح صفحتها الشخصية. صورتها الرمزية لشخصية كارتونية ما. فتح ألبوم صورها، فوجد بعض الصور الشخصية لها.. الكثير من صور السيلفي تلتقطها لنفسها بالزاوية الجانبية نفسها في كل مرة.. زاوية مدروسة تبرز ابتسامتها الساحرة وغمازتيها المميزتين.. لا بد أنها تدربت كثيرا وجربت كثيرا حتى توصلت إلى هذه الزاوية واعتمدتها زاويتها الرسمية! جميلة حقا.. غير محجبة.. بعض الصور على البحر، كورنيش الإسكندرية فيما يبدو.

يقبل الإضافة ثم يتصفح منشوراتها الأخيرة التي كان معظمها محجوبا قبل قبول طلب الصداقة.. تسحبه المنشورات إلى عالمها، وكأنه تسلل إلى غرفتها.. وكأنه يلمس روحها، أو كأن روحها تلمسه.. يشعر بها ويتوحد مع مشاعرها.. منشورات حزن، إحباط، تمرد، يأس، اكتئاب.. يتخلل كل ذلك دعابات مرحة ومنشورات متفائلة مبتهجة! ما هذا التناقض؟ ثمة خواطر أخرى لا تأتي إلا من أنثى شديدة الجمال، وفخورة بجمالها إلى حد النرجسية.. هي جميلة، لكن ليس إلى هذا الحد. ثم.. نقد أدبي لبعض الروايات.. منشورات تنمية ذاتية.. نصائح لحياة زوجية

سعيدة؟ ما هذا «العك»؟ من هذه الفتاة بالضبط؟

ينظر إلى الساعة ليكتشف فجأة أنه قضى أكثر من ساعة يتجول في صفحتها.. تبا! يجب أن يتوقف.. هو مراهق، وهو يعرف هذا، لكن ليس إلى هذا الحد.. ليس لدرجة الافتتان بفتاة من الفيس بوك، لم يرها من قبل، وفي ليلة امتحانه الأخير!

أغلق الصفحة، ونهض يعد لنفسه كوبا من الشاي، ثم عاد إلى صفحتها كالأبله. راح يقرأ المزيد من منشوراتها.. لاحظ أن أعداد الإعجابات والتعليقات على منشوراتها كبير حقا.. هذا غريب.. ربما هي مدونة؟ تهوى الكتابة والتأليف؟ هذا قد يفسر المنشورات العجيبة المتناقضة، فلربما هي تكتبها على سبيل الخواطر الأدبية.

فتح التعليقات على أحد المنشورات، فلم يجد لها ردودا.. هذا غريب أيضا. لماذا لا ترد على أصدقائها؟ أم أنهم ليسوا...؟

"سارة ربيع معجبة بمنشور لك".

انبثق التنويه أمامه فجأة فتبعه بمؤشر الفأرة.. لا شيء آخر. أعجبت بالمنشور وهذا كل شيء، ماذا كان يتوقع؟ تحليلا عميقا للأسباب والدوافع التي دفعتها للإعجاب بالمنشور؟

كان المنشور مجرد أغنية قديمة لعفاف راضي يحبها ويبتهج بها بشكل خاص برغم أنها تبدو أغنية كئيبة نوعا. فتح رابط الأغنية وأغمض عينيه ليستمع إليها:

يا لُقا الغريب

على صدر الحبيب

يا شوق المسافر.. للمرسى القريب

يا وداع الصحاب

وعودة اللي غاب
وفراق الأحباب
وحيرة الأغراب
«سارة ربيع أرسلت لك رسالة خاصة».
- ماذا تفعل؟
وكأنها تعرفه. وكأنهما أصدقاء قدامى. بداية غريبة. يستطيع أن يجاريها:
- أضيع الوقت! عندي امتحان مهم في الصباح! 😂
- 😮
وهكذا.. ساعتان من الثرثرة!

أي شيء في هذا الوقت ممتع بالتأكيد ما لم يكن مذاكرة طبعا، لكن الحق يقال، الوقت معها كان ممتعا بالفعل، بغض النظر عن موضوع الهروب من المذاكرة هذا. كانت مرحة جريئة، تتكلم بثقة كالأولاد.. تقتحمه وتتحدث في أي شيء.. هذا جديد عليه. شعر بشيء جديد. لا، ليس جديدا.. لقد شعر بهذا من قبل.. «الشرارة».. المغناطيس الوهمي الذي يسحبه إليها.. كل الأفكار تقود إليها.. كل الطرق تنتهي بها.. ستكون أياما سوداء فيما يبدو!

تركها مرغما في النهاية.. لن يضيع امتحانه الأخير من أجل دردشة عابرة مهما كانت ممتعة.

لكنها لم تكن دردشة عابرة. في اليوم التالي أنهى امتحانه وعاد مسرعا إلى البيت ليصل ما انقطع من الحديث، متخلفا عن سهرة الرفاق المعتادة بعد الامتحان الأخير، وخاب أمله عندما لم تظهر، وضاعت سهرته هباء. وحتى عندما التقاهم مساء اليوم التالي لم يكن عقله معه، كان هناك.. مع سارة. لم يكمل الجلسة معهم على المقهى للنهاية، عاد

مسرعا يبحث عنها، لم يجدها متاحة فانتظرها.. وظهرت. أخيرا ظهرت.

هذه المرة تكلما أكثر. هذه المرة كان حرا، لديه الكثير والكثير من الوقت.. ولديه الكثير من الكلام كذلك.

سألها عن صفحتها العجيبة، وأعداد الإعجابات الضخمة على كل منشوراتها، فقالت ببساطة:

- هذا هو العادي.. هذه ميزة أن تكون فتاة!
- لكن.. أعني.. ولو.. هذا كثير حقا!
- أنا أكتب كثيرا.. كما ترى. وهم يحبون ما أكتب.. هذا هو كل شيء..

حدثته عن نفسها.. عن الفراغ.. عن أسرتها.. عرف عنها الكثير.. إسكندرانية، في السنة الثانية بكلية التجارة، أنهت امتحاناتها قبله بثلاثة أيام.. تعيش مع أمها وزوج أمها وأختها الكبرى المطلقة هي وابنتها الصغيرة ذات الأعوام السبعة.

حدثته عن بنت أختها الطفلة الموهوبة في الرسم المصابة بالتوحد، وأرسلت له بعض رسوماتها.. حدثته عن الحياة في بيت ضيق كهذا دون خصوصية مع زوج أم وغد لا يكف عن التحرش بأختها الكبيرة، وعن التهامه لها هي بنظراته الجشعة.. لا بد أن دورها سيأتي..

نسي كريم كل شيء عن حياته قبل سارة.. انغمس في عالمها.. سينتهي كل هذا يا سارة.. سينتهي نهاية سعيدة حين نصير معا!

***

قالت له سارة:

ـ حكيت لك كثيرا عن نفسي.. وأنت لم تقل شيئا!

ـ لا شيء يقال.. أنا شخص عادي.

ـ 😠 لا أحد عادي.. تكلم!

ـ طيب.. ماذا تريدين أن تعرفي؟

ـ كل شيء!

ـ اسألي وأنا أجيب.

حكى لها عن دراسته.. أسرته التقليدية، الأب مدرس رياضيات والأم موظفة في وزارة التعليم. لا طموحات أو أحلام خاصة لديه.. فقط هو مؤسس ومدير مجموعة واسعة الانتشار على فيس بوك اسمها «إعلانات شبرا». كانت هذه المعلومة تثير الانبهار عادة، لكن سارة لم تبد مهتمة بالأمر أصلا. حاول إثارة إعجابها بالموضوع.. حكى لها عن عدد الأعضاء.. عن التفاعل المبهر.. عن الصفقات التي تتم على المجموعة، وعن المساعدات الخيرية التي يوفرها الأعضاء القادرون للفقراء.. لا يبدو أن هذا غير من رأيها.. كتبت:

ـ بصراحة، معجبة بحماسك أكثر من الموضوع نفسه.. أكمل كلامك..

لم يكن ينتظر الإشارة، راح يحكي لها كل شيء.. كيف فكر في الموضوع.. كيف بدأ وكيف نما.. كيف يدير النقاشات وكيف يتعامل مع الأعضاء المتجاوزين.. أحلامه للمجموعة...

ـ عندك أحلام للمجموعة، ولا أحلام لنفسك؟

ـ المجموعة ناجحة.. لكن أنا جربوع! 😂

ـ المجموعة ناجحة وأنت مؤسسها، فأنت إذن ناجح.

ـ ولو.. المجموعة لن تؤكلني عيشًا.

ـ هذه المجموعة..

ـ ماذا؟

ـ أثرت فضولي بها.. مع أني لا أهتم بهذه الأشياء!

***

كتب لها:

ـ أريد أن أسمع صوتك.

ـ صوتي لن يعجبك!

ـ أشك بشدة.. دعيني أنا أحكم.

لم ترد.

ألح:

ـ هيا يا بنتي.. لنتكلم في التليفون.. مرة!

لم ترد. واصل الإلحاح:

ـ هاتِ رقمك!

انقطع اتصالها.. خرجت تماما.

في اليوم التالي عاتبها غاضبا، فتحججت بأن أمها كانت بجانبها واضطرت لإغلاق الإنترنت تماما.

ـ طيب هاتِ رقمك.

هذه المرة أعطته رقمها.

عندما اتصل بها ردت عليه همسا.. كانت ترد باقتضاب شديد، وأنهت المحادثة بعد دقيقة. جلس يسترجع المكالمة.. صوتها غريب.. ليس كما تخيله.. لا يبدو مناسبا لملامحها.. معها حق، لم يكن سعيدا بالتجربة.. لا بد أنها تعرف عيوبها حقا!

في المحادثة التالية كتبت له:

ـ لا أحب الكلام في التليفون.. وماما ستلاحظني.. هنا أحسن.

لم يلح هذه المرة.. على كل حال عقله يحتاج إلى بعض الوقت لإعادة تخيل صوتها الجديد مع شكلها القديم الحبيب..

***

كان يثرثر معها - كتابة - وهو يتأمل صورها.. يقطع تسلسل الحوار من وقت لآخر معلقا على ابتسامتها في صورة أو ملابسها في صورة أخرى.. يكاد يرى ابتسامتها الخجلة ويلمس شعورها بالارتباك والإطراء مع كل تعليق منه.. لكنها ترد ببساطة دائما..

في إحدى المرات ذكرت شيئا عن بقية الصور التي لا تنشرها للعامة لما فيها من «التحرر».. قالت إنها صور التقطت في تجمعات أنثوية حصرية.. أبدى اهتمامه بالاطلاع على مثل هذه الصور، فتمنعت بدلال وغيرت الموضوع.. لم ترفض بشكل قاطع ولم تغضب. لم تفته الإشارة.. هي لا تمانع، ولكنها بحاجة إلى بعض الإلحاح.. بحاجة لأن تشعر أن هذا جميل سيحمله لها.. هذه فرصة لنقل العلاقة لمستوى أعمق.. التقط الإشارة وزاد من جرعة التعليقات على صورها والتعبير عن اهتمامه بتفاصيلها.. تفاصيلها هي.. ونجح.

في المحادثة الثالثة أرسلت له أولى صورها «الخاصة».. أصرت قبلها على الحصول على تعهداته ووعوده بعدم الاحتفاظ بالصورة بعد رؤيتها.. أعطاها ما شاءت من التعهدات، حتى حصل على الصورة. لم تكن إلا صورة بثوب مفتوح الصدر، لكنها ضخت الدم الحار في جسده.. طالبته بحذفها فأدار دفة الحديث وطالب بالمزيد.. لا بد أن شعورها بالإطراء كان أقوى منها، أو أنها لم تكن جادة حقا في مسألة حذفها هذه.. انساقت له وأرسلت له المزيد.. والمزيد.. مساحات جسدية أكبر.. ثم صورة بالمايوه تجمد أمامها لدقائق منبهرا..

ـ ماذا؟ لماذا لا ترد؟!

- أسف.. لكن الصورة مبهرة!
- 😠 طيب كفاية.. لازم تمسحهم!

حاول التملص ولكنها أصرت، فوعدها صادقا أن يفعل بعد أن يملأ عينيه بها!

- ماشي.. لكن الليلة!
- الليلة!
- قبل أن تنام!
- قبل أن أنام!

قضى أكثر من ساعة بعد ذهابها يتأمل الصور حتى نسخها جميعا إلى ذاكرته.. لم يعد بحاجة إلى الصور حقا.. ثم إنه لن يخلف وعده لها.. مسحها ونام.

استيقظ في اليوم التالي مبتسما وهو يسترجع الصور في عقله.. اتجه إلى الكمبيوتر وفتح جوجل ليكتب: «برنامج استعادة الملفات المحذوفة».. واستعاد الصور في دقائق.

عندما سألته أقسم أنه حذفها.. ليس صعبا أن يبرر لنفسه أنه لم يكذب.. لقد حذفها بالفعل في البداية.

***

لكنها في المرة التالية سألته بوضوح:

- أنت حذفت الصور فعلا؟
- نعم.
- نهائيا؟
- حذفتها.. هل هناك نصف حذف؟
- يعني نهائيا؟ ليس في سلة المهملات؟ لم تستعدها ببرامج الاسترجاع؟

ـ ممم...

ـ ماذا؟

ـ تريدين الصراحة؟

ـ طبعا!

ـ بصراحة لم أقدر.. حذفتها كما اتفقنا، لكني استرجعتها في الصباح!

خرجت سارة دون رد. لقد غضبت.

يوم.. يومان.. ثلاثة...

كتب لها:

ـ أين أنتِ يا سارة؟ ما كل هذا؟

ـ أنا لم أرتكب جريمة!

ـ لن تردي؟

ـ مصممة؟

ـ اذهبي إلى الجحيم!

بعد يوم آخر كتب لها:

ـ أنا آسف.. سامحيني..

وبعد يومين آخرين:

ـ سارة.. أرجوك.. أريد التحدث معكِ.

عندما ظهرت أخيرا عمرها بالاعتذارات.

قالت بفتور:

ـ خلاص. الموضوع انتهى. ما أخبار مجموعتك.

ـ تمام. ما رأيك تدخلي المجموعة معي؟

ـ لماذا؟ أنا لا أشتري أو أبيع..

- لتساعديني في إدارتها.. أرى أنكِ أصبحت مهتمة بالموضوع أخيرا.. صح؟
- نوعا ما..
- اعترفي!
- بصراحة الفكرة جميلة، لكن إعلانات وتجارة.. شيء ممل!
- بالعكس.. المجموعة مليئة بالحياة، والناس يتبادلون الأفكار والمناقشات والقصص.. أنا أقضي ساعات فيها! جربي.. لن تخسري شيئا!
- طيب. نجرب.
- تمام.. أضفتك كمديرة للمجموعة.

***

اختفت سارة في اليوم التالي، فجلس كريم ينتظرها وراح يتسلى بمشاهدة رسومات بنت أختها فريدة التي أرسلتها له.. لم ترق له رسوماتها، وبدت له طفولية أكثر من اللازم.. نعم هي طفلة ومصابة بالتوحد، لكن هذه ليست مشكلته، هو لا يحب هذه الرسوم الغبية، خاصة بالمنظور غير المنطقي الذي ترسم به هذا، حيث ترسم كلتا العينين في الوجه من المنظور الجانبي.. لكن.. مهلا! توقف عند واحدة من اللوحات.. لوحة ساذجة كالعادة، لكن ألوانها تبدو متقنة.. متقنة أكثر من اللازم.

ماذا لو..؟

فتح جوجل وبحث بالصورة، فوجد ما كان يخشاه.. هذه ليست لفريدة!

هي لوحة لفنان كوبي اسمه جوزيه فوستر José Fuster اعتاد رسم اللوحات الفطرية. كل هذا كان كذبا؟!

استعرض لوحات الفنان الكوبي.. كانت لوحات فريدة الأخرى

كلها له.. هذا كذب منظم.. كذب مخطط له مسبقا!

فيم كذبت أيضا؟ هل بنت أختها اسمها فريدة أصلا؟ هل هي مصابة بالتوحد فعلا؟

لكن لماذا؟!

كتب لها رسالة طويلة غاضبة، وضغط زر الإرسال قبل أن ينتبه إلى كمية الاتهامات والشتائم التي استخدمها.

كيف يتراجع؟ كيف يمسح هذا؟

ماذا لو كانت لا تعرف؟

ماذا لو كانت الفتاة هي التي خدعتها؟

أرسل لها رسالة اعتذار.. لم ترد.

هل غضبت منه؟ هل انتهت علاقتهما بهذه البساطة؟

لماذا لا ترد على رسائله؟ لماذا هاتفها مغلق طوال الوقت؟

ربما هي مشغولة؟ ربما لديها مشكلة ما؟

سينتظر.. لا داعي للفزع، لقد غابت من قبل وعادت من تلقاء نفسها بعد يومين.. فلينتظر.

يحاول النوم بلا جدوى.. تطارده سارة وتطرد النوم من عينيه.. لقد انشغل بها عن كل شيء.. لم يعد يلتقي بأصحابه، ولم يعد حتى يتابع مجموعته ال... المجموعة!

هب من فراشه فجأة وفتح الفيس بوك ودخل على المجموعة في فزع.. هنا وجد الكابوس الذي لم يتحسب له.. لقد طردته منها. لم يعد مديرا للمجموعة!

***

عندما ذهب كريم إلى «الشلة» في المقهى وجدهم هناك كالعادة..

لو نام في الكهف عشرين عاما ورجع فلسوف يجدهم هنا كما هم، لا ملجأ ولا مثوى آخر لهم إلا هنا.. فقط سيستقبلونه بالسخرية المعتادة:

- أين كنت غاطسا؟
- عاش من شافك؟
- أعطَتْكَ مقلبا فتذكرت أصحابك أخيرا؟

لا أحد منهم يعلم بأمر سارة، لكن هذا أول سبب للغياب يتبادر إلى أذهانهم.. لو علموا كم هم محقون هذه المرة!

جلس في ركن، شاردا ساهما ينتظر انتهاء الجلسة.. كان ينتظر صلاح الذي كان يلعب دور طاولة. ما إن انتهى صلاح، حتى انتحى به كريم جانبا قبل أن يدخل في دور آخر، وقال له:

- صلاح، أريدك في موضوع مهم.

اختار صلاح لأنه هو من يفهم في أمور التكنولوجيا وسط هذه المجموعة الفاشلة، إلى جانب أنه بني آدم أصلا، نبتت له أحاسيس ومشاعر، فعلى الأقل لن يشبعه سخرية أو يفضحه على الملأ لو عرف. جلسا معا إلى طاولة جانبية، وحكى له قصته مع سارة باختصار، متجاهلا التعليقات الساخرة القادمة من طاولة الأوغاد من طراز «عنده مشكلة عاطفية هاهاها»!

استمع له صلاح باهتمام، حتى ختم كريم قصته وقال:

- أنت الوحيد الذي يمكنه مساعدتي.. ماذا أفعل؟ هل أصالحها؟ وكيف أصالحها أصلا؟ المشكلة أنها حظرت حسابي وحتى رقمها تغير.. هل نستطيع أن نعثر على عنوانها أو...

قاطعه صلاح بإشفاق:

- كريم، ماذا تقول؟ ألا تفهم حقا؟
- أفهم ماذا؟

- كل هذه لعبة.. لقد خدعتك!
- لا، لا.. أنا حكيت باختصار.. ربما لم أحكِ لك بتفاصيل كافية، لكن.. حسنا، سأقول هذا لكن لا تخبرَ أحدا أبدا..
- ماذا؟
- كان هناك شيء بيننا.. شعور.. متبادل بالتأكيد.. لكنها فتاة متحفظة وكان في الموضوع بعض الصور الخاصة.. هذا جنون، ربما، لأننا لما نتقابل طبعا، لكنني أحبها حقا.. وهي أيضا..

قاطعه صلاح في حدة هذه المرة:
- كريم! هذا جنون فعلا.. ألا تسمع نفسك؟ هذه لعبة.. لقد وقعت في حبائل «كاتفيش»!
- كاتفيش؟
- حساب مزيف على شبكة اجتماعية بهدف.. لا أعرف، بأي هدف، النصب أو التسلية أو أي شيء..

ضحك كريم بعصبية وقال:
- لا، أنا لست بهذه البلاهة.. أقول لك كان بيننا كيمياء حقيقية..
- بل هكذا أقنعتك! فكر يا كريم. من أرسل للآخر طلب الصداقة؟

تردد كريم، ثم قال ببطء:
- هي.
- من استفاد في النهاية؟

لم يرد كريم هذه المرة.. فاستمر صلاح:

- هل كانت ترفض المقابلة؟ هل كانت تكذب؟ هل كشفت كذبها؟ هل قطعت وسائل الاتصال بينكما بمجرد اكتمال اللعبة؟ هل...

ظهرت أمارات الرعب على كريم وقد بدأ يستوعب. أغمض عينيه ورفع كفه أمام وجهه يشير لصلاح بالتوقف.. نعم.. هو الآن يتذكر.. هو الآن يفهم.

قال صلاح في تعاطف:

- لا تضايق نفسك.. سنحاول معا، ربما نستطيع استعادة المجموعة منها لو..

قال كريم بصوت مختنق:

- أي مجموعة يا صلاح؟! أنا.. أنا أحببتها!

- آسف يا كريم، لكن.. أنت مخطئ.. هذا ليس حبا.. الحب لا يمر عبر الشاشات.. لقد ضحكت على نفسك ببساطة.. تقمصت دورا في لعبة، واقتنعت به، والآن انتهى العرض وحان الوقت لكي تفيق.

٧#

حمل عماد مكتبه من الجانب، بمواجهة رضا الذي حمله معه من الجانب الآخر. دارا معا بالمكتب نصف دائرة، حتى استقرا به في الوضع العكسي، بحيث يصير ظهر عماد وهو جالس أمامه باتجاه الحائط، بعكس بقية المكاتب الصغيرة في الصالة.

أعادا وضع جهاز الكمبيوتر وتوصيلاته على المكتب.

قال رضا وهو يوصل بعض الأسلاك:

ـ ما زلت لا أفهم.. لماذا تحتاج إلى كل هذا؟

ـ قلت لك يا رضا.. ضوء الصالة من خلفي ينعكس على الشاشة ويصيبني بزغللة!

ـ لكن هكذا سيأتي الضوء من النافذة التي خلفك أيضا.

ـ لا.. سأدير الشاشة قليلا هكذا.

ـ ممم.. ولماذا لم تدرها قليلا في الوضع الأول؟

ـ خلاص يا رضا.. أنا مرتاح هكذا يا أخي!

ـ طيب يا أستاذ عماد.. أنا قصدي راحتك. أنت حر!

لحوح أنت يا رضا.. لحوح وفضولي! ماذا أقول لك؟ أريد وجهي للصالة حتى لا أفاجأ بكمال العسال ينظر إلى شاشة جهازي كما حدث من قبل؟

مر الموقف الأول بسلام. بمعجزة ما لم يلحظ كمال العسال أن هذا البرنامج المفتوح كان يُظهر جهازه هو شخصيا. كان يريد أن يكلف عماد بتعديل بعض الصور وإعادة إرسالها له، وكان خارجا لينصرف.. ظل عماد يحدث نفسه بأنه قد لاحظ الشاشة وتظاهر بالغباء، ثم أيقن أن كمال العسال لا يمكن أن يلاحظ شيئا كهذا.. شاشات الويندوز كلها تتشابه بالنسبة له. مر الموقف بسلام لكن عليه أن يضمن ألا يتكرر.

هذه المرة فتح البرنامج وجلس يراقب شاشة جهاز كمال العسال باطمئنان تام.

***

- آنسة آية!

التفتت آية لعماد الذي يناديها على استحياء بصوت منخفض وهي على مكتبها. ألقت عليه نظرة بهدوء ثم عادت تنظر للشاشة وأصابعها ما زالت تجري على لوحة المفاتيح، وقالت:

- أهلا عماد. خير؟

- عندي فكرة، أريد مساعدتك فيها.. في العمل طبعا!

ضحكت وقالت:

- بالتاكيد في العمل! تفضل!

- الفكرة ببساطة هي اصطياد مدير مجموعة على فيس بوك والإيقاع به لسرقة المجموعة منه.. وربما حسابه الشخصي إن أمكن.. سنبدأ بـ...

صاحت فجأة بحدة:

- ماذا تقول؟ اصطياد؟ وسرقة؟ ماذا تظنني بالضبط؟

- أنا لا.. لا أقصد..

ـ أنا المخطئة منذ البداية أن جاريتكم في هذا الهراء.. لن أعمل في هذه الأعمال القذرة بعد ذلك.

ـ إحم.. لكن، حضرتك.. هذه أوامر صاحب الشركة، وحضرتك موظفة هنا و...

احتقن وجهها وانقلبت ملامحها غضبا، وهي تصيح به:

ـ وهذا هو قراري يا أستاذ عماد، إما هذا أو فالله الغني عن هذا العمل أصلا.

ـ اهدئي يا آنسة.. ما أردت قوله هو...

امتدت يد من خلفه قبضت على يده وسحبته بعيدا عن آية.. كانت هبة. جرته جرا حتى مكتبه. صاح بها:

ـ هبة! انتظري.. كنت سأشرح...

ـ تشرح ماذا؟ كنت ستفسد الأمر أكثر. اجلس واهدأ.

ـ يا هبة، هذه الطريقة...

وضعت سبابتها على فمه، وكررت:

ـ اهدأ أولا!

ـ هدأت يا ستي. وماذا بعد؟

ـ أنت مدرك أن ما نفعله به بعض التلاعب والتضليل..؟ يعني حسابات مزيفة وما إلى ذلك؟

ـ نعم، لكن هذا عالم افتراضي والأمر يختلف...

ـ بغض النظر عن قناعتك أنت.. بعض الناس سيجدون غضاضة في أعمال كهذه.

ـ ممكن..

ـ كيف تتعامل مع هؤلاء؟

ـ أقنعهم.

- لا.. هم يقومون بالواجب.. يقنعون أنفسهم بأنفسهم.
- كيف؟
- كثير منهم، بل معظمهم يشعرون بالذنب بالفعل، لكنهم يقنعون أنفسهم بأن هذه مشكلة الإدارة وقراراتها وهم أبرياء منها.. لا تضع هذه القناعة على المحك.. لا تضع موظفك في مواجهة ضميره.. لن يختار العمل!
- حقا؟ هذا رأيك؟

قالت بابتسامة عريضة:

- لا.. أنا لا أمانع! أنت تريد اصطياد مدير مجموعة وسرقته؟ أنا معك!

***

في الصالة جلس أربعتهم يحيطون بالطاولة البلاستيكية البيضاء يلعبون «استيمشن»، وخامستهم (هبة)، تراقب اللعب بانتباه محاولة فهم القواعد، ولا تكف عن الإلحاح:

- ألعب معكم.. «بولة» واحدة!

لن نفهم الزمن أبدا. نحن لا نستوعب مقدار تأثيره علينا إلا بعد أن يقع بالفعل، مهما عرفنا أنفسنا أو ظننا أننا نفعل. مهما كانت إرادتنا وإصرارنا على مقاومته نفشل في النهاية، وينتصر هو، ليس لأنه يدحر عزيمتنا في كل مرة، وإنما لأنه يفعل الأكثر من ذلك.. يغيرنا نحن. تقرر «أنت» أنك ستظل متمسكا بحبك مهما طال الزمن.. وكأنك تفهم «الزمن» هذا حقا. هكذا تقول وهكذا تقرر.. لكن «أنت» الذي أصبحت عليه بعد سنة واحدة لم يعد هو «أنت» الذي قرر هذا من قبل. تتغير حياته وأفكاره ومشاعره، تختلف أولوياته ويخالفك الرأي ولا يحترم اختياراتك البلهاء، يرميها خلف ظهره ولا يبالي بها. رأيك بالنسبة له لا يختلف عن النصائح الحكيمة التي يتلقاها من جده.. قد يحبه ويحترمه، لكنه لن

يأخذ بهذه النصائح بالضرورة.. يواريها التراب، ولسان حاله يقول: هذه حياتي أنا، وأنا أدرى بها.. عشت زمنك، فاترك لي زمني.

عماد هذا مثلا، الجالس هنا على هذه الطاولة، هو عماد نفسه الذي كان حتى وقت قريب لا يمقت في حياته أكثر من (تامر)، ولا يفتأ يقاوم رغبته العارمة في قتله فورا كلما رأى وجهه.. ها هو الآن يجلس معه على طاولة واحدة، يلعبان ويمزحان وكأن شيئا لم يكن. لم يتلاش المقت، ولم يصبح تامر أقرب أصدقائه، وما زال تامر كما هو دائما، وغد أشِر، لكن التدرج يفعل المعجزات.. التدرج هو سلاح الزمن في تغييرنا. حصاة تسقط بعد أخرى، حتى يتساوى الجبل بالرمال.. قطرة تتجمع على أختها، فتتكوّن بحيرة لم تكن هناك من قبل.

ثم هبة.. هبة التي فعلت فيه ما فعلت، والتي كان قد قرر يوما أنه لن ينظر في وجهها أبدا بعد ذلك، والتي انقطعت كل صلاتهما واطمئن هو إلى اختفائها من حياته للأبد.. بعد كل هذا تعود إلى حياته بهذه البساطة؟

لماذا جاءت للعمل هنا بالذات؟ هل هي صدفة؟ هل تعمدت تعقبه؟ لا يعرف.. ولا يبالي.. لم يعد يبالي.

قال لها في اليوم التالي لانضمامها للعمل:

- هبة.. إذا كنا سنعمل معا هنا...
- أعرف.. لا داعي لهذا الكلام.. ما فات مات.
- حقا؟
- حقا. بالنسبة لي على الأقل.. قصتنا انتهت، وأنا لا أحاول استعادتها.. المهم أنت.. بالنسبة لك..؟
- انتهت.
- انتهت تماما؟
- ما قصدك؟

ـ لا ضغائن؟ زملاء فقط؟

ـ نعم.. فقط.

لم يكن يكذب.. لقد نسي كل شيء. نسيه فعلا. دفنه في مكان ما من عقله لا يتطرق إليه أبدا. هناك حيث يدفن الألم والحزن والصدمات. لم تعد رؤيتها تثير لديه أية مشاعر.. لم يعد بحاجة لتجنب رؤيتها.. لا فرق بينها وبين (سامي) مثلا.. لا يجد مانعا في أن تتواجد معه.. وكانت تفعل. لم يكن عماد يتكلم عن نفسه.. لا معها ولا مع أي مخلوق آخر، لكن هبة كانت تلقي له سؤالا وتصمت.. يجيب باقتضاب، فتواصل الصمت.. يجد نفسه مسترسلا في الحكي.. يروي ويروي من دون أن يفكر أو ينتبه لنفسه.. من دون أن ينتبه إلى أنه يفعل ما لا يفعله مع أحد آخر.. لكنها تتذكر.. تستمع إلى ما يقول وهي تعرفه..

لطالما كنت تفعل هذا يا عماد.. لطالما كنت هكذا، تنسى نفسك وأنت تحكي عن نفسك.. وتنسى أنك قلت ما قلت، وتعيد حكايته وكأنها أفكار طازجة وليدة اللحظة لم تروها لمخلوق من قبل.

تستمع له هبة دون ملل. يحكي بتلقائية، ولا يفكر في صياغته للكلمات، لا يحسب تأثير ما سيقوله عليها، لا يجتهد في صياغة ما يقوله ليخرج في أفضل صورة، لا يعيقه كيف يبدو في عينيها.. وكأنه لا يراها.. وكأنها ليست هنا.. أو.. كأنه يتحدث إلى نفسه.

كان يحكي فحسب. يسترسل في الكلام كما يهيم بأفكاره، من دون مجهود أو استهلاك لطاقته.. بل ربما، على العكس، تتجدد طاقته ويشتعل حماسه وهو يتكلم معها. ساعات من الثرثرة لا يشعر فيها بالوقت.. يتكلم عن كل شيء وعن اللاشيء.. كانت تجيد الاستماع وتعرف كيف تسحبه إلى عالمها.. لا تتكلم ولا تحكي هي إلا حين يطلب هو، عندما يريد أن يعرف أو ليلتقط حبل أفكاره من جديد، عندها تحكي وتروي ظمأه.. عندها يصير الاستماع إليها إشباعا لا مللا.

ساعات قضياها في الكلام والثرثرة، في التليفون، وفي المشي متجاورين بعد العمل، وفي الجلوس على المقاعد العامة في الشوارع، وفي المقاهي والمطاعم والحدائق والمواصلات. لم يكن عماد يدرك معنى كل هذا. لم يفكر فيما يحدث. لم يصنفه ولم يضع له اسما. ولم تطلب هي تسمية.. كان يكفيها وجودهما معا. ولم يشعر عماد بأنها تفرض نفسها عليه قط. كان حرا، لا يزال، ولم يقلّ شعوره بحريته وهي معه. ينصرف ويتركها متى يريد. يغلق هاتفه متى يرغب. لم تعترض هي، ولم يشعر هو بالذنب، أو بأنه مطالب بتفسير.

***

في ذلك اليوم سألته عما ينوي أن يفعله بعد العمل، في سهرة الخميس. حكى لها عن سهرة «الاستيميشن» مع «الشلة» في الشقة، فطلبت منه أن تنضم لهم.. هكذا ببساطة.

اعترض دون لحظة تفكير. سألته عن السبب، فبُهت للسؤال أصلا، ثم قال بعد وهلة:

ـ لأن هذا لا يليق.. هذا بديهي!

ـ ولماذا بديهي؟

ـ لماذا؟! المكان. الناس.. منطقة شعبية..

ـ ماذا عن كل هذا؟

ـ هل تمزحين؟ أنت بنت.. وهذه شقة شباب و...

ـ هذا شأني.

ـ سُمعتك.

قالت برنة أسى لم تفُته:

ـ سُمعتي لم أعد أبالي بها.

لم يعترض أكثر. لم يرد مناقشة هذا. لن يفتح هذا الباب المغلق.

قال مستسلما:

ـ أنتِ حرة.. لكننا لن ندخل العمارة معا.. واجهي مصيرك بنفسك!

ـ هكذا؟ لا تنس فقط أن تطلب حمايتي إن احتجت للحماية! هات العنوان!

هذه هي هبة، وهذا هو عهده بها. تجيد التعامل مع كل الناس، تخترق كل مكان تذهب إليه، وتتعامل ببساطة مع كل الناس.. تجلس في أحقر المقاهي، حيث لا تتواجد الفتيات عادة، وتنخرط في أحاديث مرحة مع القهوجي والزبائن وأرباب المعاشات الفضوليين طويلي الأنوف دون حرج. تأكل على عربات الفول في مناطق تجمع العمال الصنايعية ولا يطرف لها جفن. تفتح أحاديث مع بائع الجرائد، وتجلس بجواره على الفرشة وتقرأ الجرائد مجانا وتنصرف.

لكن كيف بالله ستدخل شقة شباب في منطقة شعبية كهذه وتخرج في سلام؟ عماد لا يدري، لكنه على يقين من أنها تستطيع.. كيف؟ لا يعرف هذه!

في الثامنة مساء - كما اتفقا - طرقت باب الشقة.

فتح لها الباب في حرج. تجاوزت هي المشكلة الأولى بشكل ما، ووصلت إلى الشقة ببساطة. والآن، كيف يتجاوز هو هذا الموقف؟ كيف يفسر قدومها هنا لحفنة من الشباب المراهق المكبوت؟ «بنت في الشقة؟ وحياة أمك؟».. ترى من سيبدأ الحفل؟

لكنها لم تنتظر تدخله، ودخلت ببساطة. قدمت نفسها لهم بمرح، وسألتهم عن أسمائهم، ثم تذكرت أنها قد سمعت عنهم، فتداركت:

ـ لا.. انتظروا.. أنا ممكن أعرفكم. أنت فوزي طبعا!

انتفخت أوداج فوزي فخرا، وقال:

ـ نعم.. لكن كيف...؟

قالت ببساطة

ـ صالة «جيم» متحركة!

واصلت (هبة):

ـ وأنت سامي.

قال سامي بسعادة مبالغ فيها:

ـ نعم.. كيف عرفتِ؟

علق (تامر) بسرعة:

ـ فيل متحرك!

أكملت هي:

ـ وأنت طبعا تامر.

ردها سامي لتامر:

ـ هذه واضحة.. بيضة متحركة!

اشتركوا جميعا في الضحك، ومر الموقف بسلاسة لم يصدقها عماد.

ولم تمض دقائق بعدها حتى كانوا قد تجاوزوا وجودها أصلا، وبدأوا طقوسهم المعتادة. الشيشة والسجائر والحشيش والموسيقى والاستيميشن، وحتى النزاعات المعتادة على من سيحضر دور الشاي التالي. فقط أضفى وجودها جوا جديدا من البهجة في الجلسة. تناولوا بعض سندوتشات الكبدة، فأكلت معهم، وتخاطفت منهم السندوتشات كما يفعلون.. أدخلوها في نزاعاتهم، وقرروا توريطها في عمل الشاي «عملا بلقمتها» كما قالوا، فرحبت هي متظاهرة بالتذمر، ومؤكدة أنها لن تكررها.

ـ ثم إن هذه قلة ذوق. أنا ضيفة هنا.. وغريبة على المكان.

قال فوزي ببراءة:

- لا تقولي هذا.. ما غريب إلا الشيطان!

قالت بسرعة:

- (تامر) غريب؟ لم أكن أعرف هذا!

انفجروا ضاحكين، وتظاهر تامر بالغضب، فقالت له:

- زعلت؟

رد سامي بسرعة:

- لا طبعا.. الشيطان هو الذي زعل!

تكررت زياراتها بعد ذلك. صار وجودها معتادا، وصاروا يسألون عنها إن غابت.

في ذلك اليوم، انتهت البولة التي اشتركت فيها بدلا من فوزي، بعد أن صاروا يسمحون لها باللعب معهم، ونهضت تسب وتلعن متظاهرة بالغضب، ومتهمة اللعبة بالغباء. وقفت تتمطّى، وطلبت من عماد ببساطة أن يريها غرفته. لم يعلق أحد. اختلس عماد النظر إليهم، لم يبد على أحدهم أي استغراب. نهض مترددا، فسبقته ببساطة إلى باب الغرفة.. بدا الأمر عاديا، كما يدخل أحدهم غرفة الآخر هنا. هل لأنها كانت تمزح وتتباسط معهم فصاروا يشعرون بأنها «واحد» منهم؟ هل كسرت بساطتها التوتر الذكوري المعتاد عند وجود أنثى الذي يخرج الرجال عن عفويتهم، فيتجملون ويراقبون أنفسهم وينتظرون ردود أفعالها على تصرفاتهم؟

لم يفهم عماد كيف تفعل هذا؟ حتى حاجز تعليقاتهم ونكاتهم البذيئة التي كانوا يتحاشونها في البداية، كما يفعلون تلقائيا في وجود أية أنثى، سرعان ما سقط بعد أن شاركتهم فيه، وبارزتهم وانتصرت. في البداية كانوا يحدقون فيها غير مصدقين أن كلمات كهذه يمكن أن تخرج من فتاة مثلها.. ثم ينفجرون ضاحكين.

- أنتِ مسخرة والله!

ذات مرة ألقت تعليقا قاسيا يسخر من تامر، فحاول ردها، قائلا بسخرية:

ـ طيب لماذا القذارة؟ لو على القذارة وقلة الأدب لن تغلبيني.

ردت بسرعة بديهتها التي لا تُبارى:

ـ لماذا؟ هل ستستعين بأمك؟

كاد عماد يصفق لها في هذه اللقطة. هل قرأت تامر أيضا؟ هل عرفت مداخله ومفاتيحه بهذه السرعة؟

بُهت تامر. هز ذيله وخضع ولزم موقعه ككلب تلقى ضربة على رأسه.

دخل عماد إلى غرفته وتبعته هي. توقفت لحظة، وعادت إلى سامي حيث يجلس، وجذبته من قفاه لينهض، وقالت:

ـ قم! الشاي يا حلو.. دورك!

تملص من يدها وقال محتجا:

ـ لكن البولة انتهت!

ـ الشاي لا ينتهي بانتهاء البولة.. هيا.. انجز!

قال ساخرا:

ـ وهل أحضر الشاي لجلالتك هناك؟

ـ لا، أنا متواضعة.. نادِني وأنا سآتي لآخذه بنفسي.

انفجروا ضاحكين باستمتاع. لا يصدقون أن هذه الفتاة ممكنة!

دخلت إلى غرفة عماد. كان جالسا هناك على طرف سريره يقلب في هاتفه المحمول. وقفت في وسط الحجرة تدير عينيها فيما حولها وكأنها في متحف. الدولاب القديم الباهت، المكتب الصغير المتهالك المختفي تقريبا تحت جهاز الكمبيوتر وأكوام الكتب والأوراق، السرير غير المرتب، وأكوام الملابس الملقاة في كل مكان بإهمال.

نهض عماد، وأزاح كومة من على كرسي في ركن الحجرة، وألقاها

على السرير، وجذبه لها لتجلس عليه. جلست وهي تواصل الدوران برأسها في جنبات الغرفة.. ثم انتهت عند المكتب. أشارت إليه وقالت لعماد:

ـ أرني ما لديك!

ـ ماذا؟

ـ كل شيء!

ـ لا أفهم.. ماذا بالضبط؟

ـ أف! لا عليك. سأشاهد أنا بنفسي!

نهضت من دون دعوة منه، وراحت تقلب في كتبه، في حقائبه الملقاة على الأرض، في أدراج مكتبه. لم يعترض عماد. لم يشعر بأي اختراق لخصوصيته في ذلك. كل هذا أقل بكثير مما كان يحكيه لها. حاجز آخر أزالته مسبقا.

جلست أمام جهاز الكمبيوتر، وأشارت إليه قائلة:

ـ أرني ما على الجهاز.

جذب مقعدا وجلس بجوارها، وتناول الفأرة، وقال:

ـ ماذا تريدين؟ فيلم مثلا؟

ـ لا.. ماذا لديك أنت؟ ماذا يخصك هنا؟

تصفح المجلدات واحدا بعد الآخر وهو يقول:

ـ لا أعرف.. صور؟ ملفات فلاش كنت أصنعها على سبيل اللهو.. صور ألعاب بصرية كنت أصنعها بالفوتوشوب...

ـ أرني هذه!

فتح المجلد، وراح يستعرض الصور: زرافة برأسين، سيارة خضراء نصفها الخلفي عبارة عن خيارة عملاقة، بجعة برأس ثعبان، سحابة تمطر بغزارة في كوب زجاجي.. كان يرى كل هذا طفوليا سخيفا الآن، لكنها راحت تشاهد كل هذا باهتمام وتضحك بشغف. نهضت من مقعدها

وأكملت مشاهدتها لحجرته التي لا يدري ماذا يستحق الرؤية فيها.. وقفت خلفه ودنت منه.. التصقت به ومالت عليه من الخلف.. أحاطت صدره بذراعيها وأسندت ذقنها على كتفه.. همست:

ـ فنان.. كما عرفتك دائما.

شعر بجسدها الساخن ملتصقا بظهره.. انفاسها الحارة في أذنه.. هل هذا هو مصدر السخونة التي تدب الآن في جسده؟

قال بصوت مبحوح وكأنه يلهث:

ـ مجرد لعب.. كانت مسابقات فوتوشوب على منتدى أجنبي ما.

تحركت أصابعها على صدره. أغمض عينيه. ألصقت شفتيها برقبته. ألصقت خدها بخده. جلدها ناعم.. ناعم حقا. نهض واستدار يواجهها، فأسرعت تلصق جسدها به كما كانت من الخلف.. دنت بوجهها من وجهه، وثبتت عينيها في عينيه. أحاطها بذراعيه وضمها بقوة.. لصق شفتيه بفمها وأغمض عينيه. شعر بطعم شفتيها بنصف وعيه.. نصفه الآخر غاب في مكان ما.. ذاب في روحها.

عندما ابتعدت الشفاه من جديد شعر ببقية وعيه يعود، وبروحه ترتد.. حدق فيها بدهشة وكأنما استيقظ لتوه.. قال فجأة:

ـ لا.

واندفع مغادرا الغرفة.. لا يعرف إلى أين.

#٨

يرن الهاتف بجوار عماد النائم، فيمسك به ويتحسس جانبي الهاتف ويضغط زر الصوت ليخرس الرنين من دون أن يضطر لفتح عينيه. اليوم هو السبت ويريد أن يأخذ كفايته من النوم، لكن الهاتف - الوغد - يرن من جديد. يعاود كتمه فقط ليعود إلى الصراخ بعد ثوان. يفتح عينيه في حنق وينظر للشاشة. هذه هبة. تبا! لا مفر، لن تتركه حتى يجيب. يلمس الزر الأخضر ويصيح بضيق واضح:

ـ نعم؟

ـ أما زلت نائما؟

ـ هذا احتمال وارد..!

ـ إذن لم تعرف بما حدث..؟

ـ لا أقرأ الأخبار أثناء النوم.. عادة!

ـ تامر.. أبوه مات!

هب معتدلا فجأة..

ـ ماذا؟

توفيق الشهاوي مات؟ الطاغية الصغير الذي ظل طيلة حياته يحاول أن يكبر ليصير طاغية كبيرا ولم يفلح.. مات؟ هل ينهض عماد ليرقص طربا؟ هل يبحث في «ساوند كلاود» عن أغنية «ولا بد من يوم محتوم تترد فيه المظالم»؟

- الله يرحمه تعب ودخل المستشفى.. المسكين تعذب كثيرا..

هبة في واد آخر. قال:

- الله يرحمه!
- الجنازة اليوم بعد صلاة المغرب.. في البلد.

هي في واد آخر تماما.

- في البلد؟
- نعم يا عماد. هذا بديهي.. ألم تفق بعد؟ في البلد.. في سمادون في المنوفية.. بلدكم يا عماد.
- فاهم.. لكن...
- هيا انهض واغتسل لنلحق بالجنازة.

أي جنازة؟ ولماذا؟ هل سنمشي خلف النعش لنرقص على أنغام «ولا بد عن يوم محتوم..»؟ لتكونن جنازة مشهودة حقا!

ثم من «نحن» بالضبط؟!

- الجنازة؟
- نعم! استيقظ يا أخي! فوزي وسامي ينتظراننا في رمسيس.
- في رمسيس؟
- ذهبا ليحجزا تذاكر القطار.
- القطار؟
- يوووه! هل تتعلم الكلام من جديد؟ نعم القطار! ذلك الشيء الكبير الذي يقول «تووووت»!

ـ اقفلي يا هبة!

ـ انهض واغتسل ثم كلمني بعد أن تفيق.

ود عماد لو تجاهل الأمر برمته وواصل نومه، لكن النوم كان قد طار من عينيه على كل حال. نهض متأففا ودخل الحمام. خلع ملابسه ووقف تحت الدش وفتح الماء الساخن.

هو لا يريد أن يذهب، فلماذا يجب أن يذهب إذن؟ لماذا هذا صعب إلى هذه الدرجة؟

لماذا لا تستطيع أن لا تفعل ما لا تريد أن تفعله لمجرد أنك لا تريد أن تفعله؟ لماذا لا يقولها ببساطة: «لا»؟! ما الصعوبة في ذلك؟ هما حرفان فقط والله!

سمع رنين هاتفه المحمول في الخارج.

أف! تبا لكِ يا هبة!

انتهى الرنين ثم بدأ من جديد.

ـ حسنا.. حسنا.. أنا قادم!

أمجنون أنت؟ أتُكلم الهاتف وهو يرن؟

يجفف جسده ويرتدي ملابسه دون عجل، ويخرج، والهاتف لم يتوقف بعد عن الرنين. رقم غريب. يرد. كانت هذه أمه.

ـ لا مؤاخذة يا أمي.. كنت في الحمـ... آه.. عرفت.. عرفت.. الجنازة؟ نعم يا أمي.. لكن.. كنت مشغولا.. طيب.. سأذهب.. سأحضر الجنازة.. لا لن أرجع في كلامي. نعم سأزورك بعدها طبعا. مع السلامة يا أمي.

وها هي ذي أمه تنضم إليهم. لقد قرروا له جميعا بالفعل، ولم يتركوا له فرصة للاختيار. صاغوا الجملة مسبقا وحجزوا له موقع المفعول به، وليس أمامه إلا أن يضع نفسه حيث حددوا له، ويجلس فيه منصوبا،

ويترك لهم قياده.

الآن صارت «لا» أصعب كثيرا. وعماد يعرف نفسه على كل حال.. لا يجيد قولها. وإن كان يجد صعوبة في قولها لشخص واحد فما بالك بكل هؤلاء؟

ماذا يفعل ليتركوه في حاله ينعم بيوم إجازته في غرفته، يتحنط أمام الكمبيوتر أو يستلقي على بطنه كالجثة على السرير يشاهد مسلسلا تافها وينسى الأوغاد الذين يموتون كل يوم؟

- يا جماعة.. يا أصحابي، يا أهلي، يا جيراني، أنا نذل كبير، وعروقي خالية أصلا من الدماء.. أنا لا أبالي بمن مات ولن أحضر الجنازة لأنني أريد أن أنعم بإجازتي وأشاهد المسلسلات التافهة!

هل العجز عن قول هذه الكلمات يساوي يوما كاملا من السفر الإجباري؟

نعم. للأسف.

يرتدي ملابسه، ويحمل حقيبة ظهره، ويتصل بهبة وهو على السلم. يقول:

- لبست ونزلت.. سأجد شيئا لآكله أولا ثم نتقابل..؟

قالت:

- اتجه إلى رمسيس مباشرة.. سنأكل معا هناك ونتحرك.

على الأقل سيسمحون لك بأن تأكل!

***

في مقهى بمحيط ميدان رمسيس وجدها تنتظره وأمامها كومة من سندوتشات الفول والطعمية.

- فوزي وسامي؟
- على وصول. اجلس.

وصلا بعد قليل بالنبإ السعيد: لا توجد قطارات تتحرك قريبا. لا مفر إذن من التكدس في أية سيارة أجرة. هكذا هي الحياة. لا تجبرك فقط على حضور جنازة توفيق الشهاوي، لكنها تجعلك تعاني حتى تصل إليها!

عثروا على ميكروباص في موقف أحمد حلمي.

جلس عماد في المقعد الأخير إلى اليمين، وجلس سامي وفوزي إلى يساره، بينما احتلت هبة المقعد الذي أمامه.

بدأ الميكروباص في التحرك، فأخرج عماد سماعة ليوصلها بهاتفه. على الأقل سيحظى ببعض التسلية في الطريق.

استدارت هبة في جلستها إلى الخلف، وفتحت باب الحديث:

- كيف مات أبو تامر؟

آه! هذا كمباريات كرة القدم إذن؟ لا بد من مشاهدة الاستوديو التحليلي قبل المباراة؟

سامي كان يعرف. قال:

- كان مريضا بالضغط والسكر، ومؤخرا أصيب بفشل كبدي.. أو كلوي.. أو.. ربما الاثنين معا!

«كومبو»! توفيق الشهاوي حصل على «الكومبو»!

- أجروا له عملية بتر لأصبع قدمه.. وبسبب مرض السكري تدهورت حالة القدم ولم تلتئم. بتروا قدمه، ثم بعد أسبوع بتروا نصف ساقه!

تقلص وجه هبة في ألم وهي تستمع، ونزع عماد السماعة من أذنه ليبتعد صوت فيروز. لا يكفي أن يحملوك على السفر وحضور الجنازة والعزاء مرغما.. لا بد أن يجبروك على الحزن كذلك. اللعنة عليكم جميعا! ألا يستطيع المرء أن يهنأ بشعوره بالشماتة في هذا البلد يوما واحدا؟ الآن يكره نفسه ويشعر بالذنب. تبا!

عندما رأى تامر أمام المقبرة لم يعرفه. أو لم يصدق أن هذا هو تامر الذي يعرفه. لم يكن يبكي فحسب. كان يسقط.. يحمله اثنان حملا من ذراعيه وهو لا يكف عن العويل. رأى عماد فصاح به مستنجدا:

- عماد! أبويا مات يا عماد. مات!

وكأن عماد يمكنه إعادة أبيه.

انقبض قلب عماد. انزاح كل ما كان بينها من قبل في هذه اللحظة. لم يعد أمامه إلا هذا الإنسان المنكوب. الشاب القوي الماكر الواثق انكسر. سقط عاجزا لا حيلة له. صار يتيما. اللعنة على كل شيء. اللعنة على الحقد والغضب.. اللعنة على كل صراعات البشر. وجد نفسه يندفع نحوه. ارتمى تامر في حضنه وبكى على كتفه بحرقة. نزلت دموع عماد برغمه. تمتم:

- الله يرحمه. ربنا أرحم به.. وبنا جميعا.

***

تركهم عماد، ليرجعوا إلى القاهرة، بينما اتجه هو إلى بيت أمه كما وعدها. لا يمكن أن يأتي إلى سمادون من دون أن يعرج عليها.

لم يجدها في البيت. عادت بعد ساعة من وصوله منهكة ترتدي السواد. كانت في عزاء النساء.

سلمت عليه واحتضنته وأعدت له الطعام وأكلت معه وتحدثت عن الجنازة وعن العزاء وعن المتوفى وأسرته وأولاده ومرضه الأخير و.. و...

حاول عماد أن يستمع بصبر، ثم قاطعها أخيرا وقد فاض به:

ـ لقد سمعت كل هذا يا أمي. سمعته قبل الجنازة بتفاصيله!

ـ صرت قليل التربية!

ـ اعذريني يا أمي.. كل هذا كثير عليّ.

ـ عماد يا ولدي.. لا بد أن تفعل شيئا لتساعدهم.

ـ أساعد من؟

ـ تامر وأهله.

ـ أنا؟ أنا أساعدهم؟ أنا؟ كيف؟ ولماذا؟

ـ كلمهم عندك في الشغل.. لعلهم يأخذوه يعمل معكم!

ـ ماذا تقولين يا أماه؟ هم لا يحتاجونني. لا يحتاجون إلى أحد.. عندهم أموال أبيهم الطائلة.. تشترينا وتشتري سمادون بحالها!

ـ يا ولدي أنت تعرف.. تامر بلا شغلة ولا مشغلة، وكان يعيش في مصر بعد الجامعة للبحث عن عمل، واعتماده على فلوس أبيه.. وحتى اليوم لا اشتغل ولا وجد وظيفة..

ـ وما شأني أنا؟

ـ أمه قصدتني أطلب منك تشغله معك.

ـ أمه؟ أنا أشغله؟ ومن أخبرها أنني مدير الشركة؟ أنا مجرد موظف!

ـ كلمهم يا ولدي.. لن تخسر شيئا.

ـ ولماذا؟ ماذا سأكسب من هذا؟

- رد الجميل يا عماد.
- جميل؟ أي جميل؟
- أنت تعرف. هي كانت تساعدنا دائما بعد وفاة أبيك الله يرحمه.
- لا أدري ماذا أقول لكِ!
- لا تقل شيئا.. اسمع كلام أمك وأنت ساكت!

٩#

فعلها عماد فحسب لإرضاء أمه.. ليقول لها صادقا «لقد حاولت وأخبرتهم في العمل، لكن للأسف، لا وظائف شاغرة لديهم».

دخل إلى مدام علا في مكتبها، وعرض عليها الأمر، فقالت ببساطة:

ـ نعم، نريد موظفين جددا، أخبره أن يجيء غدا لعمل مقابلة شخصية!

بُهت عماد. قال بعد وهلة:

ـ ظننت أنه.. لا أماكن متاحة!

قالت ضاحكة:

ـ ولماذا تسألني إذن؟ اعتبرها مجاملة لك يا سيدي!

قال بسرعة:

ـ لا.. لا مجاملة.. أعني، أنا غير مسئول عن أدائه طبعا.. أنا فقط أقول..

ـ لا تقلق.. لا وساطة في هذه الأمور.. إن كان يصلح سيعمل.

الوغد المحظوظ!

جاء تامر في اليوم التالي وأجرى المقابلة، وفي اليوم الذي يليه تسلم عمله فعلا.. وتلقى عماد رسالة على بريده الإلكتروني بأنه سيكون مسئولا عن تدريب الموظف الجديد.. ما أروع هذا!

في الاستراحة خرج عماد ليأكل بعض الشطائر على عربة الفول، بينما انضم تامر للباقين في طلب جماعي من محل كشري. هذه بديهيات الاندماج مع زملاء العمل التي يعرفها تامر، ويعرفها الجميع.. الجميع فيما عدا عماد.

رجع عماد قبل نهاية الاستراحة واتجه إلى المطبخ ليعد قهوته، وهو يحيي الزملاء في طريقه بشرود، ثم انتبه إلى ابتسامة من نوع جديد يستقبلونه بها. لم يفهم معنى هذا، إلى أن حياه رامي:

- أهلا (صَوصَو)!

(صَوصَو)؟ هنا في الشركة؟ هذا جديد! كيف عرف هذا الاسم؟

آه.. طبعا! يا لك من بطيء الفهم! لقد وصل تامر!

هناك في المطبخ كانوا مجتمعين يلتهمون الكشري، وتامر يتوسطهم ويحكي. ما إن رآه حتى أشار إليه وقال وكانه يستشهد به:

- ها هو القط جاء ينط!

ثم واصل الحكي. تجاهل عماد ما يحدث وراح يعد قهوته متظاهرا بعدم الاهتمام. كان تامر يحكي تفاصيل ومواقف عن عماد في الشقة. عن أكواب الشاي التي يتركها في الشرفة حتى تتعفن حرفيا، وعن صابونته المقدسة التي يتشاجر ويقيم الدنيا ويقعدها لو مسها أحدهم.

- فقلت له: أنا آسف لك وآسف للصابونة. سامحيني يا صابونة هانم!

ضجوا جميعا بالضحك. فأضاف تامر:

- ومن يومها، وأنا أنتظر عيد ميلاد عماد، لأشتري له هدية ستسعده فعلا: تعرفون ما هي؟

تدخل عماد قائلا دون أن يضحك:

- صابونة.. هاهاها!

***

تامر في أسبوعه الأول في العمل كان مختلفا، لم يكن هو تامر الذي يعرفه عماد، ولا الذي يعرفه تامر نفسه! كان متحمسا جادا مهتما بتفاصيل العمل.. قدّر عماد أن هذا لن يستمر طويلا، فتامر هذا حمار حقيقي، فضلا عن أنانيته وفظاظته ووقاحته وتبلد أحاسيسه وكل ميزاته الرائعة الأخرى، وإذا أضفت إلى كل هذا جهله الشنيع بأمور التكنولوجيا، وغروره الخارق الذي يحول بينه وبين تعلم أي شيء جديد، ومع مدير مثل كمال العسال، فيمكنك أن تتوقع أن يمكث تامر في الشركة هنا أسبوعا على الأكثر، وبعدها سيُرشح غالبا للانضمام إلى رضا في المطبخ.

أسند إليه عماد مهاما مماثلة لتلك التي يسندها للباقين، مع فارق الكم، إذ كان تامر متفرغا للعمل في فريق عماد، كما قالت له مدام علا.

هي مسألة وقت إذن، وما على عماد إلا أن ينتظر ويرى.

في نهاية أسبوعه الثاني، حضر تامر معهم الاجتماع الأسبوعي لأول مرة بعد إلغاء الاجتماع في نهاية أسبوعه الأول. انبرى عماد يعرض تقريره الأسبوعي بالأرقام كما يفعل عادة. اختتم تقريره قائلا بنبرة فخر:

- وهكذا نرى من الأرقام أن النتائج ارتفعت بنسبة ملحوظة هذا الأسبوع.

كان يرمق وجه تامر بين الحين والآخر وهو يعرض تقريره مراقبا ردود أفعاله.. هل ترى يا تامر؟ هذا أنا. هنا أنا المهندس عماد، مدير قسم التسويق، وأنت.. مجرد موظف في فريقي.

قلب كمال العسال شفتيه وقال بعدم رضا:

ـ قليل.. قليل جدا يا عماد.

فوجئ عماد بالرد. كان يتوقع تصفيقا حارا!

قالت مدام علا بكياسة:

ـ لا تنس يا عماد أنك الآن معك مساعد متفرغ تماما. كنا نتوقع نتيجة مضاعفة!

ياللمصيبة! مساعد؟ هم يعتبرونه مساعدا؟

ـ لكن.. تامر ما زال جديدا، ويحتاج إلى التدرب على العمل.

ـ الأسبوع الأول كان يكفي للتدريب.. وهذا هو الأسبوع الثاني.. كان يجب أن نرى نتائج ملموسة.

ـ صحيح. لكن تامر يتحسن وأظنه سوف...

ـ التقصير من عندك أنت يا عماد، لا من عنده!

ـ أنا؟

ـ طبعا. أنت المسئول عن تدريبه. وإذا كان المتدرب ينفذ المهام الموكلة إليه ولم تتحقق النتائج المطلوبة، فالمشكلة عند المدرب نفسه.

ـ أي مشكلة؟

تدخلت مدام علا من جديد، وقالت بلهجة ودود:

ـ اسمع يا عماد. قدراتك ومهاراتك في هذا القسم ممتازة، وكلنا رأينا نتائج إيجابية.

(حقا؟ هذا جديد! لماذا لا تقولون شيئا إذن؟!)

أكمل كمال بك:

- لكن القدرة على الإدارة شيء آخر، والقدرة على التدريب شيء ثالث.. المدرب عليه أن ينقل كل ما يعرفه للمتدرب. هل فعلت هذا مع تامر؟

(لا طبعا.. لم يفعل.. ولن يفعل. كان يجب أن تطردوه الآن! ماذا بكم يا قوم؟!)

- ... وعندها ستتضاعف النتائج كما كان يجب أن يحدث.

(ينقل معارفه لتامر؟ ولماذا لا يتنازل له عن وظيفته بالمرة؟)

طال صمته، فقالت مدام علا:

- كلنا نتعلم وننمي مهاراتنا طوال الوقت. وأنت أتقنت عملك تماما، لكن عليك الآن أن تتقن مهارات القيادة والتدريب ونقل المعرفة، حتى تصير مديرا ناجحا.

ضحك كمال بك:

- مدير مرة واحدة؟ هكذا سيطمع يا علا!

قالت مدام علا بجدية:

- ولم لا؟ عماد مؤهل بالفعل لإدارة قسم كامل متفرغ للتسويق، وإذا أثبت قدرته على ذلك فليفعل، والشركة هي المستفيدة في النهاية.

قال كمال بجدية مصدقا على كلامها:

- صحيح طبعا. والكلام للجميع. الكفاءة والمهارة هي المعيار هنا. من يستطيع القيام بعمل أكبر بكفاءة سنسنده إليه فورا. ولن أمانع لو وجدت فيكم من يقدر على القيام بعملي أنا شخصيا هنا، عندها سأترك له مقعدي.

سرت بعض الضحكات، ممن اعتبروا هذه دعابة. لكنه أضاف:

ـ أنا جاد فعلا.. وعندها سنستغل هذا في توسيع قاعدة العمل، وربما إنشاء فرع آخر للشركة.

كان كمال بك يبدو جادا، لكن عماد لم يصدق حرفا من هذا الكلام. هذا كلام للاستهلاك المحلي.. لا بد أن كمال العسال قد قرأ هذا الكلام في كتاب ما عن المدير الناجح وصادف هذه الجملة فأعجبته حتى حفظها وقرر إعادة بثها على لسانه الشخصي. كمال العسال لن يترك إدارة شركته لأحد! ألقى عماد نظرة جانبية على تامر، فلمح بريقا غريبا في عينيه. يبدو أنه - الأحمق - صدق كلام العسال!

***

اندمج تامر في المكان الجديد بسرعة لم يستوعبها عماد. كون علاقات وصداقات مع الموظفين والإداريين والعمال، وفي وقت قصير تفوق على عماد نفسه الذي يعمل هنا قبله بكثير. لم ينزعج عماد، لكنه لاحظ أنه يتعمد مخاطبته أمام الزملاء بطريقة توحي بأنه صديقه الحميم..

هذه أيضا بديهيات، أنت تعرف المدير، فلماذا لا تعلن هذا وتحصل على بعض الاحترام الزائد؟

ما كان عماد ليمانع. كان يفكر: يريد أن يتفاخر بمعرفته لي أنا؟ أنا الرابح هنا!

الغريب أنه ظل يعامله في البيت بطريقته القديمة الجافة. وكأنه صار شخصين مختلفين. وتلقائيا وجد عماد نفسه يقابل المعاملة المزدوجة بالمثل، فيتعامل مع تامر العمل باهتمام وحماس، ويتجنبه ويقتصد في كلماته معه في البيت.

فقط عندما رآه يتعامل مع آية، عندها بدأ ينزعج. يناديها تامر وهي جالسة على مكتبها ببساطة:

ـ آية! تعالي، سأريكِ شيئا!

ثم يجذبها من يدها ويتجه بها إلى النافذة، ويشير إلى سيارة ما في الشارع..

ـ أترين هذه السيارة؟ هناك. لا.. خلفها.. هذه هي التي كنت أحدثك عنها...

ما هذا الهراء؟ يمسك يدها بهذه البساطة؟ صارت بينهما أحاديث وحكايات بهذه السرعة؟ وعماد يقضي يوما كاملا في صياغة الجملة التي سيقولها لها في اليوم التالي؟ في أي عالم نعيش بالضبط؟

تبا لك يا تامر!

جلس على مكتبه يراقبهما من بعيد، ويعض شفته السفلى في غيظ. عليه أن يعيد النظر في طريقته، في تفكيره كله.. الأمور أبسط مما يظن.. فيما يبدو. لم يعد أحد يلتزم بالتدرج الطبيعي والمنطقي الذي ذكره أحمد بك شوقي وأرسى قواعده «نظرة فابتسامة فسلام، فكلام فموعد فلقاء». ظل هو يتعثر في مرحلة «الكلام» حتى جاء الوغد بثقافة القرن التالي ليمسك يدها فورا!

اقتربت منه هبة، وقالت بلهجة ذات مغزى:

ـ انتبه لنفسك.. قطعت شفتك!

قال في شرود دون أن يرفع عينيه عنهما:

ـ تامر هنا في العمل مختلف؟

ضحكت وقالت ببساطة:

ـ عادي.. كلنا هكذا!

ـ ماذا تعنين؟

ـ شخصياتنا تتغير في دوائرنا الاجتماعية.. أنت أيضا هكذا!

استدار إليها، وقال في ضيق:

ـ هذا اسمه نفاق. وأنا لست هكذا.

قالت بلا مبالاة وهو يراقب آية التي كانت تضحك على شيء ما يقوله تامر:

ـ لا أحد يظل كما هو في كل الظروف.

التفت إليها وقال بحدة:

ـ ولا أحد يبيع نفسه ومبادئه مع أول تغير لهذه «الظروف».

بدا الألم على ملامحها، وردت بسخرية مريرة:

ـ مبادئ؟ انظر إلى نفسك يا عماد.

ـ ماذا عني؟

ـ ماذا تعمل بالضبط؟ ماذا نعمل هنا معك؟ نحن نغش الناس.. نخدعهم.

ـ هذا تسويق إلكتروني.

ـ فعلا، اسم أنيق، أو قلها بالإنجليزية «سوشيال ميديا ماركتنج». اسم أكثر أناقة يا «باشمهندس»! لكن الاسم لن يغير من الحقيقة. لا أحد لديه مبادئ يقبل بهذا.

ـ وأنت؟ لماذا تقبلين بهذا إذن؟

ـ أنا متصالحة مع نفسي يا أخي، لا أدعي مبادئ ليست عندي!

ـ ليست عندك فعلا!

ـ شكرا يا سيدي! لكن هذا أفضل من أن أخدع نفسي بمبادئ من الصلصال، أشكلها بنفسي حسب هواي!

صاح بحزم غاضب:

ـ هبة! لا أسمح لكِ، انتبهي لكلامك.

- حاضر. أنا آسفة لصراحتي. عموما بالتوفيق.. مع آية!

***

فتح عماد نافذة على جهازه وجلس يراقب ما يحدث فيها.. كان جهاز تامر. فتح نافذة أخرى لجهاز كمال العسال وجلس يراقبهما جنبا إلى جنب لبعض الوقت.

كان قد لاحظ مؤخرا محادثات مريبة على «الماسنجر» بين كمال العسال وشادي مساعد أخيه حامد العسال، بخصوص رجل الأعمال الشهير رجب مدكور. كان يتابع المحادثة بفضول، لكن شادي تكلم عن وثائق سرية مريبة، وصحفي فضولي مزعج، وقال إنه سيرسل الوثائق عبر البريد الإلكتروني.. بعدها رأى على الشاشة كمال العسال يفتح بريده الإلكتروني ليجد هذه الوثائق وقد وصلته بالفعل، لكنه لم يفتحها.

كانت هذه هي معضلته الآن. هذا البرنامج الذي يستخدمه يراقب فقط.. كيف يستطيع نسخ ملفات وبيانات من جهازه؟ لا بد أن هناك طريقة ما..

- عماد! انتهيت من الحسابات الجديدة!

كان هذا هو تامر، يقف في مواجهته مباشرة. من حسن الحظ أنه عدل وضع مكتبه من قبل بالفعل. سأله:

- بهذه السرعة؟

- عيب عليك!

كان تامر يأخذ التكليفات من عماد بمنتهى الاهتمام، ويقضي معها وقتا يطبقها ويتدرب عليها حتى يتقنها، ثم يعود ويطلب المزيد.

وباستثناء المنشورات الشنيعة التي كان يكتبها فقد كان أداؤه جيدا.. هذه المرة أعطاه عماد، منشورات مكتوبة ليعيد كتابتها بطريقته

على سبيل التدريب، فقال تامر:

ـ سأجرب. لكن.. عندي سؤال آخر.

ـ تريد أمثلة أخرى؟

ـ لا.. ماذا عن «الاختراق»!

ـ اختراق ماذا؟

قال تامر ببرود:

ـ كيف تخترق جهازا شخصيا معك على نفس الشبكة؟

كبح عماد ابتسامته وقد فهم مقصد تامر. قال بلهجة عملية:

ـ وما علاقة هذا بعملنا؟

ـ أليست هذه هي المحطة التالية؟ اختراق حسابات فيس بوك وسرقتها لاستخدامها جاهزة بدلا من الحسابات المزيفة؟

ـ ممكن.. نحن نفعل هذا فعلا لكن في أضيق الحدود، حتى لا نثير الانتباه إلينا. ثم إننا لن نتجسس على أحد معنا على الشبكة نفسها بالتأكيد!

قال تامر ساخرا:

ـ حقا؟!

رد عماد بحدة:

ـ ما حدث بيننا كان شيئا آخر، وكان أمرا شخصيا لا دخل له بعملنا هنا.

ـ يعني.. أنت لا تفعل هذا هنا؟

رمقه عماد بنظرة طويلة، ثم قال:

ـ تفضل يا أستاذ تامر.

***

في الاجتماع الأسبوعي التالي انتظر تامر بعد أن انتهى عماد من عرض تقريره ثم نهض فجأة، وتنحنح وشد قامته وقال موجها كلامه لكمال العسال ومدام علا:

ـ عندي شيء أريد عرضه.. ممكن؟

نظر كمال بك إلى مدام علا، وأشارت له هي بالموافقة.

وصّل تامر ذاكرة فلاش بالجهاز، وفتح ملفا. كان عرضا تقديميا بتقارير وأرقام الأسبوع، لكنه كان غنيا بالرسوم البيانية الملونة، و«الإنفوجرافيك»، وختمه بملخص متحرك في شكل فيديو. لم يكن كل هذا إلا إعادة صياغة لما قدمه عماد منذ قليل، لكنه قدمه بشكل أنيق، وبطريقة استعراضية فجة، لكن كمال العسال كان منبهرا. صفق بحرارة فور انتهاء العرض، فوجد الآخرون حرجا في الصمت فصفقوا معه على استحياء.

قال كمال بك:

ـ ممتاز يا تامر. أتحفنا بهذا التقرير كل أسبوع!

انتفخت أوداج تامر، بينما قالت مدام علا في لباقة:

ـ عرض أنيق طبعا، لكنه لم يضف شيئا على التقرير المعتاد.. بل ربما أضاع بعض الوقت في زخرفة لا داعي لها.

تجاهل تامر قولها، وعاد إلى مقعده، وقال وهو ينظر إلى عماد كأنه يعنيه بكلامه:

ـ لكن، برغم كل هذا النجاح، الواضح من التقرير، فإن لدينا مشكلة واضحة.

صمت قليلا، وأدار عينيه في الوجوه المنتظرة.. كان الاستمتاع يقفز قفزا من عينيه (كلهم ينتظرونني جملتي أنا.. مرحى!) أكمل أخيرا:

- معظم المجموعات التي نضع فيها منشوراتنا تحذفها بعد قليل لأنها دعائية...

قاطعه عماد:

- وكثير منها لا يفعل.. نحن نجرب...
- حتى الذين لا يحذفون منشوراتك في البداية يحذفون منشوراتك أنت بعد تكرارها.
- طبعا! لذلك لا بد أن تترك فترة زمنية بين كل منشور والذي يليه في كل مجموعة.. كما أخبرتك من قبل.
- حتى بهذه الطريقة يلاحظونك.
- ربما لم تنتظر وقتا كافيا.. ثم يمكنك دائما استخدام حساب مختلف في كل مرة تنشر شيئا في هذه المجموعة.
- جربت هذا أيضا، بعد فترة يلاحظون وجود منشورات متكررة عن نفس الشركة، فيفهمون أنها دعاية ويحذفونها.

تدخلت مدام علا:

- ماذا تريد أن تقول يا تامر؟ لو فشلت كل الطرق مع مجموعة اتركها وانشر في غيرها وانتهى الأمر. أم عندك حل آخر؟

رد تامر وابتسامة غامضة تنشع على وجهه:

- المشكلة أن المجموعات التي لا تحذف منشوراتنا لا قيمة لا تقريبا.. مجموعات غير فعالة أصلا.. لا تجلب لنا زبائن!

قالت مدام علا بنفاد صبر:

- والحل؟

قال تامر ببساطة:

ـ لا أعرف!

ثم استطرد بسرعة مشيرا لعماد:

ـ ربما عماد يعرف؟ لاحظت أن مجموعات بعينها لا تحذف لنا أية منشورات!

كان كمال العسال يتابع كل هذا في ملل وهو يقلب في بعض الأوراق أمامه، لكنه انتبه عند هذه النقطة والتفت لعماد منتظرا إجابته باهتمام. قال عماد بعد تردد:

ـ تقصد مجموعات مثل (إعلانات شبرا)؟

ـ نعم.. بالضبط.

ـ طيب.. هذه معنا، لكن احترس، لا تبالغ في نشر إعلانات عليها حتى لا يشك الأعضاء وتفقد تأثيرها.

هذه المرة سبق كمال بك بالسؤال:

ـ لحظة! ماذا تقصد بأنها «معنا»؟

ـ معنا.. لن تحذف منشوراتنا.

ـ لماذا؟ مجموعة تابعة لنا؟ أنت أنشأتها؟

ـ ليس تماما.

اكتفى عماد بهذا القول، بينما ظل كمال العسال في وضع الاستماع منتظرا المزيد. مال بأذنه ناحية عماد وكأنه يقول «لا أسمعك». دار عماد بعينيه في المحيطين به، باحثا عمن يقطع حديثه وينقذه.. مدام علا تنتظر إجابته.. تامر يكتم ابتسامة ظافرة. أخيرا تنحنح وقال في خفوت:

ـ هذه ليست مجموعتي، لكن مديرتها صاحبتي، وأدخلتني مديرا للمجموعة معها.

قال رامي بسرعة:

- تقصد سارة ربيع!

سرت الضحكات والهمهمات الموافقة. قال كمال العسال وقد فهم أن هناك قصة ما فاتته في الموضوع:

- من؟ سارة ربيع؟

قال عماد:

- نعم.. معرفة قديمة.
- إذن.. هي قد تركت لك المجموعة؟

قال عماد بسرعة:

- لا.. فقط سمحت لي باستخدامها.. خدمة شخصية لي.
- خدمة شخصية؟! طيب.. لكن.. هذه مشكلة!
- كيف؟
- أنت تحقق نتائج أفضل هنا بفضل خدمات تحصل عليها بشكل شخصي.. وهذا جهد مشكور، لكنه يعطي أرقام غير واقعية في التقارير.
- كيف؟
- يعني تامر مثلا يعمل مثلك، لكن بدون هذه «الخدمات الشخصية».. أرقامه لن تكون مكافئة لأرقامك.
- لا.. هو أيضا يستخدم هذه المجموعة.

قال كمال بك في شك:

- وهل لديك أسرار أخرى مثل هذه؟
- لا أسرار يا كمال بك. هذا هو كل شيء.
- ومن أدرانا؟.. أنت لم تفصح عن هذا إلا حين كُشف بالفعل!

ـ هي ليست جريمة لأخفيها.. أنا أخدم العمل بعلاقاتي الشخصية.. كيف يكون هذا...

ـ عماد! حافظ على طريقة كلامك معي.

انتبه عماد لنبرة صوته التي علت واحتدت، فقال متداركا:

ـ آسف. لم أقصد.

ـ انتهى. لنختم هذا الاجتماع الآن.

ألقى عماد بنظرة جانبية على تامر.. كان يبتسم ابتسامة غريبة يعرفها عماد جيدا.. كان يكتم الضحك.

#١٠

محادثة خاصة على فيس بوك:

@مصطفى عبد الحميد:

سارة، آسف جدا لسماع خبرإصابتك بالسرطان. أنت لا تعرفينني، لكنني أتابعك منذ سنوات وأعرفك جيدا.. أنت إنسانة حقيقية، لا تترددين أبدا في مد يد المساعدة لكل من يحتاجها. يحسدك الكثيرون على شهرتك وكثرة متابعيكِ، لكنني أشهد أنك من القلة التي تستحق هذا فعلا. وبرغم مرارة الحياة، وبرغم كل ما تتحملينه الآن من متاعب المرض، ما زلتِ مستمرة في أنشطتك الجميلة. وفقك الله دائما لفعل الخير :)

***

منشور على الفيس بوك:

@دينا غريب:

لم أرها يوما إلا والبسمة على وجهها، لم تفارقها قط. كلامها الممزوج بالحنان والطيبة والتعاطف مع كل ذي مصيبة أو ألم. سارة ربيع، صديقتي العزيزة التي لولا إقامتي في الخارج لما كنت أفارقها أبدا.

سارة كانت تفعل كل هذا وهي تخفي الحقيقة عن الجميع.. كانت تتألم في صمت. سارة بطلة حقيقية واجهت كل صعوبات الحياة وسوف تتغلب عليها، وحتى المرض لن ينال من بسمتها.. دامت سارة لنا وللحياة.. دامت للبهجة التي تنشرها. دعواتكم لها بالشفاء.

***

ـ ما هذا الهباب الذي فعلته في الاجتماع أمس؟

فوجئ تامر بسؤال عماد وهو في مطبخ الشركة. كان تامر يخفق النسكافيه في قاع القدح، حتى تتولد الرغوة التي يحبها. ألقى بنظرة جانبية على عماد، كانت كافية ليلمح أمارات الغضب التي رنت في صوته وهي تقفز من ملامحه كذلك. لم يلتفت. صب الماء الساخن في القدح بحرص وهو يقول ببرود:

ـ هل هناك مشكلة؟

ـ طبعا هناك مشكلة. لماذا في الاجتماع؟

ـ وهل هذه أسرار؟ هي مناقشة تخص العمل، وبالتأكيد استفاد منها كل الزملاء!

ـ لا أحد استفاد منها غيرك!

ـ ولنفترض يا أخي! ألا تريد أن تفيدني؟ أليس هذا في مصلحة العمل؟

ـ تامر! لا تراوغ.. أنت تفهم ما أعنيه!

ـ الموضوع بسيط.. لماذا لا تطلب من سارة التعاون معنا بشكل رسمي؟ دعها تأتي وتقابل كمال بك وتعمل معنا ونستفِد كلنا.

قال عماد بسرعة:

ـ لا يمكن.

ـ لماذا؟

قال عماد:

ـ هي تعمل من البيت فقط.

ـ ولو، لتعمل معنا من البيت.

ـ لن تأتِ! هي.. لا تقابل أحدا.

ـ لماذا؟!

ـ لأنها مصابة بالسرطان، ونشرت هذا في صفحتها أمس. كنت أظنك متابعا جيدا!

ـ قرأته، لكن لا يهم.. لا يبدو أن هذا يمنعها من العمل معك مثلا..

ـ افهم يا بني آدم! هي لا تريد أن يراها أحد وهي تحت تأثير العلاج الكيماوي.

حمل تامر قدح النسكافيه بين كفيه ورفعه أمام وجهه، وقال لعماد:

ـ هل ترى هذا القدح؟ أتعلم كيف يخرج مثاليا هكذا؟

ـ ماذا تريد يا تامر؟

ـ كل التفاصيل مهمة.. نوعية وكمية البن، كمية السكر، المبيّض المستخدم، الحليب، مقدار الخفق، درجة حرارة الماء.. تفصيلة واحدة مفقودة ويتحول من قدح نسكافيه درجة أولى إلى كوب نسكافيه رخيص جدير بقهوة بلدي.

ـ أنا لم أبخل عليك بشيء. أنا الذي توسطت لك للعمل هنا منذ البداية.

ـ ... كل المطاعم والمقاهي تفخر بسر صناعتها.. «الخلطة السرية» كما يسمونها. لكن ـ في زمننا هذا ـ لم تعد هناك أسرار. سر الفكرة وحده لا يضمن التفوق. الأسبقية لا تضمن التفوق.. التنفيذ الصحيح فقط هو الذي يفعل.

- أتعرف؟ هذا النسكافيه سيفيدك حقا.. لكن لا تشربه، خذه بحقنه شرجية!

تسمر تامر مبهوتا للحظة، ثم انفجر ضاحكا بهستيريا، وقال بسخرية:

- الله الله! عماد المحترم تعلم البذاءة وقلة الأدب!
- أنا ساعدتك في العمل هنا.. أما لهذا قيمة عندك؟ ألا تحفظ الجميل؟
- بالعكس، أنا عون لك متى تحتاجني، لكن - وأنت تتفق معي بالتأكيد - لا تقصير في العمل على حساب العلاقات الشخصية.
- تقصير؟
- بالتأكيد.

ورشف رشفة من قدحه باستمتاع، وأضاف:

- مصلحة الشغل أن نتنافس لنتقدم جميعا، لا أن نحابي أصدقاءنا على حساب العمل.. وفي النهاية كلنا سنستفيد، وسنظل أحبابا كذلك.. يا صديقي!
- أنت.. لا صديق لك!

دخل رضا في هذه اللحظة متلفتا، ثم توقف عند تامر فور رؤيته له، صائحا:

- أستاذ تامر، كمال بك يريدك في مكتبه.

رشف تامر رشفة كبيرة من قدحه، ثم قال لعماد:

- عن إذنك.. سأكمله مع كمال بك!

انصرف تامر بابتسامته المنتصرة السخيفة، بينما ظل عماد مع أفكاره التي تنخر في خلاياه.. لماذا صار كمال بك يستدعيه هو الآن؟ تامر حمار تماما ولن يفيده بشيء! ماذا يحدث بالضبط؟

ترك الكنكة من دون أن يعد قهوته، وهرع إلى جهازه.

تهاجمه أعراض الشعور بالخطر اللعينة.. خفقان القلب المؤلم، الرعشة التي تشبه اهتزازات الهاتف المحمول، تقلص القولون.. و.. الحمام! أين الحمام؟

ركض ركضا إلى الحمام.

***

اهدأ يا عماد.. اهدأ وفكر. ستجد حلا بالتأكيد.

رجع إلى الجهاز. فتح برنامج التجسس ومنه فتح شاشة جهاز كمال العسال.. الجهاز خامل تماما، لا شيء يحدث الآن على الشاشة.

فكر يا عماد! ما الحل؟

فتح منتدى (الجحيم) إياه. أنشأ موضوعا جديدا وكتب سؤاله:

«@آلان سوبرانو:

كنت قد سألت من قبل عن برنامج لمراقبة كمبيوتر آخر موجود معك على الشبكة نفسها في هذا الموضوع، والزملاء مشكورين دلوني على البرنامج الموجود في هذا الرابط (بعد توبيخي بما يكفي لعدم قيامي بالبحث جيدا قبل السؤال)! الآن أنا أبحث عن برنامج مشابه لكن مع إمكانية نسخ ملفات من الجهاز المستهدف.. سأتحمل التوبيخ كالعادة!».

نقر على زر النشر، وجلس ينتظر الردود.

بعد قليل جاء رد. كتب أحد الاعضاء:

«@الأخ الروحي:

لماذا لم تقرأ توثيق البرنامج؟ تستطيع أن تفعل هذا بالبرنامج ذاته!»

كتب عماد:

«@آلان سوبرانو:

حقا؟ كيف؟»

جاء الرد فورا من العضو نافد الصبر نفسه:

«@الأخ الروحي:

اقرأ التوثيق يا سيد!»

يقرأ التوثيق. هذا برنامج رائع فعلا. يستطيع فعلا نسخ أية ملفات يريدها من الجهاز الذي يراقبه، ليس هذا فحسب، بل يستطيع تشغيل الميكروفون وسماع ما يدور حول الجهاز!

تتبع الشرح ليجرب هذه الخاصية.. فجأة يخرج الصوت من سماعتي الجهاز.. صوت كمال العسال يقول: **«... لكن الحشيش الحقيقي في المغرب»**!

ياللمصيبة!

ضغط عماد زر كتم الصوت، وتلفت حوله. هل انتبه أحد؟

بعض العيون ارتفعت.. ضحكات خافتة هنا أو هنا.. هل انتبه أحدهم لصوت كمال العسال؟.. لعلهم ظنوه إعلانا أو فيديو انفتح تلقائيا؟

أخرج سماعة من درج مكتبه وأوصلها بالجهاز، وجلس يستمع للحوار..

لم يكن الكلام يختلف كثيرا.. كان العسال يتحدث عن براعته في.. في شيء ما.. هاااوم! كلام ممل يبعث على النوم.

ترك السماعة على أذنيه وراح يتجول في جهاز كمال العسال الذي انفتح أمامه كـ.. كجهاز مفتوح.. مجلدات ومجلدات. أفلام.. صور.. وثائق.. خاص.. عائلي. الأفضل أن ينسخ بعض هذه الملفات عنده، ثم يفحصها فيما بعد.. بعضها فقط توفيرا للوقت.. سياسة اللصوص الناجحة

دوما: ما خف وزنه وغلا ثمنه. ملفات الفيديو والأفلام حجمها كبير ولا فائدة منها أصلا.. ثم إنه سيكون ظاهرة حقيقية في الغباء لو استغل اختراقه لجهاز كمال العسال في تحميل أحدث أفلام محمد رمضان!

ينقل الوثائق أولا.. حجمها صغير ولا تستغرق وقتا يُذكر.. ثم الصور.

يفتح بعض الوثائق بعد تحميلها.. ما هذا؟ بعضها يحمل اسم حامد العسال.. هذه وثائق تدينه.. تدين حامد العسال شخصيا!

هل يعمل كمال العسال ضد أخيه سرا؟

أم - ربما - هو يحميه؟ كيف سيعرف هذا؟ هذه وثائق صماء لن تشي بأشياء كهذه.

لو أمكنه اختراق حسابات كمال العسال!

هنا خطرت له الفكرة: هذا البرنامج الذي يراقب به جهاز كمال العسال الآن يستطيع أن يقوم بوظيفة «التحكم عن بعد» بالجهاز.. لو فعل هذا يستطيع الولوج إلى حسابات كمال بك المسجلة على متصفحه.

المشكلة أن هذا سيكون سهل الاكتشاف.. سيجد كمال العسال جهازه وقد أصابه الجنون فجأة.. سيرى مؤشر الفأرة يتحرك من تلقاء نفسه.. نوافذ تُفتح وكلمات تُكتب.. سيفهم فورا وجود متسلل للجهاز وقد ينكشف الأمر كله.

هل ينتظر حتى يخرج من الغرفة؟

لكن ماذا لو أغلق الجهاز قبل خروجه؟

يجب أن يكون الجهاز مفتوحا والعسال لا يراقبه.. كأن يكون مشغولا في أمر آخر.

يتسمّع من جديد.. ينتظر إشارة توحي بابتعادهما عن الجهاز.. أي إشارة.

يبتعد صوتاهما قليلا..

كمال يتكلم عن: «**القرش الماضي كان مثل عدمه**».

وتامر يرد: «**هذا الصنف الجديد سيعجبك.. على ضمانتي**».

يقول كمال بك: «**طيب تعال هنا عند النافذة.. الرائحة**»!

هل يخاطر الآن؟ سيفعل. يجب أن يفعل الآن.. قد لا يجد فرصة أخرى.

يبدأ العمل. يفتح المتصفح. الإعدادات.. كلمات المرور المحفوظة.. يستعرض كلمات المرور المسجلة: البريد الإلكتروني، فيسبوك، تويتر،...

ينقر على أيقونة على هيئة عين آدمية لإظهار كلمة مرور الفيسبوك، فيطلب المتصفح كلمة مرور مدير النظام. لحسن الحظ هو من وضعها.. كمال العسال يفضل فتح جهازه بدون كلمة مرور لنظام التشغيل. يدخل كلمة المرور الشهيرة، إحدى أغبى ١٠ كلمات مرور في العالم: «**١٢٣٤**»، فتظهر أمامه كلمة مرور الفيس بوك، مفتاح سر أسرار كمال العسال: **Kimo_honey74**

ثم: البريد الإلكتروني.. ثم زر الإظهار.. كلمة المرور: **Kimo_honey74**

آه. فهمت! أنت منهم.. كلمة مرور واحدة لعالمك بأكمله! مرحبا بك.

- صحيح يا تامر.. جهازي به مشكلة في...

يا للمصيبة! سيلاحظك الآن! أسرع!!

قفز بمؤشر الفأرة وضغط زر الإغلاق. انغلقت نافذة المتصفح، و.. صمت تام.

تكلم!.. تكلم! هل لاحظا؟

أتاه صوت تامر قريبا واضحا:

ـ هذه مشكلة «كوداك» الفيديو.. عندي برنامج ممتاز يشغل كل أنواع الفيديو.. سأقوم بتحميله فورا. لكن سأحذف طبعا «الكوداك» القديم و... ما هذا؟

صوت كمال العسال:

ـ ماذا؟

ـ صفحة كلمات المرور.. مفتوحة!

تبا! المتصفح يحفظ آخر الصفحات المفتوحة، بما فيها صفحات الإعدادات!

فكر يا عماد.. فكر بسرعة. لن يكشفوك الآن. سيغير كلمات المرور فور أن يستوعب ما حدث..

ـ ربما فتحها المتصفح نفسه؟ أحيانا يتصرف بغرابة!

سيتجاوز مرحلة الدهشة والإنكار وسيغير كلمة السر.. والآن؟ أسرع بالتحميل.. تحميل الملفات قبل أن تنغلق المغارة..

ـ لا.. هذا يبدو لي كاختراق.

ـ اختراق؟!

ـ هاكر!

يفتح الفيس بوك.. يفتح الرسائل.. بإضافة برمجية صغيرة لمتصفح كروم يحفظ نسخة من كل محادثات كمال العسال مع رجب مدكور. ثم محادثاته مع شاهندة.. شادي.. طارق.. معتصم..

ـ لا بد من تغيير كلمات المرور بسرعة وحالا.

ـ وكيف أفعل هذا؟

ـ هذا سهل.. هكذا.. إعدادات.. الخصوصية والأمان.. تغيير كلمة السر.. والآن اكتب كلمة مرور جديدة.

أسرع يا عماد.. لم تر شيئا في البريد الإلكتروني بعد.. تسجيل الدخول.. فشل تسجيل الدخول.

ـ كمال بك. أنا أشك في أن المخترق معنا هنا!

ـ هنا؟

ـ أحد الموظفين هنا فعل شيئا كهذا معي من قبل.

ـ ماذا تقول؟

ـ لا يضيرنا أن نتأكد!

ـ تامر. لا تخلط خصوماتك الشخصية بالعمل.

ـ أبدا والله يافندم...

تبا لك يا تامر. لن تطول هذه المناقشة..

أغلق عماد البرنامج. نقل الملفات الأخيرة في مجلد خفي، وأغلقه.

فتح متصفحا وفتح صفحة فيس بوك وبدأ يتصفح.. الآن أنت تعمل. تعالوا فتشوني.. أنا مستعد!

ظهر كمال العسال وخلفه تامر.

ـ عماد! ماذا تفعل بالضبط؟

١١#

في البيت جلس عماد أمام جهازه يتفحص ما عثر عليه في صبر. كان قد أخذ هذه الملفات على ذاكرة فلاش قبل أن ينصرف ببساطة.

لو لم يسارع بإغلاق برنامج التجسس ومجلد الملفات التي نقلها من جهاز العسال لربما كان قد انكشف. حين ظهر كمال وتامر أمام مكتبه كان مستعدا، أدار شاشة جهازه ناحيتهما ببساطة وقال:

ـ سلسلة مجموعات جديدة!.. ستعطي قوة لشبكتنا لو نشطناها كما يجب.

نظر كمال إلى الشاشة ولم يجد ما يريب، فانصرف ببساطة وهو يرمق وجه تامر المحتقن غيظا بنظرة لم تغب عن عيني عماد.

والآن وقد ظفر عماد بكل هذه الملفات ما عليه إلا أن يفحصها ويجد فيها شيئا.. أي شيء!

المشكلة أن الكلام كثير.. وأغلبه كان ثرثرة فارغة.. لكنه توقف عند محادثة بين كمال وزوجته شاهندة:

@كمال العسال:

لو عرف حامد بالموضوع ستكون كارثة.

@شاهندة:

- أي كارثة؟ أنت أخوه.. لن يؤذيك طبعا.

@كمال العسال:

- لكنه لن يسكت.. سيتدخل في الموضوع ولن يترك لنا الأرض كما اتفقنا..

يجري عماد بعينيه مع سطور المحادثة.. كمال العسال يقوم بتعديات على نهر النيل، يردم جوانبه ويبني فوقها، مستغلا نفوذ أخيه بدون علمه غالبا وبعلمه أحيانا..

حامد يكشف واحدة من حالات استغلال كمال لسلطات أخيه فيوبخه ويطلب منه التوقف، فيهدئ كمال من غضبته، ويعده بإنهاء كل هذا وإعادة الأراضي بشكل لائق حتى لا يحرج نفسه. يعده أن يفعل في الأيام القادمة.

ويصرح لشاهندة أنه يمتصه ويكسب وقتا حتى تتم الإجراءات.. إجراءات توصيل المرافق من الدولة.

ما قصة الأرض هذه؟

بحث في الملفات التي نقلها من جهاز كمال العسال عن أي شيء ذي صلة، حتى عثر في ملف نصي على نصوص لبعض الأخبار المنقولة من صحيفة على الإنترنت:

كتب طارق هلال:

«لا تكف مافيا التعدي على نهر النيل عن الاستيلاء على الأراضي المجاورة له، لإقامة أبراج سكنية، وبيعها بمبالغ خيالية تعجز الجهات المسئولة عن التعامل معها، رغم أن وزير الري، شن هجمة ضد التعديات على نهر النيل، وأزال بعض المباني المخالفة.

واستولت مافيا التعدي على نهر النيل بمدينة حلوان على ١٨ فدانًا من الأراضى التابعة للجمعية التعاونية للبناء والإسكان، بمساعدة شقيق مستشار وسياسي معروف».

لماذا يحتفظ بهذه الأخبار؟

نسخ بعض الجمل من الأخبار وبحث عنها في جوجل. لم يجدها.. لقد حُذفت!

هذه معلومات مهمة. كل هذا يدين كمال العسال.. لكن.. ماذا يمكن أن يفعل به؟

ماذا لو قابل حامد العسال؟

ماذا لو أخبره بمؤامرات كمال ضده؟

قد يكسب ثقته، ويصبح رجله في الشركة.. وليذهب كمال ومعه تامر إلى الجحيم!

إن كان قد تعلم شيئا من علاقة كمال العسال بحامد أخيه، فهو أن حامد هو الأكبر، والأقوى. لماذا إذن لا ينتقل عماد إلى الجانب الأقوى؟

***

في اليوم التالي، ظل ينتظر مجيء شادي في توتر. يتلفت حوله.. ينهض.. يدخل المطبخ ويعود.. لم يأت شادي.

برز تامر خارجا من مكتب كمال العسال، ووقف في وسط الصالة قائلا بصوت مسموع للجميع:

ـ افتحوا الإيميل. تعليمات مهمة من كمال بك.

ثم انصرف إلى مكتبه دون كلمة أخرى.

فتح عماد بريده الإلكتروني. لا شيء.. جلس ينتظر..

أهكذا تصير الأمور الآن؟ هل صار الأمر رسميا؟ تامر هو المدير؟

وصلت الرسالة في هذه اللحظة. من تامر وليس من كمال نفسه!

كتب باقتضاب:

«تقرر إيقاف تعامل كافة الموظفين مع السيد حامد العسال فورا، ويشمل هذا أعمال التسويق والشبكات الاجتماعية وموقع الإنترنت. برجاء عدم تلقي أي أوامر أو تكليفات منه، بداية من الآن إلا من خلال كمال بك، أو من تامر توفيق»!

تبا! لقد انتهى التعامل مع حامد العسال في الشركة، وشادي لن يأتي أبدا!

في الأيام التالية كان الوضع هادئا، وظل كمال العسال بنفسه يرسل إلى عماد مهاما مختلفة، وطمأنه هذا بعض الشيء.. لكنه بدأ يلاحظ أنها كلها مهام تافهة عجيبة.. وكأنه يشغله بها لسبب ما.. الغريب أن كمال يدّعي أن هذه المهام لها أولوية قصوى وأنها تتطلب تفرغه الكامل، وفي الوقت نفسه تولى تامر إدارة فريق التسويق مكانه.

صار عماد موظفا مركونا على مكتب جانبي لا علاقة له بالعمل.

هل نجح تامر في احتلال مكانه؟ هل هو من أقنع كمال العسال بتهميشه وتنحيته عن العمل؟ وماذا لو استمر الوضع هكذا؟ هل سيأتيه قرار الفصل في النهاية؟

كل هذا لن يستمر.. لا يجب أن يستمر. عليه أن يفعل شيئا.

***

أتى الاجتماع الأسبوعي التالي. نهض عماد في دوره ليقدم تقريره كالمعتاد، فقال كمال العسال:

ـ دعنا نر تقرير تامر..؟

تراجع عماد ببساطة وكأنما كان يتوقع ذلك. نهض تامر مختالا منتفخا، واتجه للجهاز. دس «الفلاشة» بالجهاز، وأدار جهاز العرض (البروجيكتور) هذه المرة، بدلا من الشاشة التي استخدمها في المرة السابقة. أطفأ النور الكهربي لتظلم القاعة، وقال:

- سنبدأ بمشاهدة هذا الفيديو أولا.

فتح ملف الفيديو وعاد لمقعده بسرعة ليشاهد معهم.

بدأ ملف الفيديو برسم بياني تتحرك الأرقام فيه بشكل استعراضي جذاب.. ثم توقف فجأة، وتصاعد صوت تامر:

- **«اخلعي ملابسك أولا»**!

ظهر الفيديو في هذه. اللحظة.. كانت محادثة سكايب بين تامر وفتاة ترتدي قميص نوم لا يكاد يؤدي وظيفة. وكانت تقول:

- **«تشحن لي الكارت أولا يا (تمورة).. كارت بخمسين. أنا لست ابنة البارحة»!**

تجمد تامر للحظات غير مصدق لما يحدث، ثم قفز فجأة مفزوعا ليوقف هذه المهزلة، بينما انفجر الحاضرون في الضحك.

***

جلس عماد على مكتبه يتسلى بتصفح الفيس بوك بينما في الداخل يدور ذلك الاجتماع الخاص الطارئ بين كمال العسال وتامر توفيق بعد ما حدث.

ضجيج الضحكات والنكات يتعالى في الخارج.. الجميع يستعيدون ما حدث وهم لا يكادون يصدقون ما رأوه بأنفسهم.

- وهل رأيت الفتاة؟ ذوقه زبالة!
- لكنها لائقة عليه!
- فعلا.. لنخطبها له!

ينتهزون فرصة الاجتماع وغياب المدير ويتمادون في الثرثرة والنميمة، حتى في وجود عماد.. هو لم يعد مديرهم، فلا داعي للتظاهر بالتحفظ والعمل أمامه. لكنه لم يكن يبالي، كان يفكر في نتيجة الاجتماع. هل يمكن أصلا أن ينتهي هذا بنتيجة غير الطرد؟

يجب أن تكون الإجابة بالنفي، لكن لماذا يتطلب الأمر اجتماعا من الأساس؟

كان يتحرق ليعرف ما يدور هناك، لكنه لم يرد المخاطرة بمعاودة المراقبة الآن.. سينتظر.

لم يكن عماد ليتخيل ما يحدث في مكتب كمال العسال وقتها.. لم يكن ليتصور أن النيران ترتد الآن.. أن تامرا يستغل ما حدث لصالحه، ويستدل به كبرهان على أن عمادا اخترق جهازه، وأنه - بالتأكيد - هو من اخترق جهاز كمال العسال نفسه.

- يا كمال بك هذا متوقع منه، هو فعلها معي من قبل.
- لا دليل على هذا.
- هل رأيت سعادتك وضعية مكتبه؟ لقد غير وضعه خصيصا حتى لا يكشفه أحد.
- دليل يا تامر.. عندك دليل؟
- لا.. لكننا نستطيع التأكد.
- كيف؟
- الملف.. ملف الفيديو الذي دسه لي في المحاضرة.. بالتأكيد هو على جهازه..
- وكيف ..؟
- اسمح لي بالبحث على جهازه.

لم يعرف عماد شيئا من هذه المحادثة، لكنه فوجئ بهما أمامه. أشار له كمال بك في صمت بالنهوض، وتوجه تامر إلى الجهاز وراح يبحث. كان يبحث باسم الملف الذي دُس له اليوم. مرت الدقائق، وانتهي البحث في كل ملفات الجهاز. لا شيء.

لم يعثر على شيء.

رمقه كمال العسال بضيق، وقال لعماد:

ـ آسف يا عماد.. تامر اتهمك بتدبير مكيدة له..

ورمقه بنظرة جانبة حانقة، ثم أردف:

ـ لكنه سيعتذر لك الآن.

احتقن وجه تامر وزاغت عيناه. لو كانت هذه قصة مصورة لرأى عماد الدخان يتصاعد من رأسه.. لكنه تجمد فجأة وبرقت عيناه وهو يشير إلى سلسلة مفاتيح عماد المتدلية من جيبه:

ـ هنا.. في هذه الفلاشة.. طبعا الملف هنا!

«كالعادة، ترتفع درجة حرارته (أم هي حرارة الغرفة؟) حين يكون في موقف كهذا، حبيبات العرق تنبت على جبينه وتتكاثر حتى تسيل كقطرات المطر على زجاج غرفته في الليالي المطيرة».

قال عماد وهو يقبض على مفاتيحه بقوة:

ـ أي ملف؟

رد تامر بشراسة:

ـ الملف الذي دسسته لي والذي..

أسكته كمال بإشارة من يده، وقال لعماد:

ـ أتسمح لنا بتفتيشها؟

ـ لا.. هذه ملكية خاصة.

تدخل تامر:

- لن نرى ما فيها، سنجري البحث من الخارج، لنرى فقط إذا ماكان الملف موجودا أم لا.
- قلت لا! هذه ملكية خاصة، ومن حقي أن أرفض.

قال كمال بحزم:

- طبعا يا عماد.. من حقك أن ترفض. لكن من حقي كذلك أن أستغني عن خدماتك.
- بالتأكيد يا باشا!
- إذن فلتختر الآن.. إما هذا أو ترحل من هنا.. الآن.

نظر عماد في عينيه مباشرة. كان كمال العسال جادا تماما.

دس عماد المفاتيح في جيبه، وتناول حقيبته واتجه للباب في صمت.

#١٢

القرية لم تعد قرية بالضبط، صارت أشبه بضواحي القاهرة؛ بيوت وعمارات «شعبية»، محلات وأكشاك ومقاه، البيوت من الطوب الأحمر، تغطي أسطحها أطباق الاستقبال، الإنترنت في كل بيت تقريبا، والهواتف الذكية في يد الجميع، الأطفال يلهون بالتابلت طوال الوقت.. وما زال الفقر مقيما كذلك، فالهواتف الذكية والإنترنت لم يعودا من علامات الثراء الآن إن لم تكن تعرف بعد. سيارات «التوكتوك» صارت تملأ القرية، تتناثر في شوارعها كما تتناثر البثور وحبوب الشباب على الوجه في الصيف. لكن ما زالت هناك بقايا من ملامح القرية القديمة؛ الحقول على أطراف القرية، مواكب الماشية العائدة من الحقل عند الغروب. ثمة ترعة قذرة لم تُردم بعد، لكن الهواء ما زال يحتوي على أكسجين أكثر من عوادم السيارات، يملأ الصدر فينعش الحواس. روائح الحقول تأتي من مكان ما ممزوجة بروائح روث الماشية التي - صدقني - ليست بهذه البشاعة.. قارنها برائحة روث السيارات في المدينة، وقل إنك تفضل هذه الأخيرة.. قل إنك لا تخشى سرطان الرئة، لكنك تشمئز من روث الماشية.

لم يكن هناك مفر من العودة. نفدت فلوسه وتملصوا من دفع مرتبه للشهر الأخير.

هل يبحث عن عمل؟ ربما فيما بعد.. ربما بعد أن ينال قسطا من الراحة، ويعود بمصروفه من جديد. الآن لديه الكثير من الوقت لممارسة عادته القديمة، يستلقي على بطنه في غرفته ويشاهد التلفزيون ويكتئب.. الكثير من المرح ينتظره!

سأل الإخوة العباقرة في منتدى (الجحيم)، فنصحوه أن يستغل خبراته في بدء شركة ناشئة («ستارت أب» كما يسمونها هناك) جديدة في «جراج» بيته! تذكر هذا وهو يتأمل بيوت القرية. ترى هل ثمة جراج واحد هنا؟

لم تكن عودة عماد حدثا جللا، فقد كان يعود كثيرا لقضاء الإجازات مع أمه، لكن وجوها مألوفة كانت تحييه في الطريق. هذه المرة لم «يقطع» الطريق إلى داره ككل مرة، كان «يشاهد» البيوت والشوارع. عندما تختلف أنت يختلف بالتالي كل شيء آخر.. تنظر إلى العالم من حولك وكأنك تراه من نافذة جديدة.. هذه المرة كان عماد ينظر من نافذة (لقد عدت لكم فاشلا) إياها.. عاد يجر أذيال الخيبة.. عاد بخفي حنين.. عاد بيدٍ في الوراء وأخرى في الأمام.. عاد صفر اليدين.. عاد مثل «خيبتها» كما تقول أمه.

لكنه لم يقل لأمه شيئا عن خيبته. جلس معها أمام الطبلية يفترس البطة المعتادة.. البطة العزيزة التي تعدها له مع المحشو كلما عاد؛ ليملأ ضلوعه ويرمم عظامه ويعوض جسمه عن أكل المدينة البلاستيكي عديم الرائحة والبركة.

ـ كيف أحوالك يا واد؟

يملأ عينيه منها في حنين. الطيبة مجسدة ثلاثية الأبعاد هي. وجهها الذي صار كومة من التجاعيد تتخللها ملامح آدمية ما زال يشع بالمودة والحنان في الظلام.

ـ نحمده. ماشي بحسّك يا أماه.

وهكذا.. لا يتجاوز الحديث معها السلامات والتحيات والسؤال عن الأحوال، الآن وفيما فات، ثم عن أحوال العمل والزملاء والأهل والأقارب والمعارف والأمة.. وينفد الحديث. ليس مللا، فهو لا يمل منها، لكن الحديث ينفد فعلا، فهي لا تعرف الكثير مما يدور في حياته، أو في الحياة عموما. كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، فلا تعرف عن الكمبيوتر إلا ثمنه، وبالطبع لا تفهم معنى الإنترنت.. لا تتخيل أن هناك حيوات كاملة هناك في جحور إلكترونية افتراضية خلف هذه الشاشات، جحور يسمونها فيس بوك وتويتر وإنستاغرام وواتساب.

يحبها ويرق قلبه لها حين يرى حيرتها تجاه هذه المسميات الغامضة التي غزت القرية نفسها، فيحاول شرح هذه الأشياء لها، لكن شرحه يأتي على غرار:

- هو برنامج نتكلم فيه مع بعضنا بالكتابة..

ينتبه مع نظرتها الحائرة إلى أنها لا تعرف معنى «برنامج» إلا في التليفزيون. يحاول أن يبسط أكثر:

- شيء في التليفونات الحديثة يرسل رسائل مثل التليغراف.

تتصعب وتقول:

- «علّم الإنسان ما لم يعلم»!

أحيانا ينسى نفسه ويحكي لها قصصا معقدة من عوالم السوشيال ميديا تابعها مؤخرا، فتسمع هي وتهمهم كل حين وكأنها تفهمه أو كأنها تعبأ بهذه الحكايات.

تحكي له عن إخوته البنات اللائي لا يزرنها إلا كل حين ومين. كل منهن لديها بيتها وعيالها، ولم تعد تتذكر أن لها أما، إلا إن احتاجتها في شيء.

يريد أن يحكي لها: فصلوني يا أماه.. فكرتُ أن أبدأ «ستارت أب» جديدًا لكنني لن أقدر على التكاليف، لأن بيتنا بلا جراج كما تعلمين.. لقد فشلت يا أماه!

ليس بحاجة لقول شيء من هذا. ستفهم أنه فشل فحسب. ستطيّب خاطره وتطمئنه بانصلاح الأحوال عمّا قريب.. الأبواب ستنفتح والخير سيأتيه. هي تؤمن بهذا حقا، لأنها تظنه الخبير الفاهم في كل شيء، حتى في «رطن» الخواجات.. لا تدرك أن من لا يرطن رطنهم الآن يُعد أميّا.. تظن أنه لمجرد سفره إلى (مصر) فإنه قد خبر الدنيا وملك زمامها.. لا تعرف أن مصر تكتظ بالملايين مثله من قليلي الحيلة، يُؤكلون ويدهسون تحت الأقدام ولا يدري بهم أحد.

لم يقل شيئا. ربتت على ظهره وقالت بعطف الكون كله:

ـ ارم حمولك على الله.. الفرج من عنده.

ليس بحاَجة لقول شيء.. قلبها يسمعه من دون كلام.

تنتهي الحكاوي حين يفرغ براد الشاي. يعود إلى غرفته - التي ما زالت غرفته هنا كما هي.

يفتح حاسبه المحمول ويشغل الراوتر.. لا إنترنت طبعا. في الصباح سيذهب إلى «السايبر»، ليدفع الاشتراك ويستعيد الوصلة. أما الآن فليشاهد شيئا تافها مملا وينام. يريد أن ينااام.

***

يقف عماد في وسط غرفته حائرا. ماذا يفعل الآن؟

تظل أياما وشهورا منغمسا في العمل، يستهلك جُل طاقتك معظم اليوم، وحين تنصرف أخيرا يستهلك ما تبقى منها في التفكير والقلق على تفاصيل العمل في اليوم التالي، ما لم تستهلكها أنت - طاقتك - في محاولات الابتعاد بتفكيرك عن العمل! تقضي جلسات غير ممتعة مع

أشخاص لا تحبهم، تلعب معهم ألعابا مملة، تشاهد أفلاما بنصف انتباه فتفوتك التفاصيل المهمة وتجد نفسك تائها فتغلق الجهاز متأففا.. تنفد طاقتك في محاولات الفرار.. أنت تهرول وشبح العمل يطاردك أينما كنت، حتى تسقط منهكا في آخر اليوم، أو تستسلم تماما للتفكير في العمل والكلام عن العمل والإعداد للعمل وحتى مواصلة العمل في وقت فراغك الخاص. تدور في هذه الدوائر المفرغة وأنت تحلم بالإجازة، التي قد تكون أسبوعا كل سنة وقد لا تكون.. تحلم بالتقاعد وأنت في ريعان الشباب (ريعان؟ أي ريعان؟ ما «ريعان» هذه؟ لم يعد الشباب له ريعان في هذه الأيام المباركة). تحلم بالاستقالة.. تحلم بالنوم.. النوم الكثير من دون منبه يذكرك بموعد انتهاء المهلة الممنوحة لك من قبل لوائح الشركة وقوانين العمل، فتهرع لتسلم نفسك في الموعد المحدد وإلا خُرب بيتك.

لكنك عندما تصل إلى هناك أخيرا (الإجازة / التقاعد / الاستقالة / الفصل...) تجد نفسك في هذه الحيرة بالضبط: ماذا أفعل الآن؟ أين كنت قبل هذه الدوامة؟ ماذا كنا نقول؟

***

يخرج ويدخل مرارا. يراقب المارة. يشرب الشاي، ثم يخرج ثم يدخل ثم يراقب المارة ويشرب الشاي. يفتح الكمبيوتر ويغلقه. الإنترنت من الموبايل سلحفائي هنا، أقرب نقطة يلتقط فيها هاتفه اتصالا معقولا بالإنترنت عند أول الشارع.

ارتدى الجلابية المريحة، وتناول محفظته ودسها في جيبه. كان قد سحب بعض الأموال من البنك قبيل عودته. ما زالت أمه تصر على منحه مصروفا من معاشها، لكنه سيستحي أن يأخذ منها مالا بعد الآن.

«السايبر» في ظهر البيت، في الشارع الخلفي. اجتاز الشارع لآخره ثم عاد بطول الشارع الخلفي حتى وصل إليه. هناك لم يجد أي «سايبر». راح يجوب الشارع ويتحقق من معالمه في شك. هل نسي مكانه؟

هذا هو البيت ذو الباب الخشبي الأخضر، وهذا بقال وهذا.. سنترال.. ربما؟

- عم تبحث؟

سأله رجل فضولي يشرب الشاي على عتبة داره. لا بد أنه يشعر بالملل ويدخل ويخرج ويراقب المارة ويشرب الشاي مثله تماما..

- كان هناك (سايبر) في مكان ما هنا..؟

- آه.. كان. انتقل.. عند مركز الشباب.

رجع يجر المزيد من أذيال الخيبة. أما من أحد غيري يجرّها يا قوم؟

***

هكذا، في مثل هذه الظروف، يجد الإنسان المعاصر نفسه مضطرا لمشاهدة التليفزيون، كما كانوا يفعلون في الماضي، في عصور ما قبل التاريخ، عندما كان الرجال يخرجون للصيد أو لجمع والتقاط الثمار، ثم يعودون لالتهامها مع نسائهم في الكهف، أمام التليفزيون.

يستلقي على الأرض، ويريح رأسه على حجر أمه.. هذه المرأة الخارقة، المخلوق الوحيد في الكوكب الذي يعيدك إلى طفولتك في لحظة. تتذكر فجأة كيف كان شعورك قبل حمل كل هذه الأثقال والهموم على عاتقك. خفة وراحة لم تشعر بهما منذ عقود.

يشاهد معها فيلما قديما مملا بالأبيض والأسود. أحداث غير منطقية وتمثيل مبالغ فيه، لكنه مريح.. يبعث على الاسترخاء ويُشعره بالنعاس.. يجب أن يتذكر هذا الفيلم عندما يصيبه الأرق. فاصل إعلاني طويل يقطع الفيلم الممل. إعلان رديء عن كمبيوتر رديء فصله تماما عن حالة الاسترخاء هذه وأعاده إلى عالم الواقع.. كمبيوتر قادر على تشغيل «**براااامج وألعاااب وأفلاااام**»، بل وقادر على - احبس أنفاسك - «**الاتصاااال بالإنترنت**».. والمفاجأة أنك تحصل معه - «**مجاااانا**» - على «**فأرة**»، و... «**لوحة مفاتيييح**»، و... «**سماعاااات**».

وجد نفسه يهتف بحنق:

ـ ما هذا النصب؟

ـ ماله؟ غالٍ؟

هي لا تفهم، ما النصب هنا؟

ـ لا، هذا ليس بكمبيوتر أصلا!

ما زالت لا تفهم.

ـ لن يعمل؟

ـ بل سيعمل، لكن.. هذا جهاز قديم وضعيف.. لا أحد يريد شراء هذا الآن. لا يجب.

ـ قديم وضعيف أحسن من لا شيء. يقضي الغرض.

لا أكثر من تعبيرات الرضا بالحال لديها، بداية من «يقضي الغرض» و«الشاطرة تغزل برجل حمار»، إلى «ارضَ بقليلك» و«الصبر مفتاح الفرج». قالت:

ـ ... والشاطرة تغزل برجل حمار.. اسم الله على مقامك!

ضحك بصوت عال.. هو أيضا يقرأ أفكارها!

قالت برنة عتاب:

ـ تضحك؟ تعرف لماذا تغزل برجل حمار يا ناصح؟

ـ لماذا؟

ـ لأنها لو اشترت مغزلا لن تقدر على شراء خيوط تغزلها.. تغزل الآن برجل الحمار، حتى توفر ثمن المغزل.. يا ناصح يا من تضحك على أمك.

ـ أبدا والله، لا أضحك عليك.. فقط تذكرت شيئا. لكن قولي لي، لو الشاطرة ليس عندها حتى الحمار ولا رجل الحمار، ماذا تفعل؟

ـ تتصرف.

ـ كيف؟

ـ تغزل برجل ابنها مثلا!

قالتها ثم مدت يديها تمسك بقصبتي رجليه، وعدلتهما ليصيرا قائمين متوازيين، وقالت:

ـ هكذا.

تأملها في إعجاب. هكذا عاشت.. هكذا قضت حياتها كلهاد تدبر أمورها وترضى بالمقسوم وتغزل برجل الحمار أو بدونها.. ليتها كانت متعلمة!

ـ صح. الخواجات يقولون «الجراج» لأن هذا هو «رجل الحمار» عندهم.. أما نحن فحمارنا يختلف...

هب معتدلا ليطبع قبلة على جبينها، ونهض يرتدي الجلابية على عجل.

ـ إلى أين؟

ـ إلى الجراج؟

ـ أي جراج؟

ـ قصدي السايبر.. سأبحث عن رجل الحمار.

#١٣

استقبله عصمت، صاحب السايبر، بالأحضان والقبلات.

(عصمت) هو اسمه فعلا، وليس اختصارا لـ(محمد عصمت) أو (أحمد عصمت) كما قد تظن. كان زميل عماد في المدرسة الابتدائية ثم الإعدادية، ولم يكمل تعليمه بعدها. بعد وفاة والده تفرغ للزراعة في الحقل (وهذه ليست قصة حزينة، فهو الذي كان يتحرق شوقا للانعتاق من الدراسة منذ اليوم الأول تقريبا)، ثم فتح هذا السايبر، واكتفى به إلى جانب الزراعة. كان هذا ذكيا، فهو أول من تزوج في هذا الجيل المنحوس بفضل هذا المسار القصير في الدراسة.

- خلّفت يا عصمت؟
- سلوى ورضوى ومحمد!
- ما شاء الله! ربنا يبارك! دعني أخمن.. اكتفيت الآن بعد الولد؟
- لا والله، كل الأطفال نعمة وخير من الله والأطفال أحباب الله وكذا كذا إلى آخر هذا الكلام المحفوظ الذي يقال في هذه الظروف...

بالطبع لم يقل عصمت هذا، لكن هذا ما تتذكره من حوار كهذا. عماد أيضا كان يشعر بالملل مثلنا تماما من هذه التمثيلية الإجبارية، لكن لا مفر.. لا أحد يذهب لزميل دراسة قديم بعد سنوات من الغياب ليقول "السلام عليكم، أريد مساعدتك"، إلا لو كان معتوها. حتى عماد يعرف هذا.

عندما حانت اللحظة أخيرًا قال عماد:

- أنا أبحث عن شباب يعمل معي في مشروع، وأظن أنني قد أجدهم هنا بين زبائنك.
- عيوني لك! كلمني عن المشروع وسأبحث لك عمن يصلح. ولي الحلاوة طبعا.. هاهاها.. أمزح طبعا!
- ممم.. في الحقيقة، أنا أريد أن أختار بنفسي.. سأجلس هنا وأراقبهم وأختار منهم.
- عيوني لك طبعا يا صاحبي، أنت تعرف معزّتك عندي، لكن هذه مسئولية. لا أريد مشاكل مع الأهالي.. أنت تعرف المسئولية.. هاهاها.
- أي مسئولية؟ وأي مشاكل؟ هذا اتفاق عمل.. لا دخل للأهالي بالموضوع.
- عيوني لك طبعا، لكن ليس بهذه البساطة، اعذرني يا صاحبي، لكنك لم تعد تعيش هنا ولا تعرف كيف تسير الأمور هنا. أنا أدرى بهم صدقني، وأنا أقول لك هذا!
- تقول ماذا؟ أنت لم تقل شيئا!
- يا أستاذ عماد، زبائني أطفال تقريبا، وأهاليهم يثقون بي، ويطمئنون على وجودهم عندي هنا، لا يمكن أن أخون هذه الثقة.
- أي ثقة يا عم عصمت؟ أهذا سايبر أم حضانة؟

ـ لو حدث مكروه لأحدهم سيكون اللوم عليّ لا عليك..
ـ عصمت.. ماذا تريد بالضبط؟
ـ لا شيء صدقني، أنا لا أريد شيئا لنفسي.. هل تعرف كم كلفني إنشاء هذا السايبر؟ أنا فقط لا أريد أن أخسر زبائني. هل تفهمني؟ هؤلاء يدرسون ويساعدون أهاليهم في الحقول أحيانا، لو حصلوا على عمل سيتضرر الأهالي وينقلبون عليّ..
ـ وتتضرر أنت لأنهم لن يقضوا النهار بطوله عندك.. هل هذا ما تخشاه؟
ـ لم أقل هذا.. أنا أتكلم عن الأهالي.. وعيوني لك طبعا!
ـ وماذا لو أخبرتك أن العمل كله سيكون هنا، على أجهزتك هذه؟ سيقضون وقتا أطول على الأجهزة، وستحصل على أجرك كاملا.

ظهر الارتياح على وجه عصمت، لكنه سارع بإزالته بالماء والصابون، وقال:

ـ حقا؟! جيد.. لكن أنا لا أتكلم عن النقود صدقني.. ثم إنهم يقضون وقتهم هنا على أي حال.. هاهاها.
ـ سيعمل المكان بكامل طاقته يا عصمت، بدون أجهزة خالية معظم الوقت كما أرى الآن، وسيكسبون نقودا فورية. سيمكنهم إنفاق المزيد عندك، وسيدفعون لك فورا بدلا من نظام "النوتة" الذي تعمل به..
ـ آه والله يا عماد! لو تعرف كم أعاني لأتحصل على أجري من أحدهم!
ـ وتستطيع أن تترك لي إدارة المحل في غيابك، يمكنني أن أديره لك وردية يوميا.. إن كنت تأتمنني طبعا.

ـ عيب والله! أنا أئتمنك على حياتي يا رجل! نحن إخوة وأهل.. أكثر من أهل والله يعلم.

ـ إذن.. هل اتفقنا؟

ـ أنا قلت لك من البداية عيوني لك.. وكله لأجل خاطرك يا صاحبي.. هاهاها!

***

يجلس خلف الجهاز الرئيس يتابع عداد الساعات لكل جهاز، ويراقب الزبائن. شباب ومراهقون وصبية. كلهم يتشابهون. وجوه سمراء، وملابس رخيصة، وقصات شعر سخيفة كالتي تراها في كل مكان هذه الأيام: شعر خفيف عند الجانبين، وكتلة من الشعر المنتصب من أعلى كنبتة صحراوية وحيدة، ولحية خفيفة عند الجانبين مدببة من الأسفل، إن توفرت اللحية لدى الفتى أصلا بالطبع.

يصخبون ويهللون حول اللعب المحتدم. حول كل واحد أو اثنين يلعبان هناك مجموعة تحيط بهما، تقوم بدور الجماهير والمعلقين والمحللين والناصحين.. يشغلون ثلاثة أجهزة فقط من الثمانية الموجودة في المحل.

صبي قصير مزعج يقف خلف آخر يلعب لعبة قتالية ما، ولا يكف - القصير - عن إسداء التعليمات:

ـ اضغط على الإكس يا صادق.. الإكس والصليب.. الإكس والصليب يا حمار! بووووم! وقعت! هاهاها!

يستدير إليه صادق غاضبا ويهوي على قفاه بصفعة رنانة، فيضحك الآخرون..

ـ قلت لك سبعين مرة لا تقف خلفي يا ميمون.. واخرس! ألا تخرس أبدا؟

أطفال هم. حتى الكبار منهم أطفال. هذا غير مشجع أبدا.

جذب عماد الصبي القصير وقال له:

ـ اسمك ميمون؟

أجاب ميمون بسرعة:

ـ لا.. اسمي أيمن.

قصير هو، لكن الذكاء يشع من عينيه، ولا يبدو أنه أصغرهم سنا كذلك.

ـ ولماذا ميمون؟

تطوع أحد الصبية بالإجابة ضاحكا:

ـ لأنه مثل القرد!

ـ حقا؟ كيف؟

ـ صغير مثل النسناس، لكنه عفريت يغلب كل العيال في كل الألعاب.

اعترض آخر:

ـ لم يغلبني!

ـ لا.. غلبك يا معتز!

ـ مرة واحدة، وكان يغش!

سأله عماد:

ـ كنت تغش يا ميمون؟

ـ ليس غشا! هناك «هاكات» للعبة مرمية على النت.. هو أيضا يقدر أن يستخدمها، لكنه حمار، لا يعرف حتى كيف يستخدم غوغل!

فكر عماد طويلا.. قد لا تكون هذه هي الطريقة الصحيحة، لكنه سيجرب. نهض ووقف أمام المكتب وتكلم بصوت عال واضح وكأنه سيلقي محاضرة:

- يا شباب. سكوت لو سمحتم!

التفتت إليه العيون، فبدأ الأدرينالين يسبح في شرايينه.. هؤلاء صبية وليسوا موظفين وإداريين في شركة.. تماسك!

- عندي لكم مهمة. مسابقة صغيرة، من سينفذها بأفضل طريقة سأعطيه عشرين جنيها وسيعمل معي بعد ذلك.. مقابل فلوس!
- ما المهمة؟
- وسنجلس على الأجهزة مجانا؟
- نعم! وسأقول لكم...

لم ينتظروا.. قفز كل منهم يحتل جهازا، إلا معتز، الذي بقي خلفهم لا مكان له بعد أن اكتمل العدد، فجاء يشكو إلى عماد:

- وأنا؟ أريد الاشتراك!
- فيما بعد.

واستدار إليهم يشرح المسابقة:

- المطلوب: إنشاء بريد إلكتروني جديد، باسم بنت، ثم تأخذ هذا البريد وتنشئ به حسابا للبنت نفسها على الفيس بوك. ثم تكمل الصفحة وتملؤها بمحتويات عادية حتى تبدو حية وحقيقية.. صور.. منشورات.. وهكذا.. مفهوم؟
- كم وقت الإجابة يا مستر؟

«وقت الإجابة»؟ و«مستر»؟! ياللمصيبة! هل يظنونه مدرس حاسب آلي؟

ما الذي ورط نفسه فيه؟

ـ ساعة يا حبيبي!

فتح لهم الشاشات المغلقة من برنامج التحكم عنده، وأشار لهم بالبدء.

سيندم! يعرف أنه سيندم حتما!

راح يتابعهم لدقائق. كانوا يفتحون صفحات بريد إلكتروني مختلفة..

راح يتابعهم للحظات ثم فكر أن يجرب هو أيضا، ربما ليقارن سرعته بسرعتهم. فتح موقع (جيميل)، وبدأ ينشئ حسابا جديدا. فكر في اسم، ثم كتب (هناء مجدي). وفتح صفحة فيسبوك وبدأ يسجل حسابا لها... توقف بعد فترة ونهض ليلقي نظرة عليهم.. كانوا يلعبون!

ـ ماذا تفعلون؟

يكتمون الضحكات ويواصلون اللعب. حرارة الغضب تلهب قمة رأسه.. لا بد أن جبهته الآن حمراء مضحكة كمؤخرة القرد.

ـ طيب. أنا المخطئ. تفضلوا قوموا. المسابقة ملغاة وسأغلق الأجهزة.

تصاعدت صيحات الاعتراض، ممزوجة بالضحكات الشيطانية، ويكاد يسمع «ضحكنا عليك هاهاها»!

اقترب منه ميمون وقال:

ـ لكن أنا عملت المطلوب يا باشا.. وأستحق الجائزة.

ـ كنت تلعب مثلهم.

ـ لكني فعلت المطلوب، وهذا هو المهم.. صح؟

ـ دعني أرى!

ـ افتح لي الجهاز.

ـ لا.. تعال هنا على جهازي. اكتب بيانات الحساب. الرابط والبريد الإلكتروني وكلمة السر، وسأفتحه أنا..

جلس ميمون أمام المكتب وجرى بأصابعه بسرعة على المفاتيح.. لم يستغرق دقيقة ثم نهض وأشار لعماد بالجلوس مكانه. جلس عماد وسجل الدخول بالحساب الذي كتبه. هذا حساب فتاة فعلا (منال عامر).. يبدو حقيقيا.. في الواقع يبدو حقيقيا أكثر من اللازم.. منشورات قديمة، وصور وتعليقات.

ـ لكن.. هذا قديم!

ـ أيبدو حقيقيا أم لا؟

ـ لا يبدو فقط.. هو حقيقي فعلا!

ـ لا يهم.. العشرين جنيها يا باشا!

ـ لحظة.. يجب أن أفهم..

ـ كنت أعرف أنك ستتهرب...

ـ لا.. لن أتهرب.. ستأخذ فلوسك لكن...

فجأة شعر بشخص ما هناك.. رفع رأسه فوجد هذه المرأة أمامه، تحدق فيه بغضب! بجوارها كان يقف الصبي معتز، دامع العينين..

قال لها عماد في حذر:

ـ لم أعمل له شيئا!

ـ أنت طلبت من العيال يشتغلوا معك بفلوس؟

آاااه! سيحاكمونه هنا بتهمة استغلال الأطفال!

ـ آآ.. نعم.. لكنه ليس عملا بالضبط.. كنت أختبرهم لأرى إن كان بعضهم ينفع..

ـ ومعتز؟

ـ ماله؟

ـ لماذا لم تأخذه معهم؟

ـ لم آخذ أحدا أصلا.. ما زلت أختبرهم..

ـ خذه والنبي.. وسيسمع الكلام.. وإن كان لا يعرف علّمه.. مخه نظيف وسيتعلم بسرعة.. ربنا يكفيك شر المرض!

قال بتردد وهو لا يصدق أنه نجا:

ـ حاضر.. حاضر يا ستي.. سآخذه.

ودعت المرأة ابنها وانصرفت وهي توصيه بسماع الكلام وتدعو لعماد.

تتبعها عماد ببصره حتى ابتعدت، ثم انتبه لميمون الذي ما زال ينتظره. أخرج محفظته وناوله ورقة من فئة العشرين جنيها، وقال له:

ـ لكن اشرح لي أولا تاريخ هذا الحساب..

فتح ميمون فمه ليتكلم، لكن عماد لم يسمع شيئا.. كان يحدق في النسوة الثلاثة الذين اقتحموا السايبر بدورهم. تقدمت إحداهن تجر ابنها المراهق وقالت لعماد:

ـ الولد ده ممكن يشتغل معاك يا باشمهندس؟

١٤#

«بعد تأسيس شبكتك، ستواجه مشكلة: تستطيع مشاركة منشور، لكنه لن يتخطى حدود شبكتك إلا إذا اقتنع به أحد المشاهير أو «المؤثرين».. وهؤلاء يحتاجون إلى إقناع.. وهم لا يقتنعون بسهولة! لا بد من منشور متقن فعلا أو مهم فعلا، أو.. أن تصنع أنت أحد المشاهير من بعض حساباتك. وفي كل الأحوال سيتطلب هذا منك كتابة محتوى جذاب.. «محتوى فيروسي»!

المحتوى الفيروسي viral content قد يكون في شكل مقالة أو صورة أو مقطع فيديو، ويتسم بكونه ينتشر بسرعة عبر الإنترنت كما ينتشر الفيروس، من خلال روابط مواقع الويب والمشاركة الاجتماعية. المحتوى الفيروسي هو أسرع طريقة للتسويق الحديث على السوشيال ميديا، المحتوى الفيروسي يسافر بنفسه ويجوب أنحاء الإنترنت في ساعات قليلة حاملا معه دعاية مجانية لكاتب المحتوى ولكل الروابط التي يشملها المنشور نفسه.

حتى تصنع منشورا فيروسيا احرص على أن تلتزم بهذه القواعد:...».

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) – إعداد عماد الصاوي

يجلس على أريكة الانتظار الجلدية السوداء متوترا. كل حركة في جلسته تحدث صريرا مضحكا في الأريكة. هكذا يحاول أن يثبت في جلسته، فقط ليصرخ جسده أن هذا الوضع ليس مريحا.. يجرب وضعا آخر فيتصاعد الصرير ويثبت مضطرا في وضع أقل راحة مما كان. الملابس الرسمية تزعجه حقا، خاصة وقد اعتاد على ارتداء الجلابية المريحة مؤخرا.. على الأقل فقد اكتفى بارتداء بذلة بلا رابطة عنق، وإلا لشنق نفسه واستراح.

طال انتظاره. حفظ تفاصيل قاعة الاستقبال هذه، بالمقاعد الجلدية وألوان ونقوش السيراميك وصور حامد العسال وشهاداته التي تملأ الحائط كمعرض تصوير فوتوغرافي، حفظ تقاطيع السكرتيرة الحسناء المتعجرفة. نهض أخيرا وسألها:

- يا أستاذة، لو سمحتِ. هل أبلغتِ حامد بك بوجودي؟
- نعم يا أستاذ، تفضل استرح.
- شكرا، أنا مرتاح جدا! طيب هل أستطيع معرفة وقت الانتظار المتبقي؟
- أفندم؟
- أعني كما في خدمة العملاء.. أمامك مدة انتظار...

ملامح الغباء على وجهها جعلته يبتلع بقية كلامه.. هز رأسه وقال:

- لا عليكِ!
- تفضل يا أستاذ! دقائق ومستر شادي سيقابل حضرتك.
- مستر شادي؟ لكني.. كنت أريد مقابلة سيادة المستشار.
- بالتأكيد. لذلك ستقابل مستر شادي أولا.

سحقا! كان يمكنه الاتصال بشادي من البداية. لم يتصور أن الأمر بهذه الصعوبة.

ربع ساعة أخرى من الانتظار. ياللملل!

ترى، هل هذا متعمد؟ هل يقصدون تركه ينتظر لإذلاله؟

نفد صبره. أخرج هاتفه واتصل بشادي. سمع صوت رنين الجرس على أذنه، ونغمة رنين موتسارت قادمة من مكان ما، والصوت يقترب تدريجيا، ثم ظهر شادي مبتسما يلوح بالهاتف في يده، ويقول مداعبا:

ـ متعجل أنت دائما يا عماد!

اقترب وصافحه بحرارة، جعلته يرمق السكرتيرة بنظرة لوم، وكأنه يقول: أرأيتِ؟ أنا مهم هنا يا حمقاء!

ـ تفضل معي في مكتبي.

دخل عماد خلفه. مكتب فخم حقا. كيف إذن سيكون مكتب حامد العسال نفسه؟ أهذا هو شادي الذي كان يعد القهوة لنفسه في مطبخنا الحقير؟

ـ ماذا تشرب؟

ـ لا شيء، شكرا.

ـ لا.. عيب يا رجل. قهوة؟

لم ينتظر رده، قالها وهو يرفع سماعة الهاتف ويضغط زرا ما ثم يقول:

ـ قهوة مضبوطة يا عم حسن.

وضع السماعة وواصل مبتسما:

ـ أنا متذكر كلامنا عن القهوة.ظ سيعجبك هذا البن، اخترته بنفسي، والتحويج...

رن هاتفه، فرفع سبابته مستئذنا عماد، ولمس زرا ليستقبل المكالمة قائلا:

ـ ألو، نعم يا فندم...

نهض مسرعا إلى الشرفة ليكمل مكالمته بعيدا عن مسامع عماد.

جاء عم حسن الساعي بالقهوة، وشربها عماد، وجلس ينتظر. المزيد من الانتظار. طالت المكالمة. نظر في ساعته في توتر. ما هذه المعاملة؟ هل يتلاعبون به؟ لا يفهم هذا النوع من المعاملة. لماذا اللف والدوران؟ لماذا ألعاب الأعصاب؟ إن كنتم لا تريدون التعامل معي فلتقولوها في وجهي على الباب.. لا تستقبلوني من البداية. شغل أولاد السوق هذا مستفز فعلا.. هل ينصرف الآن؟

نهض من مكانه، ثم وقف مترددا.. ماذا لو كان مخطئا؟

رآه شادي وقفا وهو ما زال في مكالمته، فأشار له متسائلا بما يعني «هل ستنصرف؟».

جلس عماد بسرعة وهز رأسه نفيا. لن يضيره الانتظار! ثم إنه ليس لديه خطة أخرى. ليس أمامه إلا حامد العسال. هو من يهمه الحصول على ما لديه.. لا أحد آخر.

عدما أنهى شادي مكالمته كان عماد قد فقد الأمل وملأه الإحباط من الموضوع برمته. لا بد أن روحه قد بلغت الحلقوم في هذه اللحظة.. لا يعرف ما هو الحلقوم، وأين هو بالضبط، لكن روحه هناك بكل تأكيد. سأله شادي بابتسامته العريضة المستوردة من الصين:

ـ خيرا؟

قال عماد بملل:

ـ أريد مقابلة حامد بك.

ـ لماذا؟

ـ عندي عرض له.

ـ عرض من كمال بك؟

- لا.. إطلاقا. أنا تركت العمل هناك منذ أسابيع. هذا عرض مني أنا.

أومأ شادي برأسه متفهما، وإن بدا لعماد أنه لم يقتنع. هل يظنها لعبة من كمال العسال؟

- وما العرض بالضبط؟
- اسمع يا أستاذ شادي، هذه ليست لعبة. ثم إنها ستكون قمة السذاجة أن يرسلني كمال بك أنا بالذات للتلاعب أو التجسس، وسأثبت هذا..
- دعك من كل هذا.. لا فرق إن صدقتك أم لا. المهم هو ماذا لديك أنت؟
- ممكن أعرضه على حامد بك بنفسي؟
- عماد، أنت عملت معنا من قبل وتعرف انشغاله، وتعرف أيضا أنني أمثله في كل شيء يخص العمل.
- نعم.. لكني كنت أريده أن يختار الإثبات بنفسه..
- إثبات ماذا؟ تكلم بوضوح لو سمحت.
- طيب.. آ...

لحظة صمت أخرى استجمع فيها أفكاره وحسم أمره، ثم مد يده بالملف الذي كان يحمله فيه يده إلى شادي، وقال:

- هذا الملف لسيادة المستشار.
- ما هذا؟
- وثائق تهم حامد بك.

قلب شادي في الملف بسرعة، ولم يبد عليه أي انفعال.. فقط تجمدت ابتسامته لحظات وهو يقرأ، ثم عادت لوضعها الافتراضي وقال:

- جميل. أهذا هو العرض؟

قال عماد بسرعة:

- لا.. الموضوع الأهم أنني.. أنشأت شبكة تسويقية مؤثرة على السوشيال ميديا.. بإمكاننا استغلالها دعائيا لصالح سيادة المستشار.. فريق كامل يعمل معي، يستطيع تحريك أي «تريند».. يمكنني به تحقيق أي هدف يحدده حامد بك بنفسه..

لم يبد على شادي أي انبهار! عماد نفسه اكتشف أن عرضه بدا باهتا لا يوحي بأي «فرصة» كما كان يشعر. قال شادي:

- آه، فهمت. طيب، أهذا كل شيء؟
- ممم.. نعم. تقريبا!
- طيب! سأوصل له الرسالة.. والملف.
- لا.. الآن!
- نعم؟
- أعني.. لو سمحت! أظن حامد بك سيرغب في مقابلتي. سأنتظر فقط حتى تخبره.
- ممم. طيب. لكني لا أعدك بشيء الآن.
- سأنتظر.

هذه المرة لم ينتظر طويلا. عاد شادي بعد دقائق وقال ببساطة:

- تمام. حامد بك يشكرك، لكن لا توجد فرصة للتعاون معك في الوقت الحالي.
- ماذا؟ ما هذا؟ و.. والملف؟ كيف؟

ماذا فعلت يا أحمق؟ أعطيته الملف كاملا؟ من يرمي بأوراقه كاملة هكذا؟ و.. مجانا؟

- حامد بك أسند مهمة إدارة موقعه الإلكتروني وصفحاته على السوشيال ميديا لموظف جديد، ويبدو أنه يقوم بالعمل جيدا بما يكفي.
- والملف؟!
- نشكرك عليه طبعا!

ضحك عماد في توتر. قال محاولا استجماع أفكاره:

- لا أظن أنك فهمتني بالضبط. أنا كنت فقط أحاول إثبات حسن النية بهذا الملف.
- لكن، واعذرني في قولي هذا، لماذا نثق بك؟ أنت كنت تعمل مع كمال العسال، والآن تأتي إلينا بأسراره.. ما الذي يجعلنا نثق بك؟
- لأنني قدمت لكم الملف! ثم.. العرض.. أنا لا أتحدث عن إدارة صفحات.. هذه آلة تسويقية خفية.. غير رسمية.
- لا أظن هذا سيصنع فارقا عند سيادة المستشار.
- لكن.. هو لم يعرف بفكرتي أصلا!
- أعتقد أنني أعطيته فكرة مناسبة بما يكفي.
- أريد دقيقة واحدة.. نصف دقيقة!
- معذرة يا عماد، أنت تعرف العمل.. شرفتنا!

وتركه وانصرف!

ياللغباء!

ضاعت فرصته الوحيدة.. وهذا الأحمق هو السبب.. «إدارة صفحات»؟ هو لم يفهمه.. لم يسمعه جيدا..

لكن.. هو المخطئ.. كان عليه أن يحسن تقديم فكرته.. كان يجب أن يدخل في الموضوع.. أحمق هو.. أحمق!

تحرك ناحية الباب في تثاقل، ثم توقف فجأة وقد خطرت له فكرة.. هرع إلى السكرتيرة اللطيفة يسألها ورقة وقلما بلهجة من يحاول إنقاذ غريق، فناولته ما أراد في هلع..

انتحى جانبا وكتب فكرته بعناية، ثم طوى الورقة ووقف يتلفت حتى وجد عماد عائدا مرة أخرى.. أوقفه من جديد في لهفة، فتلقاه هذا بنظرة نفاد صبر، لكنه عاجله قبل أن يتكلم:

- أعرف! سأنصرف والله.. لكن ممكن رسالة؟ رسالة واحدة أخيرة!

- أستاذ عماد!

- رسالة صغيرة.. مجرد ورقة توصلها له وسأنصرف فورا.. أعدك بذلك.

زفر شادي وقال بعد هنيهة:

- تفضل.

أخرج ورقة مطوية من جيبه وناولها لشادي بتردد، ثم قال:

- هذا بالضبط ما أردت قوله.. أرجو أن تقرأها كاملة على حامد بك.

فض شادي الورقة وتلا ما بالورقة بلهجة رتيبة:

- «التريند.. هذا الاختراع الحديث، الموجة التي ترفع أشخاصا وتدمر أشخاصا.. الظاهرة التي صارت أقوى من النفوذ ومن السلطة ومن القانون.. السلاح الوحيد الذي يمكنه زلزلة الثوابت ومواجهة العادات والتقاليد وتغيير الأعراف.. تخيل يا سيدي لو أن هذا السلاح الجبار كان أداة تحت سيطرتك. أنا يا سيدي صنايعي تريند، وأنا أعرض عليك هذا السلاح ليكون تحت تصرفك..هذا عرضي لك.. فما قولك؟».

أنهى شادي القراءة، ورفع عينيه إلى عماد، وتساءل:

- تمام. أهذا كل شيء؟
- لا.. اطلب منه اختبارا لنا.. قل له أن يختار التريند الذي يريده.. أو شخصية يريدها أن تحترق بهذا التريند.. وليبلغنا بالاسم فقط.
- «تحترق»..؟
- كان يمكنني أن أختار بنفسي من الشخصيات التي لا تحمل محبة كبيرة لسيادة المستشار، لكن هذا لن يثبت شيئا.. لن يكون هناك دليل على أننا من فعلها.
- فعل ماذا؟
- فقط اختاروا الشخصية.. وسترون!
- فقط؟
- فقط!
- طيب. أعدك بتوصيل الرسالة. مع السلامة!
- سأنتظرك حتى تخبره.
- عماد.. قلت إنك ستنصرف..
- طيب طيب.. مع السلامة!

صافحه وخرج من مكتبه. لم ينصرف كما قال. تباطأ وتوقف في قاعة الاستقبال، وتلفت حوله ثم جلس ببطء لينتظر. الأريكة تحدث صريرها الفاضح!

دقائق فقط.. لا شك أن حامد العسال سيطلب مقابلته بمجرد أن يفهم حقا ما يعرضه عليه. شادي فقط لا يقدّر أهمية الموضوع.

ظهر شادي بعد لحظات ليجده جالسا هنا. أقبل نحوه، وقال بجدية من دون ابتسامته البلاستيكية، في لقطة تاريخية تحدث لأول مرة:

ـ أستاذ عماد.. هل نعتبر اتفاقنا ملغًى؟ أما زلت تريد توصيل الرسالة؟

قفز عماد من مكانه كالملدوغ، وصاح:

ـ آسف.. خلاص، سأنصرف حالا.. كنت أرتاح فقط و.. أربط حذائي!

خرج من المكتب إلى السلالم.

فليهنأوا بمكتبهم!

هم آمنون الآن منك.. آمنون من فيروساتك وجراثيمك التي ستلوثهم.

خرج من العمارة، وعبر الشارع إلى الكورنيش.

نظر خلفه إلى العمارة. تفحص شاشة هاتفه آملا في رؤية رسالة أو اتصال. لا شيء. عبر الكورنيش إلى الناحية الأخرى حيث النيل.

وقف على السور الذي يسجن النيل، ووقف مستندا على السور يراقبه. منسوب المياه فيه منخفض، والأشجار القليلة على ضفتيه تبدو باهتة مكسوة بالتراب. روّضوه وقيّدوه بالسدود، ودفنوه بين الأبراج والعمارات الأسمنتية.. وهو كما هو.. تجري مياهه كما كانت تجري دائما، يجري هناك لا يعبأ بشيء.

يمر الوقت، ولا أحد يتصل. لا مفر. يلمح الأتوبيس المتجه إلى رمسيس قادما من الناحية الأخرى، يعبر الشارع جريا ليلحق به، فيسمع صرير سيارة مسرعة تفادته بصعوبة.. يطل السائق من نافذة سيارته ويقول شيئا مبتكرا عن الحياة الجنسية لأمه. سرعة البديهة هذه. متى صاغ هذه العبارة؟

يلحق بالأوتوبيس الذي ما زال متوقفا، ويتعلق بقوائمه مندسا وسط الكتل البشرية المتلاحمة بداخله. لم يعد بحاجة للحفاظ على هندامه على

أي حال.

ـ تذكرة يا أستاذ.

ـ كم؟

ـ ٢ جنيه؟

ـ معك فكة عشرين؟

رن هاتفه فجأة، فترك الكمساري منتظرا ورد بسرعة. أتاه صوت شادي من الهاتف مقتضبا:

ـ عمرو خطاب.. المذيع.

وأغلق الخط من دون أن ينتظر ردا.

#١٥

«١) يشن الفريق حملة انتقادات وهجوم على الهدف. يتم اختيار نقاط الهجوم والنقد من كلام ومواقف وتصريحات الشخصية المستهدفة، ويتم جمع كافة الفيديوهات أو الصور التي تحتوي على التصريحات والمواقف موضع الهجوم وقصها وإعادة رفعها ونشرها على السوشيال ميديا.

٢) نقاط الهجوم تتوزع حسب الهدف، لكنها دائما ستدور حول:

حسب الشخص، إما أصله الوضيع، الذي يسبب له شعورا بالدونية، أو ثراءه الشديد الذي أدى لتعاليه على الناس وعدم شعوره بالمواطن بالبسيط.

طرح رقم تقريبي لدخله من العمل العام على أنه معلومة مؤكدة (اختيار رقم محدد سيؤكد أنه حقيقي، فمثلا ٢٧٠٠٠ جنيه شهريا أكثر مصداقية من ٣٠ ألف جنيه)، وربط ذلك ببعده التام عن قضايا الناس والمواطنين البسطاء، واهتمامه فقط بمصلحته الخاصة، أو (إذا كان يتحدث عن قضايا الناس) بمتاجرته بمشاعر البسطاء من أجل المحافظة على أرباحه ومركزه.

علاقاته العاطفية: لا بد من علاقة عاطفية ما حتى لو إشاعة.. علينا معرفة أي اسم لمن يرتبط بهم بعلاقة ما واختلاق قصة حولها، ونشرها كأنها تساؤل.

ممتلكاته: صورة لمحل إقامته وسيارته، وأي عقار يمتلكه، مع تقدير مادي لقيم هذه الممتلكات، وربط ذلك بكلامه - أو عدم كلامه - عن الفقراء.

أي قصص أو شائعات يمكن اختلاقها بحيث تبدو قابلة للتصديق، ونشرها وسط اللغط في تعليقات مجموعات الفيسبوك لتنتشر عبر تويتر وواتساب.

٣) تبدأ الحملة في توقيت محدد، ويشترك المشاركون في استخدام هاشتاغ محدد باسم الشخصية المستهدفة على تويتر والفيسبوك.

٤) الاستمرار في نشر البوستات والصور والانتقادات حول نقاط بعينها باستخدام نفس الهاشتاغ حتى يتصدر «التريند» على السوشيال ميديا.

٥) بعد تصدر الهاشتاغ، وصناعة «التريند» ينتهي دورنا في النشر، وننتقل إلى متابعة ما ينشره الناس تعليقا على الموضوع، نركز على دعم المنشورات المهاجمة للهدف، بالمشاركة والتعليق أو الإعجاب فقط، ونحذف أو نتجاهل أو نرد على المنشورات المضادة.. ويمكن أن نشارك ببعض التعليقات أو الآراء المضادة.. المضادة بطريقة ساذجة مضحكة.

٦) دعم أية تغطية (مرئية أو صحفية أو بوستات أو كوميكس ساخرة) تتناول الموضوع بالتلخيص أو بوجهات نظر أو بالتحليل.. بنشرها أكثر والتعليق عليها.

٧) إلقاء تعليقات مستفزة في بوستات الشخصيات العامة والمؤثرين على السوشيال ميديا التي تتكلم عن الموضوع، حتى يكثر اللغط وتتصاعد شعبية الموضوع وتزيد وتيرة التعليقات ويستمر الموضوع في تصدر الساحة.

٨) لو نجح العمل في المرحلتين السابقتين، ستدخل الصحافة والإعلام في الموضوع بعد أن يثبت لهم عمليا أن الموضوع هو

الترند وأن أي تغطية تخص الموضوع ستضمن نسب قراءة عالية، فيوجهون جهودهم للمزيد من التناول.. ويقومون بعملنا! علينا هنا المواصلة في نشر مشاركات الصحافة والإعلام عن الموضوع.

٩) عاجلا أو آجلا سيظهر الرأي المضاد الذي يدافع عن الهدف. هنا نتدخل في هذه المنشورات والمناقشات بسياسة «التصيد»، أو الترولينغ trolling[1]، بتعليقات مستمرة تدحض وتشكك في الرأي المضاد، وتثير التشويش وتسبب المزيد من اللغط حتى تفقد كل الآراء والمناقشات المضادة فعاليتها، وبالتالي تبقى الرواية الأكثر شيوعا هي ما طرحناه نحن في البداية.»

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) - إعداد عماد الصاوي

***

(١) المتصيد أو الترول (بالإنجليزية: Troll): هو شخص يساهم بتعليقات أو كلام مثير للجدل (ترولينغ) لا علاقة له بالموضوع المشارك فيه داخل مجتمع إنترنت؛ يهدف به الهدم والخروج عن الموضوع، وإثارة الجدل والمشاكل بين أفراد ذاك المجتمع؛ عن طريق استمالة عواطفهم وتحريكها ضد بعضهم البعض، وتحويل بيئة المجتمع من بيئة تكاملية متعاونة إلى بيئة تصارعية متنازعة؛ تشبه في تعليقاتها وتعاملاتها بيئة مجتمع منتديات الإنترنت أو غرف المحادثة (الدردشة)؛ غير المحكومة بضوابط وقواعد مناسبة للنقاش العلمي والمفيد. المتصيد أو (الترول) يدخل في نقاش حول الموضوع المستهدف؛ فيبدأ في النقاش «مرتديا عباءة الرجل الصالح» بتعليق ظاهره طيب (المساهمة البنّاءة ومناقشة تطوير الموضوع)، وباطنه خبيث (إثارة الجدل بين المتحاورين وتأليبهم على بعضهم)، ويحاول دائما عدم جعل نهاية للموضوع المتناقش حوله؛ كي يستنفد وقت وجهد أفراد المجتمع ويبعدهم عن استكمال عملهم البنّاء. (التعريف من ويكيبيديا)

«بالصور: الإعلامي عمرو خطاب، ردا على هجوم السوشيال ميديا: لن أعتزل العمل الإعلامي، والهجوم عليّ هو جزء من الهجوم على مصر!"

خبر من جريدة (العصر)

***

بكتيبة عشوائية كونها عماد من حفنة من المراهقين في مقهى إنترنت صغير في بلدته سمادون نجح عماد في مهمته الأولى. لم يكن الأمر سهلا بالطبع، فهؤلاء الصبية وإن كانوا يجيدون التعامل مع السوشيال ميديا فإنهم كانوا يكتبون منشورات كارثية لا تقنع طفلا. اضطر عماد أن يكتب المنشورات بنفسه، ويعيد صياغتها بأكثر من طريقة ويعطيها لهم لينشروها من حسابات مختلفة. كان لا بد أن يدعهم يكتبون تعليقاتهم بأنفسهم، وإلا فإنه سيقوم بالعمل كله بنفسه.. في النهاية أدوا الغرض المطلوب.

والآن انتهى دورهم وحان وقت القطاف. التحالف مع حامد العسال. ما قام به كان «نموذجا تجريبيا».. عينة لما يمكنه أن يقدمه.. والآن على حامد العسال أن يقرر: هل سيشتري؟

كل شيء سيتوقف على هذا القرار.. هذا هو عنق الزجاجة.. إما أن يقبل حامد العسال ويبدأ عماد، بتمويل منه، مشروع حياته الحقيقي، وإما أن يرفض ويعود عماد بالمزيد والمزيد من أذيال الخيبة التي أصبح متخصصا فيها مؤخرا.

هذه المرة كان الاستقبال مختلفا. لم ينتظر عماد في الاستقبال، فبمجرد أن رأته السكرتيرة رفعت سماعة الهاتف وقالت شيئا، فظهر شادي فورا كأنما كان ينتظره خلف الباب. صافحه بابتسامته البلاستيكية الثابتة، وقاده لمكتب حامد العسال. الآن فقط يسمحون لك بمقابلة

الكبير.. «جناب الكومندا المهم».. فلترقص طربا لهذا الشرف العظيم.

خطا عماد داخل المكتب المحظور.. المنطقة المحرمة.. موسيقى تصويرية ملحمية تدوي في عقله، تمهيدا لظهور الرجل الخطير.

لم يخيب المكتب توقعاته، كان فخما حقا، لكنه نسي المكتب تماما عندما رأى هذا المشهد: حامد العسال الهادئ الرصين الوسيم، سيادة المستشار، السياسي المحنك، كان يجلس خلف مكتبه يدخن المعسل. تسمرت عينا عماد على الشيشة المعدنية بحجارة المعسلة المتراصة فوقها.. هذه الشيشة في هذا المكتب مع هذا الرجل؟

لم يتحرك حامد العسال من مكانه، ظل يسحب أنفاسا متوالية من الشيشة التي ظلت تقرقر بانتظام، بينما فراش مسن يقعى هناك بجوارها يضبط قطع الجمر المشتعلة فوقها. نفث حامد بك نفسا كثيفا ثم أوما إلى الرجل في رضا، فنهض وانصرف في صمت إلى باب جانبي صغير يبدو أنه يقود إلى مطبخ ملحق بالمكتب.

أشار له حامد العسال بالجلوس. جلس وانتظر محبوس الأنفاس. شيء ما في وجود حامد العسال يخطفك. ربما الهالة الوهمية التي يصنعونها حوله، أو هذه الابتسامة الواثقة العجيبة التي تطل من عينيه فقط دون فمه الذي يحافظ على جديته وحزمه، وربما صوته الخشن الرنان الذي لا تسمعه إلا لدي مذيعي الراديو القدامى أو مقدمي نشرات الأخبار. وربما كل هذا.. هل هذا ما يسمونه بالـ"كاريزما"؟ هل كل أصحاب الكاريزما يمسكون بناصية الحديث هكذا؟ هل كلهم يدخنون المعسل؟

قال حامد العسال:

- اشتغلنا كثيرا معا، لكننا بالكاد تقابلنا..؟

لم يجد عماد ما يقول. تمتم:

- صحيح.. هكذا شغل الإنترنت يا باشا!

- طيب.. لندخل في الموضوع. أنا تابعت الأخبار.. أخبار الولد هذا، عمرو خطاب والهجوم عليه. أتمنى أن يكون هذا عملكم فعلا وليس مجرد توقع موفق منك!

يقولها بضحكة ثم يواصل القرقرة.. فيبتسم عماد وقد بدأ توتره يهدأ. يميل حامد نحوه، ويقول بجدية:

- ما لا يعرفه الناس أن هناك مشاورات في القناة لوقف برنامجه تماما.
- حقا؟!
- السوشيال ميديا صار لها نفوذ قوي فعلا!

سحب نفسا طويلا حتى احتقن وجهه، ثم قال بثقة والدخان يخرج من فيه مع الكلام:

- لكنه سيستمر! سيعبر هذه الأزمة. ربما يتوقف البرنامج مؤقتا، لكنه سيعود بعد أن تهدأ الأمور، وربما لا يحدث أي شيء.. هناك اعتبارات كثيرة تحكم الموضوع.
- لكن الضرر حدث.
- صحيح، لكنه محدود. لا أقصد التقليل من عملك طبعا. قل لي، كيف فعلتم هذا؟

فكر عماد جيدا، وتلا الإجابة التي أعدها مسبقا لهذا السؤال:

- تقصد سعادتك كيف سنفعل هذا فيما بعد في مهام تسويقية جديدة؟
- مهام تسويقية؟ تعبير موفق! طيب.. والآن ما عرضك لي؟
- أنا أقترح توقيع تعاقد تسويقي بين مكتب سعادتك، ووكالة الدعاية والتسويق التي سوف أؤسسها، بمجرد أن.. نتفق و.. نحصل على.. مقدمة التعاقد.. المادي!

هز حامد رأسه متفهما، وتجاهل تلجلج عماد، وقال بجدية:

- جيد.. هذه طلباتك، لكن.. ما هو عرضك؟ ماذا لديك بالضبط لتقدمه لي؟
- آلة تسويقية يمكنها أن تحقق أي أهداف دعائية تحددها سعادتك.
- تريد تأسيس شركة كاملة على حسابي مقابل خدماتك لي كعميل واحد للشركة؟ هل ترى أن هذا منطقي؟
- بالتأكيد.. أنا قدمت مثالا لما يمكنني عمله، لكنني سأحتاج إلى فريق وإمكانيات أكبر.
- كم فردا معك؟
- معي؟
- في فريقك..؟
- لا أحد.. أعني أنني كنت أغزل برجل... كنت أعمل بفريق محدود! هذا لن يصلح الآن!

هز حامد كتفيه:

- لماذا؟ إذا كانوا قد نجحوا معك فليستمروا.. أين هم؟
- لا.. لن يصلحوا.. صدقني!

صمت حامد لحظات ودقق النظر في عماد بدهشة. ثم قال فجأة:

- عماد، إذا كنا سنتعاون معا، فلا بد أن أفهم كيف فعلت هذا ومع من؟
- لا. لا أستطيع أن أقول من هم.

أومأ حامد برأسه في هدوء متفهما وسحب نفسا آخر من الشيشة، وقال بهدوء:

- تمام، شكرا. سعدت بلقائك!

وارتدى نظارته وتناول ملفا أمامه وبدأ يقلب في أوراقه، بينما نهض شادي وكأنما سيقوده للانصراف.. حدق عماد فيهما مبهوتا. أهذا كل شيء؟

- لكن.. نحن لم.. نتكلم.

لم يرفع حامد عينيه من على الملف، بينما أشار له شادي إلى الباب. تنهد مستسلما، وقال:

- طيب. سأقول.. لكن.. أعني المشكلة ليست في الثقة، أريد فقط أن أوضح أننا سنعمل بشكل أفضل من هذا.

وضع حامد الملف على المكتب، ونظر لعماد من فوق النظارة بهذه الطريقة المزعجة التي تشعرك بضآلتك، وقال:

- واضح.. تفضل!

- الفريق بالكامل كان من الشباب والمراهقين..

نظر إليه حامد منتظرا المزيد، فتابع:

- ... في سايبر صغير.. في سمادون!

- لا مشكلة.. استمر إذن في سايبر سمادون.

ارتبك عماد.. كيف يشرح هذا؟ تدخل شادي موضحا:

- يعني هذا الفريق نجح، وبتكاليف منخفضة، وبشكل سري.. هذه مميزات يمكننا المحافظة عليها والاستمرار بها.

- لا.. لا يمكن.

- لماذا؟

- لأن هذه مجرد آلة محدودة.. شباب ينسخ فقط دون تفكير، لا يجيدون الجدال أو التفكير في حجج مضادة.. كنت أقوم بكل التفكير بنفسي كل المنشورات كنت أكتبها بنفسي.. هذا لن يفلح.. إذا أردنا آلة كبيرة.

- يمكننا أن نبدأ هكذا.. على الضيق.. أليس كذلك؟ على الأقل حتى نتأكد من قدراتك!
- قدراتي؟ هذا المثال الذي قدمته يؤكد قدراتي! قدراتي على إنشاء وإدارة آلة تسويقية وقدرات الآلة نفسها.. هذا كان مجرد نموذج أولي، prototype كما يقول المهندسون. لكن هذه آلة لن تصمد أمام أية آلة مضادة.. لو دخلنا معركة دعائية ضد شخص أو جهة لها قاعدة مؤيدين أو آلة تسويقية شبيهة سننسحق تماما...

كان يتكلم بحدة، وعلا صوته وتحشرج في العبارة الأخيرة. فابتسم حامد وأشار بيده:

- طيب اهدأ.. اشرب بعض الماء. ما هذا يا شادي؟ كيف لم نشرب شيئا حتى الآن؟ ماذا تشرب يا عماد؟

نهض شادي مسرعا وقال:

- عماد أكيد سيشرب قهوته. والشاي الأخضر لسعادتك؟

أومأ له حامد إيجابا ثم التفت لعماد من جديد، وقال:

- طلباتك؟
- كما قلت لسعادتك.. تعاقد، ومقدمة تغطي تأسيس المكتب.. إيجار شقة، ومصاريف تأسيس، ومرتبات للموظفين في الفترة الأولى.. سعادتك أدرى بهذه الأمور.

سمعه حامد وهو يقلب في الملف الذي أمامه، ثم سأله فجأة:

- من هي سارة ربيع؟
- من؟
- سارة ربيع.. كانت جزءًا من عملك مع كمال، صحيح؟
- نعم.. لكن..

- هل ساعدتك في هذا العمل؟
- ليس بالضبط.
- وكيف أعرف هذا؟ لماذا لا أتعاقد معها هي بدلا منك؟
- تفضل!
- نعم؟
- حامد باشا، فكرة عملنا تقوم على استخدام أعداد ضخمة من الحسابات والصفحات والمجموعات الحقيقية والوهمية في شبكة واحدة كبيرة.. وللوصول لذلك أستخدم أساليب مختلفة وأستعين بعلاقات مختلفة.. منها سارة. سارة كانت تجمع مجموعات وصفحات لشغل دراسات إحصائية خاصة بها عن مجتمعات «السوشيال ميديا». بمجرد أن نبدأ التعاون تستطيع سيادتك الاطلاع على كل التفاصيل الكبيرة والصغيرة إن شئت.
- بالتأكيد. لكن سيكون عليك أن تعمل بطريقتنا.
- لا مانع، لكن كيف؟
- سأوافق على فكرة تأسيس مكتب للدعاية والإعلان. لكنك لن تؤسسه. ستعمل فيه فقط.
- موظف؟
- مدير. سنريحك فقط من عناء التأسيس والإجراءات والتصاريح وكل هذه التفاصيل.. نحن أدرى بها كما قلت.
- لكن.. الفريق..
- ستختاره بنفسك.. أنت المدير.. أليس كذلك؟
- و...

قال مبتسما:

ـ المرتب؟ شادي سيناقش هذا معك. تفضل. نلتقي بعد التأسيس لنبدأ العمل.

ـ لكن..

ـ بلا لكن. هذا كل ما عندي. تفضل مع شادي لمناقشة التفاصيل، أو.. كما تحب!

وسحب نفسا فوجده خاويا خاليا من الدخان. ألقى مبسم الشيشة ونادى:

ـ حجر يا طه!

١٦#

في الثامنة صباحا أمام عمارة أنيقة في المعادي وقف عماد يحدق في لافتة جديدة عند المدخل كتب عليها (وكالة الشذى للدعاية والإعلان). اسم سخيف أصر عليه حامد العسال، هو اسم ابنته، ويبدو أنه يعتقد أنه - الاسم - اكتشاف عبقري مبهر.. لا بد أن منافقين كثيرين أبدوا له انبهارهم بعبقرية الاسم من قبل. لن تلاحظ أمورا كهذه إن كنت مهما بما يكفي لأن تكون محاطا بمنافقين طوال الوقت.. فقط ستظن أنك عبقري حقا..

دخل إلى العمارة. لقد ظل يحلم بهذه اللحظة طويلا. سيصير هو المدير. ليس مدير فريق أو مدير مشروع، بل المدير فعلا، صلاحيات مطلقة، يذهب وينصرف متى شاء، يعمل أو لا يعمل. عمل مع راحة بال حقيقية، لا رئيس فوقك تحرص على إرضائه أو تتجنب غضبه.. لا وجع رأس! ثم العمل ذاته، مكسبه الأكبر، سيعمل هنا مع فريق مؤهل من كفاءات حقيقية سيختارها بنفسه. لنتحدث بمعايير آدمية الآن، لن يضطر إلى إعطائهم دروسا في محو الأمية، ثم دروسا في اللغة والمنطق، ثم دروسا في أساسيات الكمبيوتر والإنترنت، قبل أن يستطيع التحدث عن متطلبات العمل أصلا. كل هذا - في حد ذاته - رائع.

يدخل المكتب الجديد لأول مرة. اليوم هو موعد تسلمه للمكتب وبداية العمل كما اتفق مع حامد العسال. كان لا بد أن ينتظر أسبوعين حتى ينتهي العمال من تشطيب المكان. كانت فرصة ليعثر على سكن جديد وينتقل إليه.. شقة صغيرة متواضعة على السطوح في منطقة البساتين على أطراف المعادي.

الثامنة والنصف صباحا، لكن المكتب كان مفتوحا. دخل ببطء وهو يتلفت حوله متفقدا المكان، فوجد أمامه السكرتيرة - لا بد أنها السكرتيرة، فهو لا يعرفها بعد - هناك على مكتب في الاستقبال، وكانت تنتظره فيما يبدو، إذ هبت واقفة بمجرد رؤيته.. كان مستغرقا في تفقد المكان، فلم يحدثها وواصل المشاهدة. هو المدير هنا.. لا بد أن هذا يحرره من الشكليات الاجتماعية الكريهة. لكنه لا يحررها هي. تقدمت هي منه ومدت يدها تصافحه بلهجة رسمية:

ـ أهلا مستر عماد، شيماء عبد العزيز، السكرتيرة.

فتاة سمراء في أواخر العشرينيات، ترتدي حجابا عاديا، لا يوحي بالتشدد أو التبرج، لكنها ليست جميلة على أي حال، ولا يبدو من لهجتها أنها من النوع الذي يتزوج المدير عرفيا في آخر الفيلم.

تذكر الآن. كان هذا هو الاتفاق مع شادي، سيتسلم الشقة كاملة، وسيرسلون له موظفة من مكتب حامد العسال لتعمل معه سكرتيرة. جاسوسة؟ ربما. قالوا إنه سيحتاجها لتعاونه في التأسيس وإجراء المقابلات الشخصية وخلافه، ويستطيع الاستغناء عنها متى أراد. تجاوزها وواصل توغله في الشقة.. أعجبه ما رأى.. شقة واسعة، جدرانها مطلية حديثا ورائحتها ما زالت هناك. هذا يشعره بالبهجة.. بهجة المكان الجديد. النوافذ مفتوحة وضوء الشمس يزيد من بهجة المكان. مكاتب جديدة موزعة في الأركان، عليها صناديق وأجهزة كمبيوتر لم يتم توصيلها وتشغيلها بعد. هذه كانت قاعة الاستقبال الكبيرة.. ماذا عن الغرف

والمكاتب الأخرى؟ مكتبه تحديدا؟

رجع إلى الممر الجانبي الذي يقود إلى بقية المكاتب.. حمام إلى اليسار، مطبخ مفتوح إلى اليمين، غرفة إلى اليمين بها ثلاثة مكاتب، وغرفة في الأمام بها طاولة اجتماعات كبيرة، وغرفة كبيرة إلى اليسار بها مكتب واحد كبير.. هذه هي. دخلها مسحورا..

هذه غرفتي إذن؟ أنا المدير الآن حقا؟

جلس على المقعد الفخم خلف المكتب وأراح ظهره إلى الخلف، يجرب إحساس الجلوس عليه.. مريح حقا.. مرييييح! أغمض عينيه، وكاد يهتف «وبقيت أنا المديييييييير» (بأداء فؤاد المهندس)، لكنه انتبه فجأة إلى شيماء التي تبعته، ووقفت تنتظر - فيما يبدو - لتجيبه عن أسئلته، التي لم يسألها كما هو واضح. أشار لها بالجلوس، وقال:

- اجلسي يا شيماء. جئتِ مبكرة.. برافو!
- شكرا! لكن.. أنا جئت في موعدي.. حضرتك الذي جئت متأخرا!

«نعم يا روح أمك؟» أمسك نفسه قبل أن يقولها، ثم قال بحذر:

- ممكن.. آ.. أريد قهوة مضبوطة.

قالت بكبرياء:

- طبعا يا فندم.. كل حاجة في المطبخ. البن والسكر والكنكة. حضرتك تقدر تأخذ أي مشروب تريده.

ليس أفضل انطباع أولي لمدير. مدير على نفسك، اعمل قهوتك لنفسك يا هذا.

- تستطيع حضرتك تعيين فراش إذا سمحت الميزانية.
- الميزانية؟

مدت يدها بملف كان في يدها، وقالت:

- ميزانية المرتبات الشهرية.. نقدر نعين أي عدد من الموظفين في حدود هذه الميزانية.

قلب في الملف.. ليست ميزانية ضخمة. قد تكفي..

- طيب.. سأنظر فيها و..
- أمامنا ربع ساعة ونبدأ المقابلات الشخصية.
- فورا؟
- من التاسعة إلى الثانية عشرة ظهرا، والباقي بعد الاستراحة..

تبا! من المدير هنا؟

دخل المطبخ ووقف يعد قهوته، وهو يفكر: ما الإدارة في هذا؟ كيف ستشعر أنك مدير إذا لم تجلس بلا عمل ترشف القهوة التي صنعتها سكرتيرتك؟!

لقد خدعوك! ما من أحد مرتاح في عمله حتى المدير.. حتى المدير يا قوم!

لكنه عندما جلس يرشفها في مكتبه، بدأ ينفض عن رأسه هذه الأفكار الصبيانية. كل هذه مظاهر فارغة.. هو مدير في مكتب صغير، وليس في شركة عابرة للقارات. ماذا كان ينتظر؟ ساونا وجاكوزي في مكتبه؟ لقد جاء هنا للعمل، فليعمل إذن.

***

لم تكن المقابلات رائعة. أعني، إجراء المقابلات ذاته كان ممتعا لعماد، في البداية على الأقل.. أن يجلس على الجانب الآخر من المدفع. يتلعثم كما يفعل دائما، من دون أن يزيد ذلك من ارتباكه، بل - لسبب ما - كان تلعثمه يربك المتقدم للوظيفة، وكان هذا يملؤه غرورا.. في البداية. بعد عدد من المقابلات بدأت الأمور تتضح: نحن نعبث ونضيع

وقتنا هنا.. هنا في هذه المقابلات، وفي هذا البلد عموما.

(عمرو) خريج حاسبات ومعلومات حديث، يجيد - أو يقول إنه يجيد - البرمجة بلغات سي وسي بلس بلس وجافا، ولكنه لا يعرف كيف يمكن زيادة عدد المتابعين على الفيسبوك، لأنه لم يكن يعرف أن هناك خاصية "متابعة" على الفيسبوك.

(مازن) مبرمج، خريج كلية الهندسة قسم الكمبيوتر، لكنه لا يمتلك حسابا على فيس بوك أصلا، لأنه مضيعة للوقت..

- لكنك تفهم طبعا كيف يعمل الموقع؟
- لا، هذه مضيعة للوقت كما قلت!

عندما طلبوا منه أن يكتب إعلان طلب الوظيفة لنشره في الصحف لم يكن يعرف ماذا يطلب بالضبط. الحقيقة أن العمل لن يتطلب خريجي كليات معينة، ولا خريجي جامعات أصلا، الأمر يحتاج فقط إلى أي شخص يتعلم بسرعة ويجيد التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي كمستخدم عادي، لكنه - بناء على نصيحة شادي - طلب «مؤهلات عليا، ويفضل خريجي حاسبات ومعلومات، ويشترط إجادة الكمبيوتر والإنترنت».

- وهل يوجد خريج حاسبات ومعلومات لا يجيد الكمبيوتر والإنترنت؟
- في مصر نعم، يوجد.

لكن (صابرين) خريجة كلية التجارة، دخلت المقابلة وهاتفها الضخم في يدها لا يكف عن إصدار أصوات التنبيهات.. أغلقته بسرعة ودسته في حقيبة يدها. هذه علامة إيجابية، يبدو أنها مدمنة على استخدام مواقع التواصل، وبدا هذا واضحا عندما سألها عن تطبيقاتها المفضلة واستخدامها للهاتف الذكي، والفرق بين الآيفون والأندرويد.. إلخ..

ممتاز! هذه أول مقابلة ناجحة اليوم.. بقيت نقطة واحدة:

- هل تقبلين العمل معنا؟ نحن هنا نعمل بحسابات وهمية ونكذب ونزيف الحقائق، ما موقفك الأخلاقي من هذا؟ هل ضميرك يعترض على كل هذا؟ هل لديك ضمير؟

لم يقل هذا طبعا، لكنه كان يجب أن يحصل على إجابة هذا السؤال، بدون أن يسأله. الآن يرى حجم المشكلة. لهذا يسألونك في كل مقابلة "أين ترى نفسك بعد خمس سنوات؟" بدلا من السؤال الحقيقي "هل أنت طموح؟"، لأن هذا سيعطيك الإجابة النموذجية والفرصة للغش ببساطة "نعم أنا طموح". لكن كيف يطبق هو هذه الطريقة الآن؟ كيف يسألهم بشكل غير مباشر عن الأخلاق؟ ما الأسئلة النموذجية هنا؟ ترى كيف يجرون المقابلات الشخصية في المافيا؟ ليته بحث في غوغل عن هذا قبلها!

- آنسة صابرين، نفترض أنني زبون محتمل على الفيسبوك، كيف يمكنك إقناعي بقبول طلب صداقتك؟
- لا أفهم. ولماذا طلب الصداقة أصلا؟
- هذا جزء من عملية التسويق لشركة أو لصفحة ما مثلا.
- هناك صفحة للشركة، يمكنه الإعجاب بها بعيدا عني!

"**تيييييت**"!

الزر الأحمر الضخم يصدر صوتا مدويا - في عقله - مؤذنا بخروج المتقدم، كما في برامج المواهب الفنية إياها.

(جمال) مهندس ملتحي واضح التدين، سأل عن مدى احتمالية احتياجهم لاستخدام صور فتيات متبرجات، وإن كان يمكن تجنيبه هذا النوع من المهام.

"**تيييييت**"!

(آلاء) فتاة ترى أن مجال التسويق بشكل عام يحتاج إلى ثورة، لأنه يتضمن الكثير من الكذب، فالشفافية والصدق حتى لو كان الثمن هو المكسب الأقل أفضل وأكثر بركة.

"تيييييت"!

"تيييييت"!

"تيييييت"!

(صابر) كان مختلفا. سيرته الذاتية التي قدمها كانت تقول إنه خريج كلية الحاسبات والمعلومات، وعندما تحدث بدا واضحا أنه ابن بلد "شعبي" من النوع المعاصر الذي يقول "يا زميلي" و»يا مدير» و"يا قائد" و"أقسم بالله" و"أصلي" بإسراف، ويسمي الهاتف الذكي "عدة" والدراجة البخارية "مكنة". إنجليزيته مفقودة تماما، ولغته العربية استشهدت منذ زمن، لكنه كان يجيد التعامل مع الإنترنت والسوشيال ميديا كما يحتاج عماد بالضبط.. عندما سأله عماد عن دراسته قال:

- درسنا كتب طبعا.. هاهاها!

آه! هو خفيف الظل إذن! لكنه يحتاج إلى تعلم اختيار التوقيت المناسب للمزاح فيما يبدو. قال عماد ببرود:

- مفهوم، لكني أسأل عن الموضوعات.

- درسنا البرمجة، ولغات البرمجة، و.. كنا نبرمج!

ما شاء الله! كانوا يبرمجون عندما كانوا يدرسون البرمجة، في كلية الحاسبات والمعلومات!

تفحص عماد الأوراق التي أرفقها صابر بملفه، كانت هناك صورة ضوئية من شهادة تخرجه. صورة لم تكن مطلوبة، لكنها أرفقها على كل حال. أمعن عماد النظر في الاسم المكتوب على الشهادة. لماذا الاسم مكتوب بخط مختلف أوضح من بقية النصوص في الشهادة؟ لماذا

خلفيته بيضاء أكثر من اللازم؟

قال عماد:

ـ أين تخرجت يا صابر؟

كالعادة، ترتفع درجة حرارتك (أم هي حرارة الغرفة؟) حين تكون في موقف كهذا، حبيبات العرق تنبت على جبينك وتتكاثر حتى تسيل كقطرات المطر على زجاج غرفتك في الليالي المطيرة.. فقط هذه المرة أنت من تتحكم في درجة حرارة الحوار هنا.. هذه المرة ترى حبيبات العرق وهي تنبت على جبينه هو، ماحية كل أثر لروح الدعابة لديه..

ـ كما قلت لسعادتك، كلية الحاسبات والمعلـ...

ـ أنت مقبول معنا يا صابر، لكننا سنطلب أصل هذه الشهادة، ولا أنصحك أن تقدم لنا أصلا مزورا مثل هذه، والآن.. أين تخرجت؟

بهت صابر، وصمت لحظات، ثم أطرق وقال باستسلام:

ـ تجارة يا باشا.

ـ كلية تجارة؟

ـ لا سعادتك. معهد سنتين.

لا بأس، هو يصلح ولو بالإعدادية. بقيت عقبة الضمير، هل ترك لك المعهد شيئا منه، «يا زميلي»؟

ـ قل لي يا صابر، نفترض أنك تريد زيادة أعداد المعجبين بصفحة معينة، ماذا تفعل؟

ـ أدعو الأصدقاء للاشتراك فيها.

ـ لكنك لا تريد استخدام حسابك الشخصي في العمل.

ـ أستخدم حسابا آخر.

ـ باسمك؟

ـ ممكن. أو بأي اسم.

ـ طيب.. ستنشئ حسابا جديدا.. كيف تضيف أصدقاء لهذا الحساب، حتى تدعوهم فيما بعد لهذه الصفحة؟

ـ بالطريقة!

ـ أي طريقة؟

ـ بالطريقة يا باشا.. يعني بالحيلة.. كل زبون وله سكة!

ـ مثلا..؟

ـ يعني لو الزبائن من الشباب أستخدم حساب أي بنت وسيقبلون الإضافة!

ـ أكمل..

ـ ولو الزبائن من تجار موبايلات، أستخدم حساب تاجر موبايلات جملة..

ـ أشك أن هذا المثال يصلح، لكن جيد.. أنت معنا يا صابر.

انصرف صابر سعيدا، ونهض عماد منهكا يتضور جوعا. قابلته شيماء في الطرقة.

ـ ألن تقابل التالي؟ ما زال أمامنا خمس دقائق قبل الاستراحة.

ـ لا.. سأموت تعبا. سأنزل لآكل شيئا من أي مطعم ونكمل بعدها.. آه.. بالنسبة للباقين: ابحثي عن صابر!

ـ ماذا؟

ـ أعيدي نشر الإعلان، كل هؤلاء لا يصلح منهم إلا صابر.. الوحيد الذي لا يحمل مؤهلا عاليا.

ـ كيف؟ هو خريج حاسبات...

ـ لا.. كانت دعابة منه!

ـ نعم؟

ـ لا عليكِ.. فقط غيري الإعلان بعد حذف شرط كلية الحاسبات والمعلومات هذا..

ـ كيف؟ مستر شادي قال...

قاطعها بحزم:

ـ أنا أقول أعيدي نشر الإعلان. واضح؟

نظرت في عينيه، فبادلها النظر بحزم ثابت. اربح معركة النظرات تثبت سلطاتك كمدير.

استسلمت شيماء. كتم هو صيحة انتصاره. لا تضيع انتصارك برد فعل طفولي يا أحمق!

المشكلة أن فريقا كاملا على شاكلة صابر يعني أنه سيعيد تجربة السايبر تقريبا هنا، أي أنه سيقوم بمعظم العمل.. لن يكون الأمر نزهة كما تصور.

والمشكلة الآن أنه جائع. ترى أين أقرب عربة فول هنا؟

#١٧

- يبدأ إنشاء شبكة على فيس بوك بحساب لشخصية محورية متقنة.
- أعط الشخصية اسما وتاريخ ميلاد ومكان سكن وعمل أو دراسة واهتمامات مختلفة (يمكنك اقتباس كل هذه التفاصيل من حسابات حقيقية مختلفة على الفيس بوك، لكن لا تنقل التفاصيل بالكامل من شخص واحد) وسجل كل هذا في جدول إكسيل مشترك يطلع عليه رئيسك وبقية فريقك.

مثال: (مروة عزمي)، ٢٣ فبراير ١٩٩١، مقيمة في غمرة ودرست في كلية الآداب قسم التاريخ جامعة القاهرة. تحب المسلسلات التركية ومهووسة بكاظم الساهر وتقرأ روايات أحلام مستغانمي وتحضر حفلات (شارموفرز) بانتظام.

- خصص مصدرا لصور الشخصية. ابحث عن حساب لشخص عادي من بلد آخر غير عربي (وابتعد عن الشخصيات العامة والمشاهير والمؤثرين في السوشيال ميديا). ركز على الشعوب التي تشبه المصريين في الملامح، مثل إيطاليا، باكستان، البرازيل، كولومبيا، قبرص.. إلخ. ابحث عن مجموعات فيس بوك مخصصة لإحدى هذه البلاد، وتصفح حسابات أعضاء

المجموعة، حتى تجد فتاة تشبه المصريات. احرص على أن يكون الحساب غنيا بالصور.

مثال: نفترض أننا وجدنا فتاة برازيلية اسمها (سيلفيا). حمّل صور سيلفيا الشخصية، وسجل رابط صفحتها في ملف (مروة عزمي).

- أنشئ بريدا إلكترونيا جديدا باسم مروة، ثم استخدمه لإنشاء حساباتها على المواقع الاجتماعية: فيس بوك، تويتر، إنستاغرام، بينتريست.. إلخ. حسب اهتمامات الشخصية. أضف بيانات هذه الحسابات في ملف مروة، مع كلمات المرور.
- استخدم صور سيلفيا في حسابات مروة. تجنب استخدام صور تظهر فيها معالم واضحة من البرازيل، أو لافتات باللغة البرتغالية.. ركز على الأماكن التي تشبه أماكن في مصر. وتجنب استخدام صور غير محتشمة.. هذا عادي في البرازيل لكنه سيثير الشكوك عندنا!
- استخدم فيديوهات لسيلفيا في صفحة مروة إذا كانت بدون صوت، أو (إذا كان الفيديو يسمح) استبدل بالصوت الأصلي صوتا آخر لفتاة من فريقك.
- اكتب منشورات مختلفة بانتظام في صفحة مروة.
- من صور سيلفيا اختر أحد أصدقائها، ممن يظهرون معها كثيرا في الصور.
- مثال: (رودي) صديقة سيلفيا.
- أنشئ حسابات جديدة لفتاة مصرية صديقة لمروة عزمي، وأكمل ملفها بالكامل كما فعلت مع مروة. ولتكن (وفاء سليمان).
- استخدم صور (رودي) على أنها صور وفاء.

- وفاء تعلق على منشورات مروة والعكس. وفاء تنشر صورا لها مع مروة والعكس. هكذا سيبدو أن الحسابين حقيقيين.
- يقوم أعضاء الفريق بتوسيع الشبكة بالتدريج بإنشاء حسابات أخرى بالطريقة نفسها، باستخدام صور لأصدقاء سيلفيا ورودي.

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) – إعداد عماد الصاوي

***

الاجتماع الأول مع الفريق الجديد. هذه المرة هو المدير. لم يمنع هذا توتره وارتباكه. أنت تواجه مجموعة من البشر، كل منهم لديه عينان، وكلها مثبتة عليك أنت بالذات. ينتظرون كلماتك ويسخرون منك في سرهم. لم يختلف الأمر كثيرا عما كان في شركة الكمال. هناك استخدم عرضا تقديميا مكتوبا، وما زال الأمر نفسه يصلح هنا، لكنه هذه المرة أعد دليلا كاملا للعمل، ثم طبعه وحمله معه ليقرأ منه. جلس في مواجهتهم ممسكا بالملف وراح يبحث عن أولى كلماته. الكلمات التي ستعطي الانطباع الأول الذي سيدوم. لم تخرج أية كلمة. طال صمته. رائع.. الانطباع الأول أنك لا تجد الكلام أصلا. قل أي شيء. انطق!

قال أخيرا:

- أهلا بكم.

لا رد. كرر:

- أهلا بكم!

سرت همهمات الترحيب الخافتة بينهم، وظلت العيون متعلقة به في انتظار الكلمات التالية. ليدخل في الموضوع.. لم لا يلقي الكرة في ملعبهم؟

ـ كل واحد يعرفنا بنفسه!

بدأوا يتكلمون. انتقلت الكاميرات والأضواء الكاشفة إلى وجوه أخرى. راحوا يقدمون أنفسهم باقتضاب، وأعطاه هذا الفرصة للتأمل في وجوههم من دون وجل. لاحظ ارتباكهم الذي فاق ارتباكه. ترددهم وارتجاف أصواتهم. تحاشيهم لنظرات عينيه. منحه هذا بعض الثقة.. شعور بالسيطرة. إحساس جديد تماما.

عندما انتهوا كان مستعدا. رفع الملف المطبوع في يده وقال:

ـ هذا هو دليل العمل في الفترة القادمة. كما تعرفون، نحن هنا نقوم بأعمال تسويق ودعاية إلكترونية على السوشيال ميديا خصوصا. واحتراما منا للخصوصية والحياة الشخصية للموظفين، فإن الأعمال التسويقية تتم بالكامل بحسابات مخصصة للعمل فقط، بعيدا عن الحسابات الشخصية لكل موظف.

كان هذا الكلام مكتوبا بالفعل في مقدمة الدليل، لكنه كان قد حفظه مرارا.. توقف قليلا ليتذكر المقطع التالي.. ألقى نظرة ليرى الكلمة الأولى فتذكر الباقي. قال:

ـ المرحلة الأولى من العمل هي تأسيس هذه الحسابات وربطها معا في شبكة. ستتسلمون كلكم نسخا مطبوعة من هذا الدليل للعمل طبقا لها. أي سؤال؟

لم ينطق أحد. أشار عماد إلى شيماء، فنهضت توزع النسخ عليهم، وراحوا يقلبون في صفحاتها. عندما انتهت وعادت لمكانها واصل عماد:

- يجب أن أذكركم بأهم قاعدة في عملنا هنا: السرية. تفاصيل العمل هنا كلها سرية تماما، وممنوع منعا باتا إخراج أي معلومة لأي شخص خارج الشركة، مهما كانت درجة قربه منك.

علت ضحكة أنثوية من الخلف. كانت فتاة عشرينية حسناء، صمتت بارتباك عندما التفتت إليها العيون، ثم رفعت يدها كأنها تطلب الإذن بالكلام، ثم قالت بابتسامة عصبية وهي تشير للملف في يدها:

- ما معنى هذا بالضبط؟ كنت أشك في هذا في المقابلة الشخصية، لكن.. كل هذا.. أعني.. هل الكلام في هذا الملف صحيح؟

قال عماد:

- الكلام في الملف صحيح لكن.. أي كلام بالضبط.. ما الذي تعترضين عليه؟
- هل سننشئ حسابات وهمية مزيفة لخداع الناس وتضليلهم؟

قال عماد بلهجة حاول أن يجعلها دبلوماسية، فخرجت عصبية حادة:

- لا مزيفة ولا خداع ولا تضليل.. ما هذا الكلام الفارغ؟ نحن نستخدم هويات بديلة لنستخدمها في التسويق بحرية.. هل حضرتك ستسمحين لنا مثلا بمعرفة كلمة مرور حسابك الشخصي على الفيس بوك؟
- ولماذا تحتاجون هذا؟
- لو كنا سنعمل بحساباتنا الشخصية فسنحتاج بالطبع لمشاركة هذا الحسابات من أجل توزيع العمل.

- ولماذا لا أعمل بحسابي وكل شخص يعمل بحسابه؟ لماذا الحسابات المزيفة؟
- وفي إجازتك يتوقف عملك؟ وماذا عن حساباتك الأخرى؟
- أية حسابات أخرى؟
- كل منكم سيقوم بإدارة عشرة حسابات على الأقل على الفيس بوك.. في البداية. لو استخدمت حسابا باسمك الحقيقي ماذا ستسمين الحسابات التسعة الأخرى؟
- لكن.. هذا تضليل و.. غير قانوني!
- من قال هذا؟ هل درستِ القانون؟

لم ترد. فرفع شاب آخر يده وقال:

- أنا درست القانون.

التفتت العيون إليه بتساؤل، فأضاف بسخرية:

- القانون لا يعرف شيئا عن الفيس بوك أصلا!

سرت ضحكات خافتة بينهم، ثم تلاشت تدريجيا وساد الصمت. فكر عماد.. يجب أن يعلق. إغلاق النقاش هكذا سيؤدي إلى متاعب حتما. أخيرا قال:

- أية مخالفة لقاعدة السرية سيتم التعامل معها بمنتهى الحزم والصرامة.. وأنتم جميعا قد وقّعتم بالموافقة على هذا في شروط العقد.. أنتم قرأتم العقد طبعا.. صحيح؟

أومأ بعضهم إيجابا بعد تردد، مع بعض الضحكات الساخرة هنا وهناك. هو يعرف وهم يعرفون ونحن نعرف أنهم لم يقرأوا شيئا. لا أحد يقرأ عقدا بهذا الطول.. لا أحد يقرأ اتفاقية الاستخدام. أنت فقط تلقي نظرة على المرتب والحوافز ثم توقع العقد لتحصل على الوظيفة.. أنت تضغط على زر الموافقة لتستخدم البرنامج.. ثم تضغط «التالي».

أدار عينيه في الوجوه الخاضعة ببطء وقد شعر بالمزيد من السيطرة،

وقال بثقة ضاغطا حروف كلماته:

- هذه شركة مملوكة للمستشار حامد العسال كما تعلمون. أية مشكلة قانونية هنا سيتم التعامل معها مباشرة من قبل مكتبه الخاص. لا مزاح ولا تهاون.

أدار عينيه في وجوههم وشعر بالرهبة تكسو وجوههم، لكنه لمح بعض النظرات الساخرة أو اللامبالية. ما معنى هذا؟ هل هذا يدعو للقلق؟

***

جلس في مكتبه وحيدا في النهاية.

والآن ماذا؟ ما زالت لديه حسابات شبكة السايبر، لكنه سيبقيها لنفسه الآن حتى يتعلموا خطوات العمل كاملة، ثم يوزعها عليهم لإدارتها ودمجها في شبكاتهم الجديدة. أمامهم أسبوع على الأقل حتى ينتهوا من إنشاء الحسابات الأساسية، بعدها تبدأ مرحلة تقوية وإشهار بعض الحسابات - بمساعدة سارة ربيع غالبا - قبل الانتقال إلى مرحلة ربط الشبكة المزيفة بالعالم الخارجي، وإنشاء صداقات افتراضية مع حسابات مشاهير ومؤثرين في عالم السوشيال ميديا.

والآن ماذا؟ هو والكمبيوتر والعمل من جديد. تماما كما كان في غرفته وفي السايبر وفي شركة الكمال. فقط في هذه الأخيرة كان هناك فريق مختلف.. وكانت هناك آية.

آية! ياللغباء! كيف نسي آية؟!

لماذا لا يعرض عليها العمل هنا؟

حينئذ سيراها كل يوم.. بحجة.. بعشرات الحجج.. بدون الحاجة إلى حجج أصلا. سيكون هو المدير.. مديرها هي.. تخيل هذا! سيتكلم معها كما يشاء. سيسند إليها مهام العمل ويعقد معها الاجتماعات.. سيرى وجهها ويسمع صوتها بالساعات في وقت العمل وفي إطار العمل ومن أجل العمل.. لا بد أنه سيحب هذا العمل!

١٨#

في ميدان الجزائر بمنطقة المعادي، كان عماد واقفا ينتظر، حين توقفت سيارة صغيرة أنيقة أمامه، ومن نافذتها أطلت وجه آية المتهلل.

كالعادة تظهر بالتصوير البطيء، يتطاير شعرها المنسدل كما في إعلانات الشامبو برغم أن الجو هادئ بلا رياح.. يتطاير بنسماته الخاصة.. وجهها الصبوح متألق بإضاءته الخاصة، وتعلو الموسيقى التصويرية في خلفية العالم، فتغطي على أصوات المارة وضجيج السيارات.

أشارت له بالركوب، فأفاق من وقفته المتسمرة أمامها، وفي تردد ورهبة ركب بجوارها. حياها في خفوت. لم يتبين هو نفسه إن كان قد قال «أهلا» أم «آية» أم «هاي» أم...

جلس منكمشا وكأنه بلا وعي يخشى على مقعد السيارة من.. من نفسه.

ذات مرة - يتذكر الآن - استقل سيارة (تاكسي) من محطة سمادون الرئيسة إلى مركز أشمون. كان متعجلا يريد أن يذهب لأبيه في المستشفى. كان في الحقل يعمل كما يفعل عادة في الإجازة الصيفية للمدرسة، ليكسب بعض المال. ملابسه كانت قذرة والسيارة كانت نظيفة تفوح برائحة معطّر ما. جلس منكمشا حتى لا يلوث المقعد النظيف بملابسه القذرة، لكن هذا الانكماش لم يشفع له عند السائق. ظل طوال

الطريق يتأفف ويرمقه بنظرات جانبية مشمئزة. ظل يعتذر ويشرح ظروفه، لكن هذا لم يزد السائق إلا تأففا على تأفف. كان أول - وآخر - تاكسي يركبه منذ ذلك الحين. ليس بسبب هذا الموقف فحسب، لكنها عادة بديهية اعتاد عليها واستقرت في عقله كواحدة من بديهيات الحياة: التاكسي للطوارئ.. أنت تستقل سيارات النقل الجماعي: الأتوبيس، والميكروباص.. التاكسي للطوارئ والضرورة القصوى. هذا بديهي. الذين يركبون التاكسي كما يركب هو الأتوبيس هم أناس من طبقات اجتماعية أخرى، هم الذين يشترون الفيشار في السينما بأضعاف ثمنه، ويأكلون الجبن الرومي بدون خبز، ربما كل يوم.. هذه أمور ليست له.. ليست لهم. هذا بديهي. ربما تفعلها مرة عندما تشتهي الجبن الرومي، تشتري بجنيهين كاملين جبنا روميا وتلتهمه بدون خبز، لكنك تظل أسبوعا تعاني العوز والفاقة. هل يستحق الجبن الرومي هذه المعاناة؟

الآن تغيرت حياته. صار لديه عمل ومرتب، ويستطيع أن يركب التاكسي ويأكل الفيشار والجبن الرومي متى أراد، لكنه لا يفعل.. القيود والبديهيات القديمة ما زالت كما هي هناك في عقله، قابعة في ركن مهمل يكسوها الغبار.

راحت آية تتجاذب معه أطراف الحديث بمرح، وتنتزعه من أفكاره وشجونه، لكنه كان يرد باقتضاب. الموقف يثير توتره. يشعر أنه مدين لها. لقد سمحت له بركوب سيارتها التي - وإن كان حمارا تماما فيما يخص طرازات السيارات - فإنها، بالتأكيد، أفخم وأرقى من أي تاكسي.

قاوم أفكاره الحمقاء عن الفيشار والجبن الرومي واختلاف الطبقات. هما زميلان الآن. كانا زميلين. بل إنه قد يصير مديرها عما قريب، أو هكذا يأمل. لا يجب أن يشعر بأنه أقل منها.. هو ليس بأقل منها. ليس صنيعا منها أن سمحت له بركوب سيارتها. هذا عادي.. عادي.. ركز يا عماد.. عاااادي!

أخذته إلى ذلك المقهى في المعادي. ليس مقهى بالضبط، هو من النوع الذي يسمونه «كافيه»، حيث لا يذهب هو عادة، وإن ذهب مع أحد لا يطلب شيئا، لأنه لن يدفع هذه المبالغ في مشروبات شبه مجانية في عالمه مثل الشاي والقهوة. نوع آخر من الفيشار أو الجبن الرومي هو.

هناك جلست وخلعت معطفها ووضعت حقيبتها واسترخت كأنها في غرفة المعيشة في بيتها. يبدو كبيتها فعلا، فالعاملون هنا يرحبون بها وينادونها باسمها في ألفة، بل وأحضروا لها مشروبا ما وشيشة من دون أن تطلب.

- ها..؟ ما رأيك في هذا المكان؟
- جميل.. طبعا!
- أنا دائما هنا. تعال في أي وقت تجدني!
- حقا؟ طبعا.. بالتأكيد.. سأحضر معي «اللابتوب» وأعمل هنا. كنت أبحث عن مكان هادئ كهذا بصراحة.. أعني مناسب للعمل.

كاذب طبعا! أنت تفضل العمل وحيدا في البيت، وهذا المكان يبدو غاليا جدا، لكنك ستدفع، الآن تستطيع أن تدفع، ستشرب الشاي والقهوة بأضعاف ثمنهما عن طيب خاطر، فقط لتراها وتجلس معها.

وضعت ساقا على ساق وراحت تدخن الشيشة، وقالت:

- مبروك العمل الجديد. صحيح.. كيف هو؟

كان قد أعطاها فكرة مشوشة في الهاتف عندما اتصل بها يطلب مقابلتها. لم تفهم منه شيئا تقريبا، لكنها أعطته موعدا ببساطة.

- الله يبارك فيكِ.. كله تمام. مكتب كبير والعمل ممتاز و.. هل فكرتِ؟
- في ماذا؟

- أنسيت؟ في العمل معنا! قلت لك في الهاتف!
- نعم نعم..
- ستحبين العمل وسنكون معا و.. أعنى نحن نعرف بعضنا جيدا، أليس كذلك؟
- نعم، لكن.. صعب.
- لماذا؟
- ليس تخصصي، أنا درست الحسابات وليس التسويق.
- لكن.. أنتِ كنتِ عظيمة في التسويق.. وأنا سأكون معكِ!
- أعرف.. لكن هذا ليس عملي.. فاهم؟ لا أحد يترك عملا في تخصصه من أجل عمل آخر لا يتقنه. ثم.. أنت تعرف، أنا أكره هذا العمل.. كل هذا.. غير أخلاقي.
- لكنك تقومين بهذا العمل على كل حال!
- ليس تماما. تشاجرت مع تامر مؤخرا ورفعت الموضوع إلى مدام علا.
- حقا؟ لماذا؟
- أنت تعرف تامر.. يستخف دمه.. يتباسط أكثر من اللازم مع البنات، وهذا لن يصلح معي.. ثم إنني انتهزت الفرصة بصراحة لأبتعد عن أعمال النصب هذه.
- لا يهم.. تعالي واعملي معي.
- في أي شيء والسلام؟
- نعم! المهم أن نكون معا.

تجمدت فجأة وتوقفت عن تدخين الشيشة، ورمقته بنظرة متفحصة وكأنها تراه لأول مرة. ماذا قلت يا أحمق؟ إما الصمت المطبق أو الصراحة الفجة؟ أما من وسط عندك؟

تنحنح في حرج، وقال محاولا إصلاح الأمور:

ـ لا تفهميني خطأ.. أعني.. هل سبق لكِ وأنت صغيرة أن ذهبتِ إلى حديقة عامة، وظللت طوال اليوم تلعبين بالقرب من عربة الفيشار فقط لأنها هناك؟ فقط لأنك تستطيعين رؤيتها في هذا المكان، برغم أنك تعرفين جيدا أنك لن تحصلي على أي فيشار منها؟

قالت في حيرة:

ـ لا.. إذا كنت أريد الفيشار، لماذا لا أشتري بعض الفيشار ببساطة؟

ـ لا.. أنتِ لم تفهمي بالضبط..

ـ لم أفهم موضوع الفيشار هذا، لكنني فهمت قصدك.

ـ حقا؟

ـ طبعا.

ـ و.. ما قولك؟

ـ في ماذا؟

ـ فيما فهمتِ؟

ـ لا أعرف يا عماد.. هذه الأمور لا تسير هكذا..

ـ وكيف إذن؟

ـ بشكل طبيعي..

ـ كيف؟

ـ عماد.. إذا كنت تحب الفيشار لا تترك عملك وتذهب لتعمل على عربة فيشار. هذه حماقة. ابق بجوارها إن أردت، لكن لا تهدم حياتك من أجل نزوة غير مؤكدة.

ـ لا.. ليست نزوة، وليست غير مؤكدة.. أنا أحب الفيشار حقا.

ـ وارد.. لكن تأكد أولا..
ـ أنا متأكد.
ـ أنا لا. لم أفكر في هذا من قبل..
ـ إذن هذه ليست «لا»؟
ـ وليست «نعم». هذا ما أقوله. سنتقابل مرات أخرى بالتأكيد.. بشكل طبيعي.. لا تتعجل.
ـ ولكن...

رن هاتفها فجأة، فأشارت لعماد مستئذنة، وأجابت المكالمة ونهضت تتمشى وهي تتحدث. عادت بعد دقيقة متوترة، واختطفت حقيبة يدها قائلة في عجلة:

ـ آسفة يا عماد، مضطرة أمشي حالا. زوجة أختي ستلد الآن!.. سأراك قريبا بالتأكيد. سلام!
ـ سلا... م.

انصرفت قبل أن تسمع حرف الميم.

لن ينصرف هو الآن. يستطيع أن ينعم ببعض الوقت هنا وحيدا. الآن هو من الناس الذين يجلسون هنا. هو مثلها ومثلهم. تراجع في مقعده واسترخى باستمتاع. تناول قائمة المشروبات والأطعمة من أمامه. يستطيع أن يختار ما يشاء. يستطيع أن يطلب أغلى ما في هذا المقهى من دون قلق من الحساب. ترى هل لديهم فيشار هنا؟

***

هكذا اعتادت قدماه على المكان. كان ينتهي من عمله ويذهب إلى المقهى تلقائيا.. لعلها تأتي.

في ذلك اليوم كان يجلس في طاولة جانبية في ركن هادئ، يعمل على حاسبه المحمول، حين جاءه صوتها العزيز:

ـ المكان أعجبك فعلا!

ـ هل أنتِ شريكة في هذا المقهى أم ماذا؟

جلست آية وقالت:

ـ كنت سأكلمك.

ـ خيرًا؟

ـ أنت كنت تعرف أن سارة ربيع ترفض العمل معهم من أجلك فقط؟

ـ نعم، أظنها قالت لي.

ـ ولماذا؟

ـ ولم لا؟ ما المشكلة في هذا؟

ـ أعني.. هذا عمل.. رزق.. لماذا تتخلى عنه من أجل...

ـ من أجل واحد مثلي؟

ـ لا أقصد هذا.. أعني.. هل علاقتكما.. إلى هذه الدرجة؟

ـ أية درجة؟

ـ لا أعرف.. أخبرني أنت، أية درجة؟

ـ هل هذه.. غيرة؟

ـ مهلا مهلا! غيرة مرة واحدة؟

ـ لماذا إذن تسألين؟

ـ أنا أسأل عن العمل.

ـ بل عن علاقتنا..

ـ علاقتنا؟

ـ أعني علاقتنا أنا وسارة!

ـ آه.. وأنت ترى أنها علاقة تستدعي الغيرة؟

ابتسم عماد ونظر إليها بحنان. هذه الحمرة التي خضبت خديها فزادتها روعة. قال:

ـ لا.. إطلاقا. هي معرفة قديمة.. صداقة.. خدمات متبادلة أحيانا من باب العشم..

ـ طيب يا أستاذ عشم، إليك أخبار مجانية..

ـ طول عمرك كريمة!

ـ قسم التسويق في شركة الكمال ينهار من دونك.. وسيحاولون مع سارة بطريقة أخرى.. أظن عن طريق وسيط..

قال عماد بلهفة:

ـ حقا؟

تراجعت بحرج وقالت:

ـ لا.. آسفة.. كنت أمزح. بالعكس، تامر يدير كل شيء كما كنت تفعل بالضبط!

تلاشت ابتسامة عماد وقال:

ـ عادي.. أي حمار يمكنه اتباع الخطوات نفسها.. لن يخترع العجلة..

تداركت آية:

لكنهم سيحاولون مع سارة من جديد فعلا.

ـ آها.. وكأن هذا سينطلي عليها!

ـ هل ستخبرها؟

ـ ما رأيك أنتِ؟

ـ هذا شأنك.. وشأنها!

- لا صحيح.. ما رأيك؟
- في رأيي، لماذا لا تعمل معهم؟ أعني، هم الخاسرون.. على الأقل سيكون جزء من عملهم في يدك بشكل غير مباشر.. وكأن لك جاسوسة بينهم.
- لكن.. عندي بالفعل.. أنتِ ما زلتِ هناك!
- هاهاها! دمك خفيف!

#١٩

محادثة خاصة على فيس بوك:

@وليد رمضان:

مساء الخير يا أستاذة سارة.

@سارة ربيع:

مساء النور.

@وليد رمضان:

شكرا على قبول طلب الصداقة.

@سارة ربيع:

عفوا!

@وليد رمضان:

أنا وليد رمضان!

@سارة ربيع:

تشرفنا.

@وليد رمضان:

من شركة التوفيق للتسويق. نحن بحاجة لخدمات حضرتك معنا في شغل تسويق. فهل حضرتك موافقة؟ وهل وقتك يسمح؟

@سارة ربيع:

اسم الشركة «التوفيق للتسويق»؟!

@وليد رمضان:

تمام.

@سارة ربيع:

عظيم. أول خطأ تسويقي!

@وليد رمضان:

الاسم لا يعجبك؟

@سارة ربيع:

لا أرى صفحة أو موقعا للشركة.. كيف هذا؟

@وليد رمضان:

تحت الإنشاء.

@سارة ربيع:

طيب، ما زالت لديكم فرصة لتدارك الكارثة!

@وليد رمضان:

شكرا، لكن نحن سعداء بالاسم.

@سارة ربيع:

طيب، هنيئا لكم! ممكن تفاصيل عن الشغل المطلوب؟

@وليد رمضان:

أكيد، لكن ممكن نلتقي لنتفق على التفاصيل؟

@سارة ربيع:

لا والله صعب.

@وليد رمضان:

لماذا؟

@سارة ربيع:

ممكن تتفضل بعرضك هنا. لا أرى ما يمنع.

@وليد رمضان:

الفكرة أن الكلام سيطول. طيب، ممكن رقمك أو تأخذي رقمي ونتكلم في التليفون؟

@سارة ربيع:

لا. التفاصيل هنا لو سمحت.. إن كنت تريد العمل فعلا.

@وليد رمضان:

طبعا أريد العمل.. لكن التفاصيل كثيرة والكلام شفويا أسهل..

@سارة ربيع:

يا سيدي تفضل أرسل رسائل بصوتك كما تحب.. أنا مرتاحة هكذا.

@وليد رمضان:

طيب، سأحاول تلخيص الموضوع. كما قلت، نحن شركة تسويق إلكتروني على السوشيال ميديا، وحضرتك كما نعرف «إنفلوينسر» وعندك ما شاء الله الكثير من المتابعين.. لذلك نريدك أن تعملي معنا للترويج لبعض المنشورات والصفحات الخاصة بنا وبعملائنا.

@سارة ربيع:

تمام.

@وليد رمضان:

لكن الشغل كثير، فيجب أن نلتقي للاتفاق على مقابل وتوقيع العقد.

@سارة ربيع:

لن نحتاج لهذا. أنا أعمل مستقلة.. (فريلانسر)، ولا أحتاج للعقود. أرسل لي قائمة بالمهام المطلوبة مصحوبة بعرضكم المادي، وسأطلع عليه وأرى إن كان يناسبني.

@وليد رمضان:

لكن تحديد المقابل المادي سيحتاج لبعض المناقشة والتفاوض. صحيح؟

@سارة ربيع:

لا. إما أن تقدموا عرضكم أو ترسلوا لي طلباتكم وسأحدد لكم التكلفة بنفسي.

@وليد رمضان:

كيف؟ يعني ممكن أن نحدد نحن التكلفة ونضع المبلغ الذي نريده؟!

@سارة ربيع:

ممكن. وممكن أقبل أو أرفض!

@وليد رمضان:

يعني تريدين التفاوض!

@سارة ربيع:

أستاذ وليد. ممكن تختصر؟ الشغل المطلوب لو سمحت.. أو لننس هذا الموضوع كله.

@وليد رمضان:

طيب طيب.. ممكن بريدك الإلكتروني؟

@سارة ربيع:

sara.rabea.mail@gmail.com

@وليد رمضان:

وبالنسبة للفلوس؟ كيف سندفع لكِ؟

@سارة ربيع:

مقدما. بمجرد أن نتفق. بيتكوين أو بايبال.

@وليد رمضان:

بيتكوين؟

@سارة ربيع:

أنتم شركة تسويق إلكتروني.. كيف لا تعرف البيتكوين؟

@وليد رمضان:

أعرفها طبعا.. هي عملة إلكترونية بشكل كامل تتداول عبر الإنترنت فقط من دون وجود فيزيائي لها. لكن.. نحن لا نستخدمها.

@سارة ربيع:

طبعا، هذا تعريف ويكيبيديا! على كل حال حسابي على بايبال بنفس بريدي الإلكتروني.

@وليد رمضان:

سأرسل لكِ الشغل المطلوب في ملف إكسيل فورا، وسأنتظر ردك.

@سارة ربيع:

بالتأكيد.

عندي سؤال. هل يعمل معكم شخص اسمه تامر توفيق؟

@وليد رمضان:

لماذا؟

@سارة ربيع:

إن كان يعمل معكم فلا أريد التعامل معه لو سمحت.

@وليد رمضان:

لماذا؟

@سارة ربيع:

لا شيء. فقط لا أحبه.

لكن لم تقل لي. هل يعمل معكم؟

@وليد رمضان:

لا.

***

رسالة خاصة على فيس بوك:

@تامر توفيق:

صباح الفل على أعظم هاكر في الحياة!

يا صاحبي، عندي لك طلب صغير.. «مصلحة» سريعة بمقابل طبعا. هل تذكر تلك الخدعة التي حدثتني عنها من قبل؟ زرع ملف تجسس أو فيروس كمبيوتر في ملف إكسيل أو وورد، وبمجرد فتحه تستطيع اختراق جهاز من فتحه؟

هل هذا ينفع مع ملف إكسيل حقيقي ويفتح بشكل طبيعي؟

يعني أنا لا أريد الهدف أن يشك في أننا اخترقناه. كلمني بسرعة لنتقابل ونرسل الملف معا. كلمتك لكن رقمك غير متاح كالعادة. الموضوع عاجل جدا.

#٢٠

محادثة خاصة على فيس بوك:

@هبة حسن:

هكذا؟ لم يكن هذا عشمي فيك!

@عماد الصاوي:

ماذا حدث؟

@هبة حسن:

ربنا فتحها عليك يا سيدي، طيب، لكن لم لا تقول؟ أتخشى من الحسد؟

@عماد الصاوي:

لا طبعا. أي حسد؟ ما هذا الكلام؟

@هبة حسن:

وعرضت وظيفة على آية ولم تتذكرني؟

@عماد الصاوي:

كان مجرد اقتراح وهي رفضته.

@هبة حسن:

وأنا خارج الاقتراح طبعا! كنت سألوّث سمعة شركتك مثلا؟
أم أنني دون المستوى المطلوب؟

@عماد الصاوي:

لا يا بنتي.. اهدئي قليلا.

آية عندما رفضت قالت إن ترك عمل مستقر والعمل معي الآن في شركة جديدة يعتبر مخاطرة.

@هبة حسن:

عل الأقل عرضت عليها!

@عماد الصاوي:

ما زلنا فيها! تعالي!

@هبة حسن:

الآن تقول هذا! بعد أن كلمتك أنا! لا.. انتهى الموضوع!

@عماد الصاوي:

كنت سأكلمك أكيد!

@هبة حسن:

ولكن..؟

@عماد الصاوي:

اقتنعت بكلامها، هي مخاطرة فعلا لا أرضاها لها، ولا لكِ طبعا.

@هبة حسن:

فعلا؟ هذا ما فكرت به؟

@عماد الصاوي:

والعيش والملح!

@هبة حسن:

طيب عيني في عينك؟

@عماد الصاوي:

👀

@هبة حسن:

طيب.. سماح!

@عماد الصاوي:

سماح أنور!

@هبة حسن:

سماح الخير!

@عماد الصاوي:

لا! حرام! أنا آسف أني بدأت!

@هبة حسن:

😂

وكيف العمل الجديد؟

@عماد الصاوي:

لا بأس. في مرحلة التأسيس. أنا الآن في طريقي لمقابلة حامد العسال.

@هبة حسن:

أنت في الشارع؟

@عماد الصاوي:

في المترو.

@هبة حسن:

شغل جديد؟

@عماد الصاوي:

لا أعرف. طلب مقابلتي أمس فجأة. يبدو غاضبا، ويريد نتائج من أول يوم.

أرأيتِ؟ حتى وأنا المدير هناك وغد آخر فوق رأسي!

@هبة حسن:

كل المديرين هكذا! أنت كنت مديرا عندنا وتعرف!

@عماد الصاوي:

أنا كنت وغدا معكم؟

@هبة حسن:

هل عرفت في عمرك كله مديرا ليس وغدا؟

@عماد الصاوي:

😠

@هبة حسن:

أمزح يا سيدي والله! 😀

@عماد الصاوي:

وكيف العمل عندكم؟

@هبة حسن:

وكأنك لم تعرف من آية!!

تامر صار قريبا من كمال العسال.. صار يعتمد عليه أكثر من مدام علا نفسها.. تصور!!

@عماد الصاوي:

أتصور طبعا.. طول عمره وصولي.. كمال يجب أن يخاف على مقعده نفسه الآن!

هل عرف أنني أعمل مع حامد العسال الآن؟

@هبة حسن:

لهذا كلمتك. هو عرف طبعا، لكن.. هناك شيء ما..

@عماد الصاوي:

أي شيء؟

@هبة حسن:

لا أعرف بالضبط.. لكنه يتعلق بك!

@عماد الصاوي:

والله؟ هكذا فهمت؟!

@هبة حسن:

أعني تامر.. يدبر شيئا يتعلق بك..

@عماد الصاوي:

بي أنا؟

@هبة حسن:

غالبا.. وربما هو شيء يتعلق بحامد، واسمك جاء في الكلام لأنك تعمل معه الآن؟

@عماد الصاوي:

تسألينني أنا؟!

ماذا عرفتِ بالضبط؟

@هبة حسن:

ليس الكثير.. فقط كان كمال عند مكتب تامر، الذي كان مكتبك، وكانا يتحدثان وسمعت اسمك أكثر من مرة..

@عماد الصاوي:

فقط؟ ربما يتكلمان عن المكتب أو طريقة العمل التي أنشأتها أو أي شيء..؟

@هبة حسن:

وسمعت كذلك اسم سارة ربيع!

@عماد الصاوي:

آه! أعتقد أني أعرف ما هنالك.

لا بد أنهما كانا يتحدثان عن تعاقدات مع مؤثرين من السوشيال ميديا.. كما اقترحت من قبل على كمال العسال.

@هبة حسن:

لا أظن.. كمال يموت على القرش ولن يدفع مليما إضافيا!

@عماد الصاوي:

لكنه وافق بالفعل عندما عرضت عليه.. فقط كان تحفظه على مدى الثقة في هؤلاء.. لهذا وافق على فترة اختبار مع سارة ربيع.

@هبة حسن:

بعد اعتراضه على استفادتك الودية منها؟

@عماد الصاوي:

أبله! هذا شأنه! المهم أن تامر عاد ليخاطب سارة من جديد بالفعل.. من حساب مزيف!

@هبة حسن:

غريب! كمال قال أكثر من مرة مؤخرا إنه لا يريد تكاليف إضافية! ربما تامر سيدفع من جيبه؟

@عماد الصاوي:

كثير عليه.. يدفع مرتبه بالكامل؟

@هبة حسن:

لا أعرف!

لماذا لم تسأل آية؟

@عماد الصاوي:

وما أدراها هي؟

@هبة حسن:

لا أعرف! ستبحث.. من أجلك!

@عماد الصاوي:

ما قصدك؟

@هبة حسن:

لا شيء. لكن..

أنا أشعر أنك تستهين بتامر أكثر من اللازم.. خذ حذرك منه.

@عماد الصاوي:

الآن آخذ حذري؟ أليس هذا هو تامر الذي أصررت على أن أذهب لأعزيه؟

@هبة حسن:

الظروف كانت مختلفة.. يا ساتر! قلبك أسود!

المهم الآن أن تنتبه لنفسك.

@عماد الصاوي:

لا داعي للقلق.. مشكلتي معهم انتهت. إلا إذا قرر كمال الهجوم على حامد.. عندها سيصبح عملي رسميا التصدي لهما.. ولكم!

هل عرفتِ شيئا عن هذا؟

@هبة حسن:

أنت تسألني عن معلومات تخص العمل؟

تريدني جاسوسة هنا؟

@عماد الصاوي:

لا.. ليس هذا قصدي.

@هبة حسن:

لكني لا أمانع! 😊

@عماد الصاوي:

لا، لا داعي. سأتصرف أنا.

وصلت. سأكلمك لاحقا. عندما أخرج من الاجتماع.

@هبة حسن:

سلامي لحامد، الحليوة ذي العيون العسلية!

@عماد الصاوي:

حاضر! سأقول له: هبة عينها منك!

@هبة حسن:

😛

***

محادثة خاصة على فيس بوك، بعد ساعتين:

@عماد الصاوي:

يا هبة يا هبة!

@هبة حسن:

نعم يا عماد يا عماد؟

@عماد الصاوي:

غيرت رأيي!

@هبة حسن:

بخصوص ماذا؟

@عماد الصاوي:

حامد العسال غاضب جدا من أخيه، وكلفني بحملة هجوم عليه!

@هبة حسن:

طيب.. ربنا يوفقك!

@عماد الصاوي:

شكرا على الدعاء! لكني.. أحتاج مساعدتك.. هل ما زال عرضك قائما؟

@هبة حسن:

لا يا حلو! كان لفترة محدودة!

@عماد الصاوي:

وانتهت بهذه السرعة؟

@هبة حسن:

يمكنني مد فترة العرض. لكن.. كم ستدفع؟

@عماد الصاوي:

طلباتك..؟

@هبة حسن:

كوب مانجو كبير من فرغلي.

@عماد الصاوي:

لا، كثير! يفتح الله!

@هبة حسن:

عصير قصب كبير؟

@عماد الصاوي:

عصير قصب.. وسط!

@هبة حسن:

🤦‍♀️

٢١#

«لا يكفي في الشبكة أن تضم فقط أعدادا كبيرة من الحسابات العادية، فمن الضروري أن يكون في كل فريق حساب أو اثنان من ذوي التأثير. اختر حسابا أو اثنين من شبكتك واعمل على زيادة أعداد المتابعين لهما. هناك طرق كثيرة لهذا، منها:

- الحصول على دعم من حساب مؤثر يملكه أحد زملاؤك، فيقوم بالمشاركة والتعليق على عدد من منشورات الحساب المستهدف، حتى يزيد عدد متابعيه.
- نشر محتوى ساخر، فهذا ينتشر بسرعة ويكتسب الكثير من المتابعين في وقت قصير.
- إنشاء الحساب باسم شخصية عامة غير موجودة على الفيس بوك (تأكد من هذا قبل إنشاء الحساب)، فمثلا فنانون مثل (حسن حسني) أو (كمال أبو رية) أو (محمد محي) غالبا ليس لهم حسابات شخصية معروفة على الفيس بوك، من السهل أن تنشئ حسابات بأسمائهم وتملأها بالصور والمنشورات والأخبار، والمتابعون سيأتون بسهولة.

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) – إعداد عماد الصاوي

في غرفة الاجتماعات الصغيرة جلس عماد في مقدمة الطاولة يطالع عددا من الأوراق المطبوعة، ثم رفع رأسه إلى الموظفين الجدد المحيطين بالطاولة أمامه:

ـ نبدأ بالإيجابيات. الحسابات الجديدة لا بأس بها، والمنشورات الأولية معقولة... لاحظت عددا منها اكتسب شهرة سريعة.. عمل جيد. من أنشأ حساب (مهاب راضي)؟

رفع شاب ممتلئ الجسد يده وقال بفخر:

ـ العبد لله، وهذا أقل شيء عندي!

ابتسم عماد برغمه، وسأله:

ـ قل لهم يا عاصم، كيف أكسبته هذا العدد المتابعين؟

التفت عاصم إلى الباقين وقال بلهجة استعراضية وكأنما صعد على المسرح:

ـ أرسلت لسارة ربيع منشورين من صفحته وهي شاركتهما على صفحتها وفجأة الحياة اختلفت! عداد المشاركات بدأ يقفز بالآلاف!

رفع شاب طويل يده وقال معترضا:

ـ لكنني أرسلت لها منشورات أكثر.. وهي شاركت اثنين منهما، ولم تتحقق نفس النتيجة!

قال عماد:

ـ المسألة ليست استسهالا.. سارة تتعاون معنا ولا تمانع في مشاركة أي شيء نطلبه، لكننا لا يجب أن نلجأ إليها في كل صغيرة وكبيرة، وإلا فالطريقة نفسها ستفقد تأثيرها.

ـ وماذا نفعل إذن؟

ـ فكر.. جرب الطرق المكتوبة في الدليل..

ـ مثل ماذا؟

ـ اقرأ الدليل يا إيهاب! لا يكفي أن يظهر منشورك على صفحة سارة أو غيرها من من المؤثرين.. عاصم اختار منشورين قويين فعلا، ومناسبين للنشر على صفحة سارة.. أنت أرسلت لها منشورات طويلة تفتقر للجاذبية.. المشاركة ما كانت لتفيدك. وهذا الكلام للجميع، مفهوم؟

أدار عينيه في الوجوه المحيطة بثقة. شخصيته الجديدة الواثقة الآمرة تكبر وتتطور بشكل يثير دهشته حقا. تناول عددا من الأوراق أمامه وراح يقلبها واحدة بعد الأخرى، وقال مشيرا للأوراق بلهجة تعمد أن يجعلها محبطة لتحدث التأثير المطلوب:

ـ أهذه هي فكرتكم عن «منشورات هجوم على كمال العسال»؟

لم يرد أحد. هذا سؤال لا يجيب عليه إلا أحمق. فقط تبادلوا النظرات فيما بينهم بحذر، وانتظروا المزيد. تابع عماد:

ـ هل هذه هي فكرتكم عن كتابة منشورات على الفيس بوك أصلا؟

ـ إلى هذه الدرجة؟

كان هذا أحمق تجرأ على الحديث.. لا.. هي حمقاء.

ـ ما اسمك؟

ـ حنان.

كانت فتاة سمراء، شديدة النحول، تبرز عظام وجنتيها، وترتدي ثيابا ضيقة وحجابا يكشف ربع شعرها الأمامي. كانت تبدو متحمسة واثقة.. قال لها عماد:

ـ ما المنشور الذي كتبتِه يا حنان؟ لا.. لا داعي.. اسمعوا كلكم، كل هذه المنشورات ساذجة.. كلها لا تصلح.. كلها

شتائم بلا أساس. كلام غير مقنع، هجوم يقول بوضوح شديد «أنا أكره كمال العسال هذا ولا أطيقه»!

قالت حنان دون وجل:

ـ طبيعي، نحن نهاجمه.. هل نقول إننا نحبه؟!

ـ طبعا! هذا بديهي! بديهي حتى إنني لم أكتبه في الدليل!

ـ بديهي؟! كيف؟

ـ ما رأيك في إسرائيل يا حنان؟

ترددت، وهزت رأسها بعدم فهم، ثم قالت بلهجة من يسأل «ثم ماذا؟»:

ـ دولة احتلال.

ـ تمام. لكن هذا الرأي بلا قيمة. رأي العرب جميعا بلا قيمة. لماذا؟ لأننا خصوم. ماذا لو جاء هذا الرأي من عضو في الحكومة الإسرائيلية؟

قال أحدهم في ذكاء:

ـ لا يمكن طبعا، لن يسمحوا أصلا له بالتواجد في حكومتهم!

جز عماد على أسنانه في غيظ. الرحمة يا رب!

أضاف آخر أكثر ذكاء:

ـ ولم لا؟ هم يدعون أنهم دولة ديموقراطية، وعضو كهذا في حكومتهم سيؤكد هذه الادعاءات..

ـ لكنه سيضرهم أكثر، فماذا لو..؟

تدخل عماد بحدة:

ـ انسوا هذا المثال.. لنأخذ مثالا آخر.. من هنا يحب عمرو دياب؟ ارفعوا أيديكم.

ارتفعت أيادي معظمهم. فقال عماد مشيرا إلى أحدهم:

- أنت لم ترفع يدك.. اسمك إيهاب، صحيح؟
- نعم.
- لو سألتك يا إيهاب عن رأيك في الألبوم الأخير لعمرو دياب.. ماذا ستقول؟

فتح إيهاب فمه ليتكلم، لكن عماد قاطعه قائلا:

- لا داعي، نحن نعرف ما ستقول، إما إنك لم تسمعه أصلا، أو أنه لم يعجبك. ما قيمة هذا إذا كنا نعرف أنك لا تحب عمرو دياب من البداية؟ لا قيمة له! لكن دعنا نسأل أحد المعجبين بعمرو دياب عن رأيه في الألبوم الأخير.. ماذا سيقول؟

ساد الصمت لحظات، ثم قالت حنان في تردد:

- سيقول إنه أعجبه؟
- طبيعي.. لكن ماذا لو قال إنه ألبوم سيء؟ ماذا ستفهم أنت إن كنت لم تسمع الألبوم من قبل؟
- أنه سيء فعلا!
- تمام. هل فهمتم؟ والآن تفضلوا.. أعيدوا كتابة هذه المنشورات بطريقة مقنعة أكثر.

قالها ونهض. ثم توقف قبل أن ينصرف وقال:

- سنجتمع هنا في نهاية اليوم مرة أخرى لنناقش ما كتبتم.

عند الباب سمع صوت أحدهم من خلفه يهمس:

- يعني نكتب عن عمرو دياب أم عن كمال العسال؟

تجمد فجأة في مكانه، والتفت إليهم مشدوها. قال بذهول:

- من قال هذا؟ من؟!

عاد إلى مقعده وأشار لهم وهو يكاد يغيب عن وعيه، وقال:

ـ اجلسوا. أمري لله.. سنبدأ من جديد!

***

في مكتبه جلس عماد يشد شعره - حرفيا - وهو يلعن حظه الأسود. هذه نتيجة البحث عن أهل الثقة خوفا من ضمير أصحاب الكفاءة. قال لنفسه بصوت عال:

ـ «إلا الحماقة، أعيت من يداويها».. آه والله!

تناول هاتفه واتصل بهبة. ردت بعد ثوان، فقال بسرعة:

ـ أين أنتِ يا بنتي؟ هل وجدتِ شيئا؟

ـ أفكر والله، لكن ليس على بالي أي شيء.

ـ فكري.. أي شيء.. نميمة.. إشاعة.. صورة.. كلام على مجموعة الواتساب.. أي شيء كهذا..

ـ ممم.. لم أفكر في هذا.. لحظة.. صحيح.. كانت هناك بعض الصور على مجموعة النميمة السرية، التي لم يضيفوا تامر فيها..

قال بلهفة:

ـ أي صور؟

ـ يعني.. صور شخصية لكمال العسال في فرح.. مادلين من الحسابات كانت معه في نفس الفرح وأرسلت لنا الصور..

ـ صور فرح عادية؟

ـ ليس تماما.. يبدو أنه شرب كثيرا، وصعد يرقص مع الراقصة وهكذا..

ـ حلو! ماذا أيضا؟

- هممم.. هناك صورة قديمة له مع سيد مرجاوي.. لكن هذه كانت منشورة من قبل على الإنترنت.. ليست سرا.
- سيد مرجاوي، رجل الأعمال الهارب؟
- هو بعينه!
- عظيم.. أريد هذه.. لا بد أنها حذفت الآن من الإنترنت.
- آه.. وهناك شيء آخر يخص العمل.. مشكلة اشتكى منها بعض عملاء الشركة في عمارات «النسيم» الجديدة التي اشتروها بالتقسيط.. بعض الجدران تشققت وتسربت منها المياه أو المجاري.. لا أعرف.. عندي بعض الصور.
- ممتاز! هذا هو المطلوب بالضبط! قبلات وأحضان والله يا هبة!

قالت بسعادة:

- ما كل هذا؟ طيب يا سيدي. سأرسلهم لك فورا.. لكن لا تتوقف عن العدّ.
- عدّ ماذا؟
- عدّ الجمائل طبعا!

***

في الاجتماع الآخر بعد الظهر، رفع عماد ورقة في يده وقال:

- هذا منشور كتبه إيهاب عن كمال العسال.

كانوا يستمعون له بانتباه وحذر. اتجهت العيون في هذه اللحظة إلى إيهاب، الذي احمر وجهه خجلا. رمقه عماد بتعاطف. كل هذه العيون تحط على وجهك فجأة، لو أن كل عين منها تزن ريشة لشعرت بمطرقة هائلة تصدمك في وجهك. تابع عماد:

- هذا هو المطلوب بالضبط.

وأشار إلى صورة على الورقة المطبوعة:

ـ هذه إحدى الصور التي أرسلتها لكم، صورة لعمارة من عمارات النسيم التي تبيعها شركة الكمال بالتقسيط. كما نرى في الصورة، هناك بقعة داكنة في الجدران، غالبا بسبب تسرب في مياه الصرف الصحي.. وهناك كذلك شرخ في هذا الجدار.. ربما هو شرخ في القشرة الأسمنتية فقط، لكن لا يهم، المهم أن الصورة حقيقية. هذه صورة قد لا تؤثر كثيرا، لكن منشور إيهاب يشرح المشكلة، ويعطيك شعورا بأنها أزمة كبيرة، فتتعاطف من أول لحظة مع الأهالي المساكين الكادحين، ومأساتهم بخسارة مدخرات عمرهم في هذه الوحدات السكنية المغشوشة. ينمو تعاطفك، ويملؤك الغضب وأنت تقرأ القصة، حتى يصل بك المنشور إلى السبب الذي ستوجه له غضبك، وهو الشركة المنفذة. الإهمال وانعدام الضمير، والرغبة في الربح على حساب الجودة والمتانة، والأهم هنا أنه يربط كل هذا بأمثلة أخرى للإهمال، تسببت في انهيارات ووفيات وتشريد عائلات بأكملها، فتصلك الرسالة دون أن تشعر: هذا ليس مجرد شرخ، هذه شركة تعرض أرواح الناس للخطر من أجل الربح. ثم الختام بتعليق ساخر يصل إلى الهدف مباشرة، عن كمال العسال الذي يعيش حياة منعمة ـ بعكس هؤلاء السكان ـ بفضل الأموال التي يجمعها منهم ومن أمثالهم، ولن تتأثر حياته بهذه الأزمة أو بغيرها، طالما يجد الماء الكافي الذي يملأ به الجاكوزي الخاص به.

وضع الورقة على المكتب، وأدار عينيه في وجوههم، قائلا:

ـ أي تعليق؟

لم يتلق ردا، فجلس، وقال:

- طيب. حملتنا على كمال العسال ستعتمد على منشورات كهذه، وهذه هي مهمتكم الأولى.. لنعتبره تدريبا. اكتبوا منشورات أخرى مثل هذا، على ألسنة بعض الأهالي أو شهود العيان.. وكل واحد بطريقته طبعا. أرسلوا منشوراتكم إلى إيهاب لمراجعتها ونفذوا أي تعديلات يطلبها.. وبعد ذلك سنبدأ النشر على حسابات الشبكة.

رفع (صابر) يده، وقال:

- لم آخذ نسخة من هذا المنشور.. لأكتب مثلها!
- ولن تأخذ طبعا.. أنا لم أقل أعد كتابة المنشور بأسلوبك يا صابر. لا نريد نسخا ولصقا هنا، هذا ليس بحثا ستقدمه لدكتور الكلية لتحصل على أعمال السنة!

شعر إيهاب بأنه ارتفع عدة سنتيمترات عن سطح الأرض فخرا، لكن الشاب الجالس إلى أقصى يمينه لم يكف عن رمقه بنظرات حادة حانقة، وفي هذه اللحظة لم يحتمل الصمت، فرفع يده وصاح:

- لكن يا مستر عماد.. أنا عندي أفكار أخرى.

قال عماد:

- بالتأكيد نريد أفكارا أخرى.. ما اسمك؟
- عاصم.

كان عاصم قصيرا ممتلئا يرتدي نظارة، وعينه اليمنى مغلقة تماما. لا تعمل.

- يا عاصم، نحن نريد الاتفاق على نموذج واحد لمنشور جيد، وبعد ذلك سيسهل علينا تكرار القالب نفسه.

قال عاصم وهو يرمق إيهاب بنظرة خاطفة:

ـ لا أظن أن إعادة تقليد منشورات ضعيفة كهذه فكرة جيدة، خاصة وأنا عندي أفكار أفضل.

ـ أفكار مثل ماذا؟

ـ اقرأ حضرتك المنشور الذي كتبته.

قلب عماد في الأوراق المطبوعة أمامه، حتى عثر على المنشور الذي يحمل اسم عاصم. جرى بعينيه على الورقة، ثم قلب الورقة.. كان منشورا طويلا جدا. قال:

ـ اسمع يا عاصم، أنت تكتب بشكل ممتاز، لو كنا نريد النشر في أخبار الأدب! نريد منشورا يُقرأ!

قال عاصم بامتعاض:

ـ الركاكة تُقرأ!

ـ إذن فلتكتب كلاما ركيكا. إن كنت تطمح لأن تصير يوسف إدريس القادم، فليس هذا هو المكان المناسب. ثم إن منشورك طويل جدا، وبدون عنصر جذب.. لا أحد لديه وقت الآن لهذا التقعر.

ـ لكن هذا.. سهل!

ـ فعلا؟! إذن اكتب هذا السهل! وتفضل لو سمحت اجلس.. ماذا كنت أقول؟

أطرق لحظة، ثم رفع رأسه وقد تذكر، وقال:

ـ آه.. سنكرر النموذج نفسه، وبعد ذلك...

رفعت حنان يدها من جديد، وقالت:

ـ لكن.. عفوا، لماذا نضيع وقتنا وجهدنا في التكرار؟

ـ لتأكيد الخبر.

ـ أي خبر؟

ـ نحن هنا ننشر أقاويل وأخبار غير مؤكدة. تصوري هذا: إشاعة غريبة تقرأينها اليوم لأول مرة من شخص ما على الفيس بوك، انطباعك الأول: ربما هو يهذي، ربما يكذب، ربما هو صادق، لستِ متأكدة، ولستِ مهتمة، ولن تضيعي وقتك للبحث والتأكد. لكن بعد قليل تقرأين الخبر نفسه في منشور لشخص آخر، ثم آخر وآخر.. ماذا ستفهمين؟

ـ غالبا سأصدق.

ـ بالضبط، ستصير الإشاعة حقيقة، بالنسبة لكِ.

ـ لكن، هناك من سيبحث ويتقصى ويجد أن الخبر لا أساس له.

ـ أكيد. لكن هؤلاء قلة لا تهمنا، نحن نستهدف الأغلبية التي لن تبحث.

ـ وهذه القلة قد تكتب منشورات تكذّب الإشاعات المنتشرة.

ـ وهنا سيأتي دورنا بسياسة التصيّد (الترولينغ).. سينتشر فريقنا بالكامل في التعليقات على هذه المنشورات للتشويش على ما يأتي فيها، بحيث يخرج القارئ بفكرة عامة: هذا موضوع مثير للجدل وفيه مؤيد ومعارض.. وكل هذا مشروح في الدليل.

نهض عاصم في هذه اللحظة، وناول عماد ورقة مكتوبة بخط اليد على عجل. تناولها منه عماد متسائلا، فأعطاه عاصم هاتفه المحمول، وعلى شاشته صورة ما. سأله عماد:

ـ ما هذا؟

قال عاصم:

- صورة كمال العسال مع سيد مرجاوي، والمنشور يطرح تساؤلا غير مباشر عن احتمال وجود علاقة خفية بينهما، ويضرب أمثلة بتحالفات المصالح و»الحيتان الكبار«، و»غسيل الأموال« و»من أين لك هذا؟«، وينتهي بأملاك واستثمارات كمال العسال.. ثم نقارن هذا بالصور التالية..

قال عاصم هذا ثم أشار إلى هاتفه، فقلب عماد الصورة على الهاتف بإصبعه. كانت صورة قديمة لكمال العسال بملابس متواضعة، يأكل على عربة فول في الشارع.

غمغم عماد:

- ممتاز!

قال عاصم بأنفاس متقطعة:

- وعندي أفكار أخرى لصورته مع الراقصة و...
- طيب طيب.. اكتب كل هذا.. تفرغ أنت لكتابة أفكار منشورات مثل هذه.. مع إيهاب.

والتفت إلى الباقين:

- أما الباقون، فكما اتفقنا، ستعيدون كتابة منشورات إيهاب وعاصم، ثم ترسلونها إلى عاصم لمراجعتها قبل النشر.

هذه المرة لم تخف على عماد النظرات الجانبية بين عاصم وإيهاب.

هل هذه منافسة في العمل، أم خصومة، كتلك التي كانت بينه وبين تامر؟

هذا قد ينقلب ضده.. لو لم ينتبه لهما فقد يخرج منهما خصم يهدد كل شيء.. هذه المنافسة لا يجب أن تستمر.

٢٢#

«... وبعد وصول عدد حسابات الشبكة إلى خمسين حسابا على الأقل، تبدأ مرحلة الاندماج مع العالم الخارجي، وفيها تستهدف الشبكة إضافة أصدقاء من خارجها والتعليق والمناقشة عندهم وتكوين علاقات على الفيسبوك ترسخ وجودهم.. وبعدها يمكن التوسع عند أصدقاء كل فرد حقيقي من هؤلاء.

عملية الاندماج هي الهدف الحقيقي الذي قمنا من أجله بتصميم الشبكة بشكل متقن، لتبدو مقنعة وحقيقية، وهي التي ستؤدي لترسيخ وجودها بحيث يمكن أن تبدأ الشبكة في ممارسة تأثيرها الحقيقي وتحقيق أهدافها.

في عملية الاندماج نحن نستهدف الدخول في دوائر الفيسبوك الاجتماعية المؤثرة، بتكوين ارتباطات موجهة مع أشخاص ذوي حسابات مؤثرة بقدر الإمكان.

تُحسب القيمة التأثيرية والتسويقية لحساب الفيسبوك (وأية شبكة اجتماعية أخرى) بإجمالي عدد الأصدقاء والمتابعين لهذا الحساب. ولأن الحسابات الجديدة لن يكون لها متابعون، فالحسابات الجديدة تستطيع رفع قيمتها بإضافة حسابات ذات قيمة عالية، فمثلا: إذا كان لدينا حساب جديد بدون متابعين،

ففي مرحلة الاندماج نستهدف إضافة عدد ٥٠ صديقا جديدا كل أسبوع. هؤلاء الأصدقاء سيرفعون من قيمة حسابنا الجديد أكثر كلما زاد عدد متابعي كل حساب من الحسابات الخمسين، وكذلك كلما كانوا أصدقاء لشخصيات مؤثرة على الفيسبوك.

كلما كان الحساب مشهورا أكثر وله عدد أكبر من المتابعين زادت صعوبة قبوله لطلب صداقتك.. ولتسهيل الأمر، قم أولا بإضافة عدد من أصدقائه، حتى ترفع عدد الأصدقاء المشتركين بينكما، ثم أرسل طلب الصداقة، عندها ستزيد احتمالات قبوله للطلب عندما يرى عدد الأصدقاء المشتركين كبيرا.

كلما زادت قيمة حسابك زادت فرص منشوراتك في الظهور، فإذا كان لديك ٥٠ صديقا، كل منهم لديه متوسط ١٠٠٠ صديق ومتابع، فإن لديك احتمالات ظهور المنشور ل٥٠ شخصا فقط.. ولو كان منشورك جذابا، فقد يقوم بعضهم بمشاركته، وعندها يحظى المنشور بفرصة الظهور لألف شخص لكل مشاركة. وإذا كان من هؤلاء الألف بعض الأشخاص المؤثرين، فإن مرات ظهور منشورك تكتسب قيمة أكبر لأن فرصتها في أن تتم مشاركتها من قبل "مؤثر" تزداد، وعندها تنال آلاف المرات من الظهور. وهذا هو الهدف النهائي.

باختصار، حدد أهدافك من المؤثرين، وحاصرهم بإضافة المقربين لهم.»

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) – إعداد عماد الصاوي

***

نجاح الحملة فاق كل توقعات عماد. كل شيء سار كما خطط له بالضبط، منشور واحد يتحدث عن تشققات جدران وتسرب مياه الصرف الصحي في عمارات النسيم، تلاه منشور آخر وآخر، وبالتدريج وُلد هاشتاغ **#شركة_الكمال**، ثم توسعت الحملة لتشمل كمال العسال نفسه، مع هاشتاغ آخر باسمه: **#كمال_العسال**. توالت المنشورات، حتى صار اسمه هو «التريند» على السوشيال ميديا بعد يوم واحد من بدء الحملة، خاصة بعد مشاركة ثلاثة من المؤثرين لمنشورات انتقاده، تلاها بعض المتابعات الصحفية للضجة المثارة عليه.

وهناك في مكتبه في الشركة، في الثامنة صباحا كان عماد أمام جهازه المكتبي، وحاسبه المحمول الشخصي. يتابع عملية تثبيت «ويندوز» جديد على حاسبه المحمول، ويستعرض آخر تطورات الحملة وهو لا يكاد يصدق.

لأول مرة يجرب هذا الشعور: كل شيء كان يسير كما يريد له: هاشتاغ **#كمال_العسال** ينتشر وينتشر من دون أي مجهود إضافي من الفريق.. خرج العفريت من القمقم وتلقفه الناس ليجعلوه مادتهم الرئيسة للنميمة اليوم.. اليوم فضائح كمال العسال هي كل ما يشغل السوشيال ميديا، الصحف والمواقع الإخبارية تتابع وتغطي وتزيد الموضوع اشتعالا..

- الصدارة! أنت في الصدارة يا كمال الكلب! عقبى لك يا تامر!

كان يقولها لنفسه بصوت عال وهو يرقص.. عماد كان يرقص! هو نفسه لم يتصور هذا، كان يفكر أن هذه -ربما- المرة الأولى في حياته التي يرقص فيها، وربما ستكون الأخيرة، فهو يشعر ببلاهة حقيقية!

ارتفع فجأة رنين هاتفه المحمول، وعلى الشاشة ظهر الاسم:

«حامد العسال يتصل بك».

حامد بك بنفسه؟ ليس شادي؟! هذا جديد! لا بد أنه عرف بالحملة. تساقطي فوق رأسي يا ثمار النجاح. انفتحي يا أبواب المستقبل.. اعصفي يا رياح المجد.. ازأري يا عواصف الـ...

ضغط زر الرد قبل أن ينتهي الجرس، فأتاه صوته عبر الهاتف:

ـ أين أنت؟ ألم تفتح بريدك الإلكتروني؟

ـ عفوا يا فندم.. جهازي كان يحتاج إلى «ويندوز» جديد، وكنت..

ـ تعال إليّ في مكتبي حالا. أنا أنتظرك منذ الصباح.

منذ الصباح؟ والتاسعة صباحا لم تعد جزءا من الصباح؟

دس هاتفه المحمول في جيبه، وطبع ملفا من جهازه المكتبي، ثم أغلقه. توقف أمام الحاسب المحمول: ٦٩٪.. ما زال أمامه بعض الوقت. أوصله بالشاحن، ثم وارب شاشته دون أن يغلقها تماما، وتركه يكمل عملية التثبيت..

***

أمام حامد العسال جلس عماد متأنقا واثقا. مكافآت.. كلمني عن المكافآت لو سمحت، لكن دعني أولا أتفاخر بما أنجزت. أخرج التقرير الذي طبعه، وناوله لحامد العسال. وبدأ يسرد:

ـ الحملة بدأت، ووصلنا بالمنشورات إلى نسبة مشاركات واسعة، وحققنا أمس المركز الرابع في الموضوعات الأكثر تناولا على تويتر، ثم صعد الهاشتاغ على فيس بوك اليوم إلى الصدارة، ومع دخول الصحف في الحملة سنركز جهودنا على التعليقات والرد على محاولات الدفاع عن...

ـ لا.. توقف.

ـ طيب.. سعادتك ستقرأ التقرير بنفسك؟

- لا.. أوقف الحملة تماما. سنكتفي بما تم.
- أوقف الحملة؟ لكن.. هم يستعدون للرد!

التفت إليه حامد، ورفع نبرة صوته قليلا بحزم:

- قلت انتهى. هذا قرار نهائي. ستتم مصالحة قريبا، وسنصفي كل الخلافات.. واضح؟

قال عماد مبهوتا:

- لكن.. كيف؟ أنا لا أفهم.. كيف نترك حملة ناجحة كهذه قبل أن تكتمل؟

صاح حامد في صرامة:

- لأنني قلت هذا! نعم هذا خصمي، لكنه في النهاية أخي..

الآن هو أخوه؟ أيتذكر هذا الآن؟

- وهل.. نحذف ما نشرناه؟
- لا، لا تحذف أي شيء، فقط لا تكمل الحملة.. حتى إشعار آخر. الآن لدينا مشروع آخر، أكبر وأهم.
- كما تأمر سعادتك.. نحن مستعدون.
- جريدة (المرفأ).. نريد إسقاطها.. أعني إسقاط مصداقيتها عند الناس.
- لماذا؟
- ليس هذا من شأنك!
- أعني.. يجب أن أفهم، كيف نسقط مصداقيتها؟ نطعن في مهنيتها؟ نشكك في تمويلها؟ نفعل كما فعلنا مع المذيع؟
- ليس تماما. لا نريدها مجرد فضائح، نريد أن يفقد الناس ثقتهم في الجريدة ورموزها، خاصة رئيس تحريرها إسماعيل الرفاعي.. نريد كل الاتجاهات الفكرية والسياسية أن تقاطع

الجريدة.. أن يعتبروها جريدة صفراء. أعط كل واحد سببا لكراهيتها.

ـ لكن هذا كثير! لن يكفي فريق واحد..

ـ ماذا تعني؟

ـ يعني أننا نقدر على عمل ضجة.. تأثير في السمعة والشعبية والتوزيع وبالتالي الأرباح.. لكن معلوماتي أن هذه الجريدة لها توزيع وقراء بالملايين.. مهما كانت حملتنا فهي ستمر.. زوبعة في فنجان.. لن نسقط الجريدة تماما إن كان هذا هو الهدف..

ـ وهل إسقاط الجريدة ممكن أصلا؟ لو توفر التمويل اللازم؟

ـ ممكن.. لكنهم دائما سيمكنهم استعادتها..

ـ كيف؟

ـ يمكنهم إعادة إطلاقها باسم جديد، ربما بعد تغيير بعض الوجوه والقيادات، تغيير السياسة التحريرية في البداية.. ويعود كل شيء كما كان..

ـ تمام، هذه بداية معقولة.. نبدأ بموضوع «الزوبعة في فنجان» هذا ثم نقوم بالتصعيد بعدها؟ أعني فور توفر التمويل..؟

ـ صعب.. سنحتاج فترة إعداد للفرق الجديدة، وبعدها سيكون تأثير الحملة الأولى قد انقضى.. سنبدأ من جديد في الحقيقة.. ثم إن...

ـ ماذا؟

ـ فريقنا.. ليس مكتملا بعد.. شبكتنا الحالية لم تكتمل.. المرحلة الأخيرة كانت تتطلب اندماجا بالعالم الخارجي وهذا لم يكتمل.. ناهيك عن فترة ركود لتعميق العلاقات.. يمكننا المخاطرة، لكن على المدى الطويل هذا سيقلل من فعالية

الشبكة كلها.. نحتاج إلى فرق أخرى.. نحن نتكلم عن توجيه مجتمع بالكامل.. تشكيل أفكاره..

ـ عماد، عماد! لا أفهم شيئا.. ما كل هذه التفاصيل؟ هل تقدر على المهمة أم لا؟

ـ أقدر.. لكن بمجموعة فرق ليس فريقا واحدا.

ـ تصرف.. اغزل برجل حمار.

ـ سنحدث بعض الضجيج.. لكننا سنفشل في النهاية.

ـ ابدأ، وسأنظر في أمر التوسع هذا لاحقا.

***

عندما دخل مكتبه وجد حاسبه المحمول مفتوحا بالكامل وليس مواربا كما تركه، وعملية التثبيت كانت مكتملة. أجفل لحظة ثم استشاط غضبا، خرج صارخا في وسط المكتب:

ـ من عبث في حاسبي المحمول؟

قال إيهاب بهدوء:

ـ أنا.. وجدت عملية التثبيت متوقفة، فأكملتها.. لم أظن أن هذه مشكلة.. هل حدث خطأ في التثبيت؟

ـ لا.. لكن.. لمَ دخلت مكتبي أصلا؟

ـ طبعت بعض الأوراق، ودخلت لأخذها من الطابعة..

كاد يواصل الصراخ، ثم وجد أنه من الحكمة أن يصمت. ماذا لو اطلع على ملفاته؟ لن يعرف أبدا. ليأمل أنه لم يفعل.

حاول أن يجعل صوته محايدا هادئا، لكنه خرج متوترا وهو يقول:

ـ اجتماع طارئ.. الآن.

***

هذه المرة كانت العملية أصعب، لكن الهدف كان أسهل. عندما يكون هدفك أكبر فالتصويب يصير أسهل.. لكن التأثير عليه يكون صعبا، وهذا هو التحدي.

جريدة المرفأ ظهرت في البداية على الإنترنت فقط، واعتمدت سياستها التحريرية على نشر الأخبار بغزارة عن أي شيء وكل شيء. كل ما يصلح منشورا على تويتر أو الفيسبوك يمكن أي يصبح خبرا على المرفأ.. أصبح من المألوف أن تجد خبرا يقول: "وصول الفنان فلان الفلان إلى الإسكندرية للمشاركة في مهرجان السينما"، وتجد أن نص الخبر هو: "وصل الفنان فلان الفلاني إلى الإسكندرية للمشاركة في مهرجان السينما"! حتى أطلق عليه المتابعون اسما ساخرا هو جريدة "المقلب"!

بالنظر إلى هذا التاريخ غير المهني، كان الجزء الأسهل هو العثور على أخطاء للتصويب عليها.. ولم يكن صعبا كذلك العثور على خطأ حديث، يبرر انطلاق الحملة على الجريدة في هذا التوقيت، خاصة أن رئيس التحرير إسماعيل الرفاعي كان يقدم برنامجا يوميا على قناة فضائية، ولا يكف عن إيقاع نفسه في كارثة بعد الأخرى.

كرر عماد التجربة السابقة، مع استهداف إسماعيل الرفاعي بدلا من كمال العسال. لم يكن لديهم مادة جديدة تصلح لإشعال «تريند»، لكن توسيع الحملة لتشمل السخرية من الجريدة بأكملها زاد من تأثيرها.. إلى أن خرج (صابر) بفكرة ساذجة: «كوميكس». يقصد التعليقات المصورة الساخرة أو ما يسمونه في الغرب «ميمز» Memes. استهان عماد بالفكرة، لكنه ترك صابر يجرب. نفذ صابر بنفسه عددا منها باستخدام تطبيقات على هاتفه المحمول، ولدهشة عماد فاق تأثير هذه «الكوميكس» كل المنشورات التي سبقتها.

هذه المرة اجتمع بهم من جديد، وغير استراتيجية الحملة بأكملها. السخرية. ركزوا جهودكم جميعا على السخرية والكوميكس والنكات.

النتيجة كانت مبهرة. اكتسبت الحملة جماهيرية كبيرة بعد أول ثلاثة صور «كوميكس» ساخرة مضحكة.. وبعدها جلس عماد وفريقه يقرأون ويضحكون على الأفكار الجديدة التي أبدعها الجمهور.. كان مخطئا في التقدير، لم يكن بحاجة لمجموعة فرق، كان فقط بحاجة لاستراتيجية أكثر إيلاما.. مثل السخرية. السخرية تصنع «التريند» بشكل أسرع وأقوى.. دعونا نتذكر هذا جيدا يا قوم.

استدعى صابر منفردا، وقال له:

ـ صابر، سننشئ قسما فرعيا جديدا للكوميكس.. وأنت سترأسه.

لأول مرة يبدو صابر بهذه الجدية. عندما يأتي الأمر للسخرية والهزل، فإن صابر هو أكثر من يأخذ الأمر بجدية!

ـ أوامرك يا زعيم! لكن دعنا نعمل الصح.

ـ لا داعي لـ»زعيم» هذه يا صابر.. هي ليست عصابة!

ـ تمام يا كبير. أتريد قسما «في السليم»؟ نحتاج آخرين يعملون معنا.

ـ اختر من تريد من زملائك..

ـ لا.. هناك فتيان موهوبون حقا في هذه اللعبة.. يقتلونك ضحكا بأقل مجهود، ولن يكلفونا كثيرا.. صبية في ثانوي وجامعة.

ـ لكن.. الثقة يا صابر.. أنت تفهم مبدأ السرية هنا.

ـ الثقة في الله يا مدير.. أنا أضمنهم برقبتي!

ـ طيب.. لنجرب.

وهكذا أعطاه الضوء الأخضر.

لكن، هل سيوافق حامد العسال على زيادة الميزانية؟

٢٣#

«التكرار، التكرار، التكرار..
كرر، كرر، كرر..
كرر التكرار، ثم كرره..
بالتكرار والإلحاح تستطيع تغيير ما حدث في عقول الناس، تستطيع الآن إلغاء التاريخ نفسه، تستطيع كتابة تاريخ جديد، تستطيع تبديل الحقائق. فقط قل روايتك، وانشرها في الإعلام الجديد، وكررها، ثم كرر التكرار، حتى يصير حقيقة.»

من (دليل الشبكات التسويقية على السوشيال ميديا للمبتدئين) – إعداد عماد الصاوي

***

لم يضطر عماد للاتصال بحامد العسال لطلب زيادة الميزانية، فقد وصلته رسالة على بريده الإلكتروني من حامد شخصيا - وليس من شادي - يستدعيه لاجتماع هام في مكتبه غدا.

راح يرتب أوراقه، ويجمع نماذج من الكوميكس التي أدت لنجاح الحملة. سيحضر تقريرا أنيقا بالأرقام في ملف مرتب ويطبعه. إن كان قد تعلم شيئا من فترة عمله مع كمال ثم حامد العسال فهو أن طريقة العرض

المنظمة هذه هي أفضل طريقة للإقناع، خاصة مع شخص مثلا عماد لم يلتقط عدوى الكاريزما من قبل في حياته.

كان هذا حين جاءه هذا الاتصال الهاتفي من حامد العسال بنفسه مرة أخرى. نظر إلى الساعة أعلى شاشة الهاتف الذي يصدح بالرنين.. بعد ٦ دقائق من الرسالة؟ هل ألغي الاجتماع؟ هل هناك أمر عاجل؟ يتصل بنفسه؟!

ضغط زر الرد. أتاه صوت حامد المنفعل الذي لم يسمعه من قبل:

ـ الموعد الساعة ١٠ صباحا يا عماد.

ـ طبعا يا فندم.. قرأت الرسا...

ـ ماذا سترتدي؟

أفندم؟ ماذا سترتدي؟ حامد العسال يسألك ماذا سترتدي؟ قاوم رغبته الحارقة في أن يقول «سأرتدي ملابسي هاهاها».. هي رغبة من النوع الذي تحققه ثم تذهب للبحث عن عمل جديد.. عاجله حامد بسؤال آخر:

ـ هل عندك بذلة رسمية جيدة؟

ـ أعتقد.. نعم.. البذلة السوداء التي لبستها في الاجتماع الأول مع سعادتك.

ـ ممم.. لا بأس.. لكن، اشتر رابطة عنق جديدة أفضل من تلك. فاهم؟

ـ فاهم.. لا تقلق يا باشا.

ـ تعال مبكرا قبل الموعد.. احتياطيا.. وخذ رأي شادي فيها.

ـ بالتأكيد.. سأكون موجودا قبلها بساعة.

ـ هذا اجتماع مهم يا عماد. يجب أن تنام جيدا.

ـ دائما ما أفعل.. خصوصا قبل الاجتماعات المهمة.

ما هذا الهراء؟ حامد العسال بنفسه يناقش معه ماذا سيلبس غدا؟! من سيقابلان بالضبط؟ أنهى حامد الاتصال قبل أن يسأله هذا السؤال.

***

لم ير عماد مكتب حامد العسال في هذه الحالة من قبل. طوارئ قصوى.. تكاد ترى صواعق كهربية تخرج من الرؤوس، الجميع متوترون يركضون في كل اتجاه. هل رفعت يوما حجرا يغطي جُحر نمل؟ هل رأيت حالة الفوضى هذه؟ حسنا، لا تبحث على الإنترنت يمكنك أن تراها هنا كاملة غير منقوصة.

رجال حراسة ضخام بملابسهم الرسمية التي تفرضها عليهم التقاليد والصور النمطية وأفلام الحركة: حلل رسمية ونظارات شمسية وسماعات لاسلكية.

عمال نظافة انتشروا في المكان وكأننا كنا في مزبلة قبل ذلك، أو كأنه صباح يوم الوقفة في بيتكم، مع اهتمام خاص بحجرة الاجتماعات، زهور ولافتات ترحيب بالسيد (رجب مدكور). هذا هو إذن. كل هذا استعدادا لزيارة رجب مدكور؟ وحامد العسال، المستشار الهادئ الرصين بهذه البساطة يصير أشبه بموظف مهمل في الحكومة يوم زيارة المدير العام؟

وصل رجب مدكور.

عرف عماد أنه جاء من الجو. زادت الكهرباء في الجو، وتسارع إيقاع الركض، وظهر المزيد من الحيطان البشرية، وهذا ليس مجازا أو سخرية، فقد كونوا بالفعل بأجسادهم حوائط بشرية على شكل ممر يقود إلى حجرة الاجتماعات، بينما عماد وكل الموجودين - باستثناء حامد العسال وشادي - عُزلوا بعيدا عن الممر الذي خلا - للغرابة - من سجادة حمراء.

وقف عماد يراقب من بعيد، ظهر رجب أخيرا في مجال رؤيته.

برميل صغير أصلع ذو لغد فاخر يتدلى حتى صدره، ويرتدي - رجب وليس اللغد - بذلة فاخرة، يقف حامد في استقباله تلك الوقفة نصف المنحنية التي كان الموظف يقفها أمام «الباشكاتب» في الأفلام القديمة.

دخل سعادته إلى غرفة الاجتماعات في هدوء، من دون زفة أو «عوالم» يتراقصن حوله (البساطة مهمة كذلك، ألا توافقني؟)، وخلفه حامد وشادي، وانغلق الباب وغُطي بحائط إضافي مضاد للرصاص من رجال الحراسة، وانفك الممر المؤقت وتوقف حظر التجوال.

ما هذا الهراء؟ لماذا استدعاه حامد إذن؟ أليس هذا هو الاجتماع الذي طلبه لحضوره؟ لا بد أن هناك خطأ ما. ربما نسوه؟

استجمع شجاعته وتوجه إلى حائط السد المواجه للباب، وقال:

ـ المفروض أنني سأحضر هذا الاجتماع.

لم يتلق ردا. لماذا لا ينظرون إليه؟

كرر:

ـ طيب، هلا أبلغتم حامد بك أنني هنا؟ لا أريد أن يظن أنني تغيبت بإرادتي..

أتاه صوت خشن من حنجرة لا بد أن بها من العضلات ما يفوق عضلات جسده هو بالكامل:

ـ سيرسلون في طلبك إن احتاجوك.

تراجع مطأطئ الرأس، وجلس ينتظر.

يمر الوقت بطيئا ثقيلا وأنت تنتظر..

هو جائع، ولم يتناول أكثر من شطيرة مربى مع الشاي. معدته تطلب طعاما حقيقيا - وهذا حقها، فهذا موعد الغداء - لكنه لن يخاطر بترك المكان الآن، فماذا لو استدعوه الآن؟

قهوة. ليشرب بعض القهوة.

أبلغ أحد حجارة سور الصين العظيم أنه سينتظر في المطبخ، وراح يعد قهوته. هناك جاءه صوت شادي يهتف على عجل:

ـ تعال يا عماد. يريدونك في الاجتماع.

ـ هكذا من دون جواز سفر أو تأشيرة دخول؟

قال شادي في غباء:

ـ ماذا؟

ـ لا عليك.

دخل عماد من ثغرة فُتحت له في السور ثم التأمت فور عبوره. هناك كان البرميل مسترخيا على ظهره تحت وطأة كرشه الضخم، بينما جلس حامد العسال أمامه متصلبا، ظهره قائم الزاوية لا يلامس ظهر مقعده، مرتديا على وجهه ابتسامة بلاستيكية واسعة يبدو أنه استعارها من شادي. رمقه رجب مدكور بنظرة متفحصة، ثم قال:

ـ أنت من عملت هذه الضجة لجريدة المرفأ؟

ـ في خدمتك يا باشا.

ـ اجلس يا.. عماد؟ اسمك عماد؟

ـ نعم يا باشا، عماد الصاوي.

قالها واتخذ موقعه في مقعد خال. تلقائيا وجد نفسه يجلس هذه الجلسة المتوترة قائمة الزاوية، حيث ظهره لا يلامس ظهر مقعده، ويرتدي الابتسامة البلاستيكية الواسعة نفسها طراز «شادي». هذه أمور تحدث تلقائيا كما تعلم.

قال له رجب:

ـ أعجبني عملك يا عماد.

ـ شرف لي.. سعادتك.

نعم، هكذا.. أ ضف «سعادتك» أو «سيادتك» في كل جملة.

التملق هنا أسلوب حوار، وليس وسيلة للتسلق.

- قل لي يا عماد.. ما رأيك في ثورة يناير؟

ما هذا السؤال؟ حوار صحفي أم دردشة؟ ما هي الإجابة النموذجية هنا؟ قال:

- أنا أبحث عن لقمة عيشي، سيادتك.
- وما المانع؟ لكن، لا بد أن لك رأيا ما..
- وهذا هو رأيي يا باشا.. أنا أبحث عن لقمة عيشي!

ضحك رجب ضحكة طويلة، ترجرج لها لغده، ثم قال:

- آه.. وهذا هو هدف الثورة في الحقيقة.. لقمة العيش لكل الناس.. أليس كذلك؟

قال حامد بابتسامة عريضة شاسعة لا علاقة لها بالموضوع:

- طبعا طبعا.. لكل الناس!

تنهد رجب مدكور، وقال بلهجة حكيم الزمان، أو مدرس الفلسفة:

- تعرف يا عماد؟ الفلوس ليست كل شيء في الحياة.. حتى في هذا البلد، الفلوس ليست كل شيء. يعني خذ عندك رجل أعمال وطني شريف مثلي، لمجرد أنني خدمت بلدي في الوقت الخطأ أصبحت من المغضوب عليهم.. لا أستطيع أن أعمل بالسياسة.. لا أستطيع أن أستثمر في الصحافة أو الإعلام.. والإعلام كما تعرف أهم حليف لأي عمل ناجح.
- طبعا، سيادتك..
- لذلك، كما ترى، نحن أصحاب قضية عادلة.. نحن نستعيد حقنا المهضوم بطريقتنا.. ولحسن الحظ أن الإعلام الجديد أصبح أقوى وأكثر تأثيرا من القنوات الفضائية والصحف وكل الوسائل القديمة.. وأنت توافقني في هذا.. صحيح؟

ماذا تقول؟ ما هي الإجابة النموذجية هنا؟ الموافقة طبعا.

ـ بالتأكيد.

ـ والإعلام الجديد هذا هو تخصصك.. لعبتك.. هل أصبت؟

ـ نعم.. لو عندنا...

ـ كنت تقول إنك تحتاج مجموعة فرق..

ـ نعم.. إذا كان أمامنا عمليات مشابهة في المستقبل..

ـ وماذا لو حصلت على الفرق المطلوبة؟ إلى أي مدى يمكنك أن تؤثر؟

ـ على حسب.. كم فريقا سأحصل عليه؟

ـ العدد الذي تريده!

ـ في حدود.. كم موظف؟

ـ بدون حدود!

ـ بدون حدود؟ كيف؟ والمكان؟

ـ لا تشغل بالك.. المهم هل ستستطيع إدارته وتدريبه؟

ـ نعم.. طبعا.. لكن كيف؟

ـ المهم، ماذا تستطيع أن تفعل به؟

ـ أي شيء.. أستطيع أن أصنع أي «تريند» في أي وقت.. أستطيع أن أوجه الرأي العام..

ـ الرأي العام.. أين؟

ـ يعني.. سنغطي النطاق المطلوب.. جمهور المذيع، قراء الجريدة، طلاب الجامعة.. حسب العملية يا باشا.

ـ لا.. افهم هذا من البداية: نريد التأثير في الرأي العام بالكامل، على مستوى مصر كلها. هل تستطيع هذا؟

ـ أعتقد.

ـ أنت متردد! خذ وقتك وأعد دراسة الموضوع بدقة في ضوء هذا ثم حدد قرارك.

ـ لا داعي.. أعتقد أنني...

قاطعه حامد بإشارة من يده، وقال بابتسامته الأسمنتية:

ـ عماد، رجب بك قال تدرس الموضوع. خذ وقتك.

قال رجب مدكور مخاطبا عماد، وكأن حامد جهاز «ستيريو» يعمل في الخلفية:

ـ هل تعرفني؟

قال حامد:

ـ طبعا يا باشا. ومن لا يعرف سعادتك؟

التفت رجب إلى جهاز «الستيريو»، وقال مشيرا لعماد:

ـ هو.. لا يعرفني.. أليس كذلك يا عماد؟

***

نعم هو لا يعرفه جيدا. سمع اسمه بالطبع، ويعرف وجهه جيدا، لكنه لا يعرف عنه الكثير. هذا سهل على كل حال. في زمن آخر كان مضطرا للبحث عن كتاب، أو التنقيب عن صحف قديمة، أو سؤال خبير.. أما الآن فكل شيء هناك.. في جيبك. فقط اكتب الاسم. سيدنا جوجل يعرف كل شيء.. سيدنا جوجل يحفظ المعلومات للمشغولين واللاهين وأصحاب الذاكرة الضعيفة ومواليد الألفية الجديدة.

أخرج هاتفه ليبحث، وجد تنبيها من الفيسبوك: «**هبة ذكرتك في تعليق على منشور**».

تريده أن يطلع على شيء ما. فتحه.. منشور عن سارة ربيع. كاد قلبه يتوقف. جرى بعينيه على السطور.. كارثة! هذه كارثة!!

٢٤#

أعاد عماد قراءة المنشور للمرة الثالثة والثلاثين. تامر.. هو تامر بلا شك.

المنشور كله كان مبنيا حول علاقة سارة «الوثيقة» بعماد الصاوي. المنشور نفسه قال إن هذه العلاقة معروفة، وليست سرا، لكن الشيطان كان يكمن في الصياغة التي تلمّح إلى أنها تتردد على بيته سرا.

الآن يفهم.. الآن يتذكر!

ملف «إكسيل» يرسله شخص اسمه وليد رمضان إلى سارة وهو يفاوضها للعمل معه، ويخترق جهازها ويحدد موقعها.

الآن تتذكر هذا؟ أما كان الحذر أفضل؟ ألم يكن من الواضح أن وليد هو تامر؟ هذه هي عاقبة اللعب بالنار.

وكما علمه عماد، طبق تامر القواعد كاملة كما وضعها الأستاذ: خذ الحقيقة وضع فوقها بناءً من الأكاذيب الموجهة.. أكاذيب من طراز أنهما «يعملان سرا في الدعاية والترويج لأجندات فكرية وسياسية ودينية مسممة وممولة من جهات مشبوهة».

«الحملة المريبة التي اشتعلت مؤخرا ضد رجل الأعمال الوطني كمال العسال - شقيق حامدالعسال - حدثت فجأة بعد أيام من الشقاق الكبير الذي دب بين الأخوين، وإثر ترك عماد الصاوي عمله مع كمال

العسال ليرأس شركة الشذى للدعاية والإعلان التي أسسها له حامد العسال خصيصا. إلى هذه الدرجة بلغت به الخسة؟ يرحل بأسرار رب عمله وصاحب الفضل عليه ليتحالف مع أخيه مستغلا خلافهما؟».

«حملة الهجوم على كمال العسال بدأت بمجموعة منشورات على صفحة (سوق العقارات) ومجموعة (حماية المستهلك) و(بيع وشراء كل شيء في القاهرة)، ومنشورات بنفس المضمون وباستخدام نفس الصور على صفحة (سارة ربيع) الشخصية، وهي المعروفة بشهرتها الكبيرة على الفيس بوك. لو فتحنا الصفحات والمجموعات المذكورة سنجد أن (سارة ربيع) مديرة فيها كلها. أي أن هذه الحملة كلها جاءت من مصدر واحد هو (سارة ربيع)»!

واصل عماد قراءة المنشور بأنفاس محبوسة.. المنشور طويل حقا (خطأ فادح، سيحول دون انتشاره غالبا.. ما زالت تنقصك الحرفية يا تامر!).

بعدها يستعرض المنشور - بالراوبط والصور - منشورات بعينها من حساب سارة ربيع الشخصي، ويقتطع بعض الاقتباسات منها، فيفسر أحدها على أنه إلحاد، وآخر على أنه دفاع عن المثلية الجنسية، وثالث على أنه رجعية وتطرف، ورابع على أنه ازدراء للأديان!

إنه يلعب بطريقة (إنه يسبكم جميعا يا قوم، عليكم به!)، لكن بشكل فج ساذج.. أن تتهم أحدا بأنه «شيوعي رأسمالي» فأنت تتهم نفسك بالغباء لا أكثر. لا يمكن أن يأتي هذا الهراء بنتيجة. هكذا طمأن عماد نفسه، خاصة عندما طالع الأرقام تحت المنشور: ٧٤ إعجابا، و٢١ مشاركة، و٥٦ تعليقا.

فتح صفحة كاتب المنشور.. اسمه (أحمد حسن). اسم محايد غير مميز. يبدو من صفحته أنه شخص حقيقي، الصور، المعلومات

الشخصية، المنشورات الأخيرة.. حساب مزيف متقن يا تامر.. فقط نسيت التعليقات.. ثمة تعليقات وإعجابات كثيرة على منشورات أحمد حسن، لكنها كلها من غرباء، لا يبدو أن أحدهم يعرفه شخصيا، ولا يبدو أنه يرد أو يتابع هذه التعليقات.

خطرت له فكرة.. أخذ جزءا من أحد منشورات الحساب، وبحث على جوجل. وجد النتيجة المتوقعة: المنشورات نفسها منسوخة من حسابات أخرى! تامر ليس لديه الوقت أو البال الرائق ليكتب منشورات أصلية لحساباته المزيفة.

عاد إلى المنشور.. الأرقام تتزايد.. ٦٤ مشاركة؟ بهذه السرعة؟

ربما سيتوقف التصاعد قريبا.. منشورات بهذا الطول تثير الملل ولا تجد شعبية.. من لديه الوقت لهذه الثرثرة؟ شاهدوا فيديوهات مرحة لقطط تلعب.. افتحوا إنستاغرام.. تجاهلوا هذا الهراء يا قوم!

لا جدوى.. عدد المشاركات يتزايد. التسارع لا يتوقف. ضربات قلبه تتسارع كذلك. هذا خطر..

١٥٠.. ١٦٨.. ١٩٣.. ٢٢٦.. ٢٨٨.. ٣٠٩.. ٣٤٩.. ما هذا الجنون؟ توقفوا!

نزع عينيه من على العداد نزعا، ونهض ليدعو إلى اجتماع طارئ.. لا بد أن يوقف هذا. توقف فجأة. لا داعي لاجتماع، فلا يوجد ما يناقشونه. هي مهمة واحدة.

عاد إلى جهازه، وكتب بريدا إلكترونيا إلى الفريق بالكامل، مع تعليمات واضحة: حملة بلاغات مكثفة على هذا المنشور وصفحة كاتبه، حتى يُحذف المنشور ويغلق الحساب. حالا وفورا. ضغط «إرسال»، ثم زفر بقلق. والآن ماذا؟ لا، لن ينتظرهم حتى يفتحوا الرسالة. خرج وسط المكاتب، وهتف:

ـ اتركوا ما بأيديكم الآن ونفذوا المطلوب في الإيميل الأخير. الآن وبسرعة.

ـ لكن.. الاستراحة؟

صرخ عماد بأعلى صوته:

ـ لا استراحة. نفذوا هذا أولا.

***

طرق أحدهم الباب وعماد يدفن رأسه بين ذراعيه على المكتب.

دخل صابر يتنحنح. رفع عماد رأسه إليه، فقال صابر بحذر:

ـ تم المطلوب يا باشا. المنشور حُذف والحساب نفسه أغلق.

تناول عماد الفأرة بلهفة، وأعاد تحميل صفحة المنشور، لتظهر الصفحة الحمراء العزيزة (الصفحة التي تبحث عنها ذهبت إلى حيث ألقت)!

ـ ممكن ـ إحم ـ الاستراحة الآن؟ الغداء سعادتك!

ـ طبعا طبعا. سأذهب معكم، أنا أيضا جائع.. ماذا ستأكلون اليوم؟

***

عاد عماد بعد الغداء شاعرا بالارتياح والرضا أكثر من الشبع. دخل المطبخ، وأعد لنفسه فنجان القهوة الأثير، ثم حمله بحرص وتحرك به ببطء، محاذرا أن يبدد سطحه السميك، متخطيا العقبات والصعاب حتى وصل به إلى مكتبه سالما.

قرب أنفه من الفنجان، وراح يتشممه مغمضا عينيه باستمتاع. رائحة القهوة القوية الممزوجة بالحبهان تتخلل خياشيمك وتتسرب إلى خلايا مخك فتنعشك وتوقظك. مخك يصير كجهاز كمبيوتر أعيد تشغيله توا، المعالج متأهب، والذاكرة العشوائية خالية والعتاد بأكمله على أهبة

الاستعداد لتنفيذ الأوامر.

فتح الفيس بوك من جديد.. لا بأس من التأكد. كتب في مربع البحث «سارة ربيع»، وضرب زر الإدخال بقوة. ظهرت النتائج وتوقفت رشفة القهوة في حلقه. سعل حتى دمعت عيناه. حدق في النتائج. أحدهم نسخ المنشور وأعاد نشره على حسابه، (يمكن حذف هذا أيضا كما تم مع المنشور الأصلي)، لكن.. هناك آخر.. وآخر.. وآخر.. ياللمصيبة! عشرات الحسابات أعادت نشر المنشور ذاته. فتح بعض هذه الحسابات.. هذه حسابات حقيقية، وليست مزيفة تابعة لتامر. لقد خرج الأمر عن السيطرة.

ما الحل؟

ما الحل؟

فكر يا عماد.. فكر!

لكل منشور، مهما انتشر، دورة حياة، يتوقف بعدها عن الانتشار، وينطفئ ويُنسى.. فهل يكفي أن ينتظر انتهاء هذه الدورة وانطفاء شعلة هذا المنشور من تلقاء نفسها؟ هل هي زوبعة في فنجان؟

فتح المنشور ذا العدد الأكبر من التعليقات.. يعرف أن هذا لن يفيد، لكنها كتب تعليقا عليه (من حساب مزيف):

«كلام فارغ، سارة ربيع فوق مستوى الشبهات، وأنا شخصيا تعاملت معها مرة وأشهد على ذلك.. بنت محترمة وأخلاق، وليست من هذا النوع.. كفوا عن اتهام الناس بالباطل، وتذكروا أن رمي المحصنات من الكبائر».

ونقر على زر النشر.

أعاد تحميل صفحة البحث ليرى المنشورات الأحدث. المنشورات الجديدة التي ظهرت قضت على كل أمل لديه.. لقد خرج العفريت من القمقم. لقد بدأ التنقيب في صفحة سارة ربيع ومنشوراتها وصورها، تحولت سارة إلى نميمة اليوم.. حديث الساعة.. كل من هب ودب يفتح صفحتها ويدلي بدلوه عما يظنه بشأنها. بزغ الهاشتاغ **#سارة_ربيع** ثم راح يشتعل. نقر على الهاشتاغ ليستعرض المنشورات المشاركة فيه، فوجد مصر كلها مجتمعة هناك في حلقة نقاش حول سارة.. هناك كل تفاصيل حياتها صارت مجالا للتساؤل والحكايات. ملابسها، عيناها، شعرها، لماذا ليست محجبة؟ ومعنى أنها ليست محجبة، وموقفنا منها بما أنها ليست محجبة.. ذوقها في الملابس، وذوقنا في ذوقها في الملابس، وطريقتها في الحديث عن...

هذا كثير.. وخطر.. كل هذا خطر.

فتح عماد تطبيق الرسائل، وبحث عن اسم تامر.. وجد حسابه المميز بصورته الكريهة، وكتب له:

ـ تامر، توقف.. يمكننا أن نتفاهم.

قفزت صورة تامر إلى أسفل رسالته، بما يعني أنه فتح الرسالة وقرأها.

ـ خائف على نفسك أم على حبيبة القلب؟

ـ لا داعي للضرب تحت الحزام، لن أفكر في أن أدخل أمك مثلا في هذه اللعبة القذرة.. سارة خارج الموضوع.

ـ أما أنا فبصراحة أفكر في الأمر.. ربما يأتي دور أمك قريبا! صحيح، هل عندها حساب على الفيس؟

ـ وغد!

ـ هاهاها! احمد ربنا.. المرة القادمة سيُقبض عليكما معا في الشقة ملفوفين بالملاءات!

ـ سترى يا تامر!

ـ سأرى ماذا؟ أنت وهي ملفوفين بالملاءات؟

ـ ستندم.. صدقني.

ـ حاول.. حاول بصدق يا صديقي، فهذه مجرد بداية! أنت انتهيت يا صاحبي.

#٢٥

@آية سعيد:

تامر تتبع جهاز سارة وعرف أنها في بيتك.

@عماد الصاوي:

عرفت.. متأخرا.

@آية سعيد:

كان ممكن أقول لك وقتها، لكني كنت غاضبة منك.

@عماد الصاوي:

مني أنا؟ لماذا؟

@آية سعيد:

لماذا؟ تسأل لماذا؟

@عماد الصاوي:

نعم.. لا أفهم فعلا!

@آية سعيد:

أنت كذبت عليّ!

@عماد الصاوي:

لا والله، لم أكذب.

@آية سعيد:

لا تحلف بالله. أخفيت عني علاقتك بها. كذب هذا أم أنني أخرف؟

@عماد الصاوي:

لا.. لا علاقة بيننا.. شيء كهذا لم أكن لأخفيه طبعا.

@آية سعيد:

والله؟ ولماذا كانت في بيتك إذن؟ شغل كما يقول تامر؟

@عماد الصاوي:

لا.. ليس بالضبط..

@آية سعيد:

يا فرحتي! ليس شغلا.. ماذا إذن؟ جلسة حشيش؟ علاج نفسي؟

@عماد الصاوي:

طيب اهدئي قليلا. ممكن نتقابل لأشرح لكِ؟

@آية سعيد:

تشرح ماذا؟ علاقتك الأخوية بها؟ صداقة أفلاطونية؟ «فريند زون»؟ هل تظنني غبية؟

@عماد الصاوي:

لا شيء من كل هذا.

@آية سعيد:

ماذا إذن؟

@عماد الصاوي:

الموضوع معقد والله..

@آية سعيد:

فعلا؟ طيب.. أتركك إذن تتصرف في مشاكلك وتعقيداتك، وأخرج أنا منها.. ستصير الأمور أبسط كثيرا بدوني.

@عماد الصاوي:

آية. سأخبرك بالحقيقة، لكن.. لا تغيري فكرتك عني.. أنا لست فخورا بهذا.. لم أعد..

@آية سعيد:

فكرتي تغيرت يا عماد. ولست مضطرا لإخباري بأي شيء.

@عماد الصاوي:

افهمي. لم تكن هناك أية فتيات في بيتي.

@آية سعيد:

ألم أقل لك؟ تظنني غبية!

طبعا ستقول إنك خدعت تامر وإنه لم يخترق جهازها فعلا، أو أي شيء آخر من هذه الخزعبلات التقنية التي لا أفهمها.

@عماد الصاوي:

بل اخترق جهازها، وكان في بيتي.

@آية سعيد:

هكذا؟ سأموت من الفرح!

@عماد الصاوي:

لكن لا سارة في الموضوع. أنا الذي كنت أستخدم الحساب.

@آية سعيد:

آه. هذه كذبة أوسع!

@عماد الصاوي:

أنا لا أكذب، هذه هي الحقيقة.

@آية سعيد:

هل تريد أن تقنعني أنها ستعطيك كلمة مرور حسابها بهذه البساطة؟ واحدة في مثل شهرتها لا يمكن أن تفعل هذا.

@عماد الصاوي:

لا، هي لم تعطني شيئا. هذا حسابي أنا!

@آية سعيد:

ماذا تعني؟

@عماد الصاوي:

هذا حساب مزيف أديره بنفسي.. أنا سارة ربيع!

@آية سعيد:

كيف؟ وسارة؟ كيف تركتك تزيف حسابا باسمها؟

@عماد الصاوي:

لا توجد سارة.. أنا أنشأت هذا الحساب.

@آية سعيد:

مستحيل! وعلاقاتها؟ ومعارفها؟ والناس الذين تعاملوا معها؟

@عماد الصاوي:

كذب.. كله كذب.. لا أحد رآها من قبل. أنا صنعت كل هذا.. أنا جعلتها مشهورة.

@آية سعيد:

كيف؟ ولماذا؟!

@عماد الصاوي:

كانت لعبة.. كنت أجرب طرقا مختلفة للانتشار على السوشيال ميديا، قبل حتى أن أعمل مع كمال العسال. تجاربي مع هذا الحساب نجحت وأصبح «مؤثرا» على الفيس بوك.. أبقيته سرا لنفسي وكنت أستغله كلما احتجته في التسويق أو العمل.

@آية سعيد:

هل تعتقد أنني سأصدق كل هذا؟

@عماد الصاوي:

اكتبي رقما.

@آية سعيد:

رقم؟

@عماد الصاوي:

نعم، اكتبي أي رقم. سأثبت لكِ حالا.

@آية سعيد:

٨٧٤٩٣٩

@عماد الصاوي:

أرسلتُ لك الرقم نفسه من حسب سارة. وصل؟

@آية سعيد:

نعم.

@عماد الصاوي:

هل صدقتني؟

@آية سعيد:

لا أعرف!

@عماد الصاوي:

كيف أثبت لكِ؟

@آية سعيد:

لا يهم. لا أريد إثباتا. لكن.. كل هذا خرج عن حده. قلت لك من قبل إن هذا العبث خطر..

@عماد الصاوي:

أعرف.. رأيت بنفسي والله.. لكنني تورطت. الخروج من كل هذا ليس سهلا.

@آية سعيد:

احذفه.

@عماد الصاوي:

أحذف ماذا؟

@آية سعيد:

احذف هذا الحساب فورا.

@عماد الصاوي:

كيف؟ هل تعرفي عدد متابعي هذا الحساب؟ كم سنة وأنا أبنيه؟ كل هذا عملي وجهدي.. أترك كل هذا يضيع؟

@آية سعيد:

أفق لنفسك يا عماد. كل هذا خطأ.. وخطر.. تخلص منه وانج بنفسك.

@عماد الصاوي:

لكن ماذا سأفعل بعد ذلك؟ ماذا سأعمل؟

@آية سعيد:

ستجد عملا.. أي عمل لا يتضمن خداع الناس وتضليلهم.

@عماد الصاوي:

لكن.. لماذا لا أترك الحساب هكذا؟

@آية سعيد:

سيصلون إليك.. هل رأيت الحملات الأخيرة على السوشيال ميديا؟ الصحافة بدأت تتكلم اليوم، وقريبا سيصل إلى الفضائيات.. سيصلون إليك حتما.

@عماد الصاوي:

مصيبة فعلا. رأيك أحذفه فعلا؟

@آية سعيد:

احذفه فورا! وتوقف عن كل هذه الألاعيب.. اترك هذا العمل.. إن كنت تريدني حقا.

@عماد الصاوي:

سأفعل. دقيقة.

@آية سعيد:

؟

@عماد الصاوي:

تم. أوقفت تفعيل الحساب. لكن حذفه نهائيا سيأخذ بعض الوقت.

@آية سعيد:

احذفه.

@عماد الصاوي:

سأفعل.

أرجو أن يكفي هذا.

***

#٢٦

بهذه البساطة تنتهي سارة.

تحفته الفنية التي صنعها بنفسه بإتقان شديد. سارة التي جمع أفكارها ومنشوراتها من لغات مختلفة، ومن أدباء مختلفين.. نسخ منشورات وسرق مقاطع من كتب وأعمال أدبية، وأعاد صياغتها وقدمها في شكل منشورات جذابة كسب بها المزيد من الشعبية.. سارة التي جاءت صورها وفيديوهاتها من البرازيل مثيرة جذابة لتثير الحسد والانبهار وتكسب المزيد من الجماهيرية.. سارة، سر أسراره الذي انكشف أخيرا. لكن القصة لم تنته بحذف حساب سارة كما كان يأمل. هذا زمن لم يعد مجديا فيه أن تحذف أي شيء من الإنترنت؛ الخبر الذي يفضحك سيبقى خالدا مخلدا مهما فعلت، صورتك العارية التي خرجت للفضاء الإلكتروني لمدة دقيقة واحدة ستواصل الانتشار إلى أبد الآبدين، هذه مواد لا تفنى ولا تستحدث من العدم.. حذف منشورات عن سارة، بل وحذف سارة نفسها لن يوقف «التريند».. «التريند» عاصفة تجتاح المدينة، ومن العبث أن تقطع الكهرباء متصورا أن الظلام سيوقفها.

وكعادة كل «تريند»، ظهرت بعد فترة تلك النوعية من المنشورات التي تلخص القصة بالكامل لمن لم يلحقها من البداية. هل تعاني من الفومو FoMO (الخوف من فوات الشيء)؟ كلهم يتحدثون ويثرثرون

عن سارة ربيع وأنت لا فكرة لديك عمن تكون هذه؟ نحن نعطيك الحل السريع، منشورا وافيا يلخص كل شيء، فقط لا تنس الإعجاب والمشاركة مع أصدقائك والإعجاب بالصفحة ووضعنا في قائمة المشاهدة أولا وبالمرة مشاهدة منشوراتنا الأخرى والاشتراك في قناتنا على اليوتيوب وتفعيل الجرس و...

عادةً تبشر هذه النوعية من المنشورات بقرب نهاية دورة حياة «التريند»، وهذا ما انتظره عماد، لكن هذه السلسلة الجديدة من المنشورات نفخت فيه الحياة من جديد، وأعادت هاشتاغ **#سارة_ربيع** إلى الصدارة.. صور ومنشورات وقصص قديمة تدور حول سارة، تساؤلات وتكهنات ونظريات مثيرة للجدل حول حقيقة هويتها، قصص غريبة عن وحول ومع سارة.. قصص مختلقة - غالبا - لكنها أحيت الذكرى وأطالت عمر الهاشتاغ.

هل قصتك عن سارة مزيفة؟ لا يهم، ستضمن الانتشار لمجرد أنها حول سارة ربيع، فقط لا تنس كتابة هاشتاغ **#سارة_ربيع**.

ينبري كل شخص ليروي قصته عن أزمة حدثت له، ولم ينقذه فيها إلا تدخل سارة بالمساعدة والكتابة عنها على السوشيال ميديا، فعاد له حقه. مشكلة حدثت له مع هذه الشركة التي نصبت عليه وأكلت عليه حقه، وكتب يشكو على الفيس بوك بلا جدوى، لكنه عندما راسل سارة وشاركت قصته على صفحتها انتشرت قضيته واتصلوا به واعتذروا له وأعادوا له حقه.. إلخ.

التقطت الصفحات الساخرة ظاهرة المنشورات الجديدة عن سارة «المنقذة»، وبدأت تنتج «الكوميكس» الساخرة، تصورها كبطل خارق يتدخل ليساعد الناس في كل كبيرة وصغيرة في مشاكل الحياة؛ لا تستطيع الوصول إلى نهاية طابور الخبز؟ بائع الكبدة لا يملأ السندوتش؟ سائق سيارة الأجرة لا يعطيك الباقي؟ أمك تصادر نقود عيديتك؟ لا تقلق،

دائما سارة تأتي لتتدخل وتعيد الحق إلى أصحابه.

هذه المرة انتبه الإعلام للأمر أكثر، وبدأ يتناول «التريند» الجديد ويتساءل عن هوية سارة. راح الصحفيون ومعدو البرامج يبحثون عنها ويسعون للتواصل معها عن طريق حسابات أصدقائها على الفيس بوك (أو من كانوا كذلك قبل حذف حسابها)، لكن كل هذا كان بلا جدوى. حتى من كانوا يقولون من قبل إنهم يعرفونها عن قرب وإنهم تعاملوا معها كثيرا وسعدوا بلقائها.. إلخ، اتضح أنهم جميعا التقوا بها فقط على الفيس بوك، وتحدثوا معها فقط عبر برامج المحادثة الفورية لا أكثر. أليس هذا مريبا؟

***

عماد كان هناك في مكتبه يتابع في صمت، ولا يدري ماذا يفعل.

أتى عاصم وقال له:

- بعض الحسابات تتلقى رسائل متكررة، كلها تسأل عن سارة.
- تجاهلوها. لن نردّ.
- معظمهم صحفيون أو معدو برامج يطلبون مقابلة معها.
- لن نردّ.
- لكن.. لماذا لا نستغل الأمر لصالحنا؟ يمكننا كسب الشهرة لبعض الصفحات أو لشركتنا نفسها.. هذه فرصة لا تعوض، ونحن الوحيدون الذين لدينا...

صاح عماد:

- قلت لن نردّ!

أطرق عاصم برأسه مترددا، ثم قال:

- كما تريد! لكن.. هناك أيضا اتصالات هاتفية.
- ماذا؟

- اتصالات بأرقام الهواتف المربوطة بحسابات الفيس بوك التي كانت صديقة لسار...

هب عماد غاضبا وصرخ:

- ماذا تقول؟!

اندفع خارجا من مكتبه ووقف وسط مكاتب الموظفين وصرخ فيهم كالمجنون:

- أتربطون أرقام هواتفكم بحسابات مزيفة؟ وتتركونها مرئية؟ هل أنتم مجانين؟
- لكن.. الفيس بوك كان يطلب هذا وكنا نظن...
- احذفوا هذه الأرقام الآن.. فورا!

عاد إلى مكتبه يتنفس في صعوبة. يجب أن يجد حلا.

***

منشور على الفيس بوك:

@زينب عبد الجواد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)..

إنا لله وإنا إليه راجعون. بمزيد من الحزن والأسي ننعى الصديقة العزيزة والإنسانة النادرة سارة ربيع، التي توفيت أمس إثر معاناة طويلة مع مرض السرطان، كان قد أبقاها منعزلة عن مقابلة الناس أو الظهور علنا في الشهور الأخيرة. سائلين المولى عزّ وجل أن يرحمها ويتغمدها في واسع رحمته ورضوانه وأن يلهم أحباءها الصبر والسلوان.»

@آية سعيد:

فعلا؟ إعلان وفاتها؟ هذا هو الحل؟

@عماد الصاوي:

عندك حل آخر؟ الموضوع يكبر كل يوم.

@آية سعيد:

وهذا لن يوقفه.. سيكبر أكثر!

@عماد الصاوي:

لم أعد أدري شيئا.. لم أعد أعرف ماذا أفعل.

ليحدث ما يحدث.

***

منشور على الفيس بوك:

@فؤاد محمد:

«أين سارة؟ أين دفنت؟ أين كانت جنازتها؟ هل كانت مصابة بالسرطان حقا؟ أين كانت تتلقى العلاج؟ أين أهلها؟ هل ماتت الآن فعلا؟ الآن بالتحديد؟ هل هذه مجرد صدفة؟ فجأة هكذا بعد كل الكلام الذي أثير حولها، وحول عملها مع حامد العسال ضد كمال العسال، وبعد حذف حسابها؟ هل كل هذه مصادفات؟

هل سارة ماتت فعلا؟ أم أنها اختطفت؟ أم - ربما - قُتلت؟

#سارة_ربيع».

***

منشور على الفيس بوك:

@رانيا عصام:

«لم أعد أتحمل كل هذه الحملات على اسم (سارة). لماذا لم نعد نحترم الموت؟ لماذا تُنتهك خصوصيتها حتى بعد الموت؟ يخوضون في سيرتها وينهشون لحمها ويهزأون بسمعتها حتى وهي في قبرها؟

سارة برغم تأثيرها على السوشال ميديا كانت فتاة بسيطة رقيقة بعيدة عن كل هذه القذارات التي تحدث باسمها وحولها. عانت كثيرا في أواخر أيامها من مرض السرطان، ثم استراحت.. كانت.. وماتت، فاتركوها ترتاح في قبرها واقرأوا لها الفاتحة يرحمكم الله.

#سارة_ربيع».

***

منشور على الفيس بوك:

@نرمين الديب:

«بأي ذنب قتلت؟

لا أقول إنها قتلت بالتأكيد، فأنا لا أعرف. لكن هل سارة ماتت فعلا؟ هل هناك دليل على ذلك؟ هل صدرت لها شهادة وفاة رسمية؟ كل هذه الضجة ولم يستطع صحفي واحد الحصول على دليل وفاتها؟ وإن لم يحدث، فما الموقف القانوني هنا؟ متى تتدخل الأجهزة الأمنية؟

حتى لو كانت سارة ربيع متورطة في عمل غير أخلاقي، وحتى لو كانت، كما قيل، تدير صفحات وحسابات لصالح جهات مشبوهة (وهي كلها أقاويل لا سند لها) لماذا لا تُحاسب بالقانون؟ هل عقابها يكون بقتلها؟ مسحها من الكوكب؟

لماذا لم تظهر سارة، قبل وفاتها المزعومة، لترد على كل ما قيل عنها؟

هل هي زاهدة في الشهرة مثلا؟ تكره الظهور الإعلامي؟ كيف وهي أساسا تعمل في مجال التسويق؟

أين اختفت سارة؟ هل اختطفت أم قتلت أم ماتت حقا؟ أين أصدقاؤها وأهلها من كل هذا؟ لماذا لم يتكلم عماد الصاوي، المعروف بأنه كان يعمل معها في الفترة الأخيرة؟ من له مصلحة في اختفاء سارة؟

#سارة_ربيع».

***

دوت الطرقات على باب المكتب. فتح صابر الباب، فاقتحم رجال الشرطة المكان.

في مكتبه وجد عماد هذا الضابط أمامه، يسأله بصرامة:

ـ أنت عماد الصاوي؟

ـ نعم.

ـ تفضل معنا.

ـ لماذا؟

ـ نريدك!

ـ ممكن أفهم لماذا؟

ـ سعادتك متهم بالقتل!

ـ أنا؟ مستحيل!

ـ تفضل بهدوء.

وكما في الأفلام العربية القديمة، أشار بيده فبرز عملاقان من العدم، واقتاداه إلى مصيره المجهول.

***

٢٧#

كانت فكرة عماد عن الحبس والتحقيق لا تتجاوز ما رآه من قبل في الأفلام والمسلسلات، كان يتوقع غرفة مظلمة خالية إلا من طاولة في الوسط، مع كشاف ضوء قوي مسلط على وجهه يغشي عينيه.. كلاب شرسة تنبح، وسجائر تُطفأ في الجسد، وأظافر تُقتلع و...

لكنه لم يكن يعرف شيئا عن انتظار كل هذا.

هنا وجد الكثير من الانتظار.

الانتظار.. الانتظاااااار.

السينما اللعينة لم تذكر شيئا عن الانتظار.

يجلس مقيد اليدين بالأغلال في غرفة واسعة، بينما النبطشي (الذي لا يعرف رتبته، لأنه - عماد - لا يفهم في هذه الأشياء) يكتب المحاضر للمتهمين والمقبوض عليهم واحدا تلو الآخر.. جو روتيني يشبه جو مكاتب الموظفين في المجمع.

الساعات تمر ببطء، وأنت جالس هناك من دون هاتف يسليك.. ثم أكثر ما يرعبك: أنت لن تعود لغرفتك اليوم. لن تضطجع لتشاهد حلقة من مسلسلك، ولن تنام في سريرك.

لم تحدثه السينما عن التعذيب بالانتظار.

هنا لا ينتهي الانتظار إلا بمرحلة جديدة من انتظار جديد. انتظار واضح محدد يليه انتظار أسوأ لأجل غير معلوم.. يُلقى في غرفة حبس ما، خالية من كل شيء، حيث يبدأ الانتظار الحقيقي. كل ما فات كان لهوا.

هنا جرب عماد ذلك بنفسه. لم يسأله أحد عن شيء بعد، لكنه - في عقله - يتمسك بالرفض العنيد ويصر على إنكار معرفته بأي شيء. سيقول: أنا بريء فاتركوني أرحل.

الانتظار والملل والتوتر والقلق والضغط على الأعصاب.

يعيد النظر في موقفه ثم يتمسك بقراره، ثم يعيد التفكير، ثم يفكر في رعب فيما سيحدث له لو اعترف، ثم يعود للرفض، ثم الضعف والخوف والملل وانهيار الأعصاب، ثم الرغبة في إنهاء كل شيء بأي ثمن، ثم.. قرار بالاعتراف طواعية في النهاية.

هل يعرف المحققون كل هذا؟ لماذا يتعبون أنفسهم بالضرب والتعذيب إذا كان الانتظار يقوم بكل شيء هكذا؟

هل يفعل الانتظار هذا في الجميع أم أنه أكثر الخلق هشاشة؟

ينتظر وينتظر، حتى يفقد الإحساس بالوقت. هل مرت ساعات أم أيام؟

أنا مستعد والله! مستعد للاعتراف بكل شيء فورا، فهلا أتيتم لتسمعوني؟

***

قال عماد للضابط:

ـ ما تهمتي بالضبط؟

قال الضابط بتلك الطريقة الودود التي تخيف أكثر مما تطمئن:

ـ أنت متهم بقتل سارة ربيع.. أو اختطافها! لا نعرف بالضبط أنت ستخبرنا بنفسك. نعرف أنك تريد أن تتعاون معنا.. أليس كذلك؟

قال عماد:

ـ أتعاون نعم، لكن.. أنا لم أقتلها ولم أختطفها.

ـ أنت الوحيد الذي كنت على اتصال بها في الفترة الأخيرة، قبل اختفائها.. هي كتبت ذلك على حسابها على الفيس بوك، هل تنكر ذلك؟

ـ لا، لكن...

ـ ماذا تعرف عن سارة ربيع؟

ـ زميلة عمل.. كانت.

ـ هكذا؟ طيب، ماذا تعرف عن عصمت أبو رية.. صاحب السايبر في (سمادون)؟

امتقع وجه عماد لسماع الاسم وقال:

ـ عصمت؟

ـ أنت حكايتك كبيرة يا عماد! لن نتحدث الآن عن «الخلية» التي شكلتها في السايبر..

ـ خلية؟ ياللنهار الأسود!

ـ ... سنؤجل ذلك لجلسة منفصلة.. دعنا نبدأ بهذه الفتاة، قصة حبك القديمة، أيام المدرسة الثانوية.. عصمت قال إن اسمها كان.. (ثريا ربيع)؟

- عصمت قال هذا؟
- وبعدها سألك عنها فأخبرته أنها...
- ماتت.

ضرب الضابط بكفه على المكتب، وقال:

- بالضبط.. ماتت أيامها في حادث انهيار عقار، ثم ماتت الآن من جديد، بالسرطان هذه المرة. كيف ستموت المرة القادمة في رأيك؟
- لا أحد يموت مرتين.
- حقا؟ طمأنتني يا رجل! تكلم إذن!
- ما السؤال؟
- ماذا تعرف عن سارة يا عماد؟
- أعرف الكثير.
- إذن.. تفضل.. تكلم.
- كل شيء؟
- لو تكرمت!
- سأقول كل شيء بصراحة.. لكنني.. لا أجيد الاختصار.

مد الضابط ذراعه في الهواء، فناوله أحدهم رزمة أوراق وقلما، وضعهما أمام عماد وقال آمرا:

- اكتب كل شيء. نحن لا نحب الاختصار!

***

كتب عماد:

«اسمها أصلا ثريا حسن ربيع، من قريتي سمادون مركز أشمون محافظة المنوفية. أنا اخترت لها اسم سارة، لأنها كانت تكره اسم ثريا، لكن لا أحد غيري كان يناديها به.

أبوها كان طبيبا، وكان كثير التنقل بين البلد وبين مصر - نحن نسمي القاهرة مصر، كما تعرف - وكانت هي وأسرتها يسكنون بجوارنا، فتربينا معا منذ الطفولة. وكما كان يحدث كثيرا في هذه الأيام كان الأهل يتفقون مسبقا على مَن سيتزوج ممن منذ الطفولة، فلان لفلانة وفلانة لفلان، هكذا يكبران وهما يعرفان - والجميع يعرف - مصيرهما، هكذا كنا نسمع أن هناء لطارق، ورشا لبدر، وسعاد لمحمود.. أنا وسارة كنا نتساءل: ونحن؟ قالوا لنا: ليس بينكما صلة قرابة، فلا يمكن.. قالوا لنا إن أباها ليس مثلنا، حياته مختلفة، ومصيرها لحياة المدينة في النهاية.. كانت في وسطنا «بنت المدينة».

كانت مختلفة، لكنها كانت تحبني كما كنت أحبها.

قالت لي إنها في المدينة كانت مختلفة كذلك، وهناك يسمونها «بنت القرية»!

سألت أبي: «لماذا أنا وسارة لسنا مخطوبين كالآخرين؟»، فقال لي: «نحن فلاحون، وسارة ستسكن في المدينة في النهاية». قلت له: «لكنني أحبها، وهي تحبني!»، ضحك وقال لي: «اهتم بدروسك إذن، وتفوق وسافر إلى مصر، وتزوجها». قلت له: «وأترك البلد؟ وأمي؟ وإخوتي؟ وأنت؟».. ابتسم في إشفاق وقال شيئا عن جحا الذي سئل عن بلده فقال إنها البلد التي فيها زوجته!

لا أعرف الآن هل كان أبي جادا، أم أنه كان فقط يُرجئ الصدام؟ المهم أنني صدقته، وأخبرت سارة، واتفقنا..

كبرنا معا على هذه هي الخطة.. خطة حياتنا معا. منذ ذلك الحين وحتى المدرسة الثانوية كانت تدرس في مصر وأنا في سمادون. كانوا يرجعون إلى البلد لقضاء الإجازة، فكنت أقضي الصيف كله معها.. كنت أريها الحقول والأشجار، وأصطاد لها الفراشات واليعاسيب، نجلس معا بالساعات تحت الأشجار وسط أحواض الريحان.. رائحتها كانت كالريحان، أو.. ربما هي رائحة لقاءاتنا! كنت أحدثها عن كل هذا وكأنها غريبة فعلا، لكنها كانت سعيدة بكلامي وكأنها لا تعرفه.

في الإجازة الأخيرة لم تأتِ. كنت قد انتهيت لتوي من امتحانات الثانوية العامة، وأتأهب بشوق للانتقال إلى الجامعة في مصر، حتى أصير معها، بقربها.. كنت سأراها كل يوم، برغم أنني أسبقها بسنة، وستظل هي في المدرسة لعام آخر..

لكنها لم تأتِ، ولم ترد على رسائلي.

كنا قد عرفنا البريد الإلكتروني، وكنا نتراسل كثيرا، وأحيانا نتكلم عبر «الماسنجر» عندما نجد الفرصة، لكنها توقفت عن الرد.

كنت أعرف عنوانها في فيصل بالجيزة في مصر، لكنني لم أكن أعرف أين الجيزة أو فيصل هذه.. بحثت على الإنترنت، فوجدت أمامي خبرا مفجعا عن حادث سقوط عقار في فيصل، في نفس توقيت انقطاع مراسلاتها تقريبا. جن جنوني. سألت الناس في البلد، لا أحد يعرف شيئا.

قررت الذهاب بنفسي. قروي تائه لم يغادر البلد من قبل، أسافر وحيدا بقروشي القليلة، أتقصى أثرها هناك.. وهنالك كانت صدمتي: لقد ماتت.. ماتوا جميعا.

لم أصدق ما حدث.. عقلي لم يستوعب.

عدت إلى البلد. كنت أجلس في «السايبر» بالساعات أمام بريدي الإلكتروني أنتظر منها رسالة لا تأتي، أتعلق بأمل واهٍ في أن يكون هناك خطأ ما.

رحت أتصفح رسائلها القديمة، فعثرت على دعوة قديمة منها.. «طلب صداقة» على موقع جديد - كان جديدا وقتها - اسمه «فيس بوك»، كانت قد حدثتني عنه في المرة الأخيرة، ولم أفهم فيم يختلف عن البريد الإلكتروني، لكنها أصرت أن نجربه معا.. قلت لها إنني سأفعل بعد الإجازة، فوقتها كنا معا بالفعل ولسنا بحاجة للإنترنت.

عندما عثرت على صفحتها على الفيس بوك شعرت بأنني وجدتها من جديد.. صور جديدة لها لم أرها من قبل، أغان كانت تحبها، أشعار وخواطر كتبتها هي.. عني.. من دون أن تذكر اسمي.

لا بد أنني أصبت بالجنون وقتها.. قبلت طلب الصداقة ورحت أكتب لها. لم تكن ترد طبعا.. في البداية. ثم خطرت لي الفكرة.

جربت الدخول بحسابها، ونجحت.. كانت كلمة المرور هي اسمي.. اسمي أنا!

كنت أكتب لها، ثم أرد على رسائلي من حسابها.. أنشر على صفحتها من حسابي، وعلى صفحتي من حسابها.. نتبادل التهنئة بعيدي ميلادنا كما كنا نفعل في الماضي. عادت إليّ حياتي، وصار وجودها معي أقوى من الواقع ذاته.. لم أعد أميز بين الحقيقة والوهم.. هل كانت الحادثة كابوسا راودني عندما مرت الإجازة بدون زيارتهم؟ أمي كانت جزعة بشأني.. كانت تبكي كلما رأتني.. كانت تبخّرني وتقرأ القرآن فوق رأسي وأنا نائم وكأنها تراني ممسوسا، حتى أنها - وهي الأمية التي لا تقرأ - كانت تريدني أن أزور طبيبا نفسيا!

بعدها كان لا بد أن أنتقل إلى مصر لأدرس في الجامعة، انغمست في دراستي، وتعلمت كيف أعيش بدونها.. بدون سارة.

لكنني احتفظت بحسابها.. فقط غيرت ملامحه. غيرت الاسم إلى (سارة ربيع)، وحذفت أصدقاءها القدامى وأضفت غيرهم، وحذفت بعض المنشورات وأضفت غيرها.. وحتى الصور وضعت صورا مستعارة لفتاة أخرى. كلها صور أخذتها من صفحة فتاة برازيلية على الفيس بوك اسمها (ماري). وجدت ملامحها تشبه المصريين، وصفحتها غنية بالصور والفيديوهات.. كانت مصدرا لا ينضب للصور، وكلها صور جميلة حقا.. كل صورة جديدة كانت تجلب مائتي متابع جديد على الأقل.. عندها بدأت سارة تكتسب شعبية لم أفهمها.. لكنها فتنتني.. صارت هذه لعبتي الجديدة.

كنت أجرب في الحساب كل طرق زيادة الشعبية التي قرأت عنها في الإنترنت.. منشورات ومقالات مثيرة، جذابة، مؤثرة، مفاجئة، مضحكة، صادمة، صور، فيديوهات..

صارت سارة هوسا شخصيا.. بنيت حولها عالما كاملا.. كنت أحولها إلى شخص حقيقي.. غزلت حولها دائرة أصدقاء ومعارف.. كلهم مزيفون.. كلهم أصدقاء ماري البرازيلية الذين يظهرون معها في الصور. أعطيت لكل منهم اسما وأنشأت له حسابا جديدا باسم جديد.

لا أعرف لماذا تماديت إلى هذا الحد.. في البداية كانت مجرد لعبة.. تسلية.. ربما دواء لصدمتي.. ثم تحولت إلى هوس.. حتى تحولت سارة إلى الحل السحري الذي يفتح لي الأبواب المغلقة.. كانت تتلقى عروضا سخية لمجرد مشاركة منشور أو الكتابة عن منتج في صفحتها.. عندها أدركت أهمية تحول سارة إلى «مؤثرة».

رحت أقرأ وأدرس كل شيء عن المحتوى الفيروسي والحسابات المؤثرة.. لم أترك فكرة أو مجالا يزيد من شعبيتها إلا وكتبت فيه منشورات.. سرقت منشورات مجربة النجاح من حسابات أجنبية بعد تمصيرها.. ترجمت مقاطع أدبية إلى العامية المصرية على أنها من تأليفها.. أعلنت على حسابها أنها مريضة بالسرطان لكسب المزيد من التعاطف والشعبية، ولتبرير رفضها المستمر لمقابلة الناس.

حاولت أن أفعل المثل بحسابي الحقيقي، لكن الوقت كان قد فات، كنت قد استثمرت الكثير في حساب سارة وشبكتها بالفعل، وكان من الصعب أن أبدأ من جديد. لم يعد عندي حتى الوقت الكافي لأفعل.. كما أن سارة كانت هناك، تساعدني في كل شيء.. إلى أن ثارت هذه الضجة، وخرجت الأمور من يدي، فأغلقت حسابها وأعلنت وفاتها».

***

وضع الضابط الأوراق، وهز رأسه بحيرة، ثم قال:

- أنت في ورطة كبيرة.
- لماذا؟ أنا لم أخالف القانون!
- ربما. لكنك ارتكبت جريمة.
- أنا لم أقتل أحدا!
- انتحلت شخصية سارة ربيع.
- على الفيس بوك! مجرد لهو.. اسم مستعار ليس أكثر. كل الناس يفعلون هذا طوال الوقت، يستخدمون حسابات بأسماء مستعارة طوال الوقت.. ولا يوجد قانون يمنع هذا.. إذا لم يكن الأمر ممنوعا في القانون فهو ليس جريمة.
- أو أسوأ من الجريمة.
- كيف؟ هذا.. هو القانون.
- لكنها ليست العدالة.. ستبقى معنا، وسنرى الموقف القانوني.

- أنت تتلاعب بالعدالة.
- أنت الذي تتلاعب بالقانون.. هناك مطالبات الآن لسنّ قوانين جديدة لتجريم ما فعلت.
- حتى الآن لا يوجد.
- وفّر هذه الألاعيب للمحامي! الآن ستسلمنا كل الحسابات وكلمات المرور الخاصة بك وبشبكاتك.. وبسارة.

قالها، وهو يشير إلى الأوراق المتبقية أمام عماد.

حدق عماد في الأوراق البيضاء في رهبة. هنا يجب أن تترك لهم كل شيء.. تتنازل عن كل أسرارك.

تناول الضابط القلم وقال وهو يلوح به في وجه عماد:

- مشكلتك حتى الآن جنائية يا عماد.. لكن، هل تعرف التصنيفات الأخرى التي يمكن وضع قضيتك تحتها؟

ارتجف عماد.. لا يعرف، لكنه يستطيع أن يتخيل.

- أكمل تعاونك معنا للنهاية. صدقني، نحن خيارك الأمثل.

أطرق عماد. ربما هذا هو خياره الأمثل فعلا. ليس فقط لينجو من الحبس، وإنما ليخرج من كل هذا المستنقع.

سيحرق سفنه أخيرا ويبدأ من جديد.

الآن سيستطيع أن يقولها لآية.. الآن سيبدأ من جديد، برغم أنفه. خوفك المرَضيّ من فقدان ملفات مهمة في جهازك عند تثبيت «ويندوز» جديد من دون أخذ نسخة احتياطية، لا يريحك منه إلا احتراق القرص الصلب.. يخلصك من خوفك إلى الأبد بالطريقة الصعبة، يعطيك بداية جديدة برغم أنفك. قال عماد:

ـ سأعطيكم ما تريدون لكن.. هل سأخرج من.. هذا؟

ـ هل تريد أن تخرج حقا؟

ـ نعم. أريد هذا.. أريد بداية جديدة.

ـ إذن أعطنا كل شيء. لا تحتفظ بأسرار أخيرة. عيوننا ستظل عليك، وليس من مصلحتك أن تخفي شيئا..

تناول عماد القلم، وبدأ يكتب من جديد.

#٢٨

كيف ستسير الأمور بعد ذلك؟

هل سيضعونه في «حجز» أو «زنزانة» ما؟ هل سيرحّلونه إلى النيابة؟ هل سيطلبون منه توكيل محام؟ هل سيعطونه الحق في مكالمة هاتفية؟ لو فعلوا، فمن سيكلم؟ أمه أم آية؟ لماذا تركوه كل هذا الوقت في هذه الغرفة؟

للمرة العاشرة يعيد قراءة الورقة التي سوّدها بالكامل.

لقد كتبت كل ما طُلب مني، تعالوا خذوه. ماذا أنتظر الآن؟ ماذا سيحدث بعد ذلك؟ تعالوا واشنقوني الآن، لكن بسرعة من فضلكم.. فقط دعوني أخرج من هنا!

لقد كانت آية على حق. لن أعود إلى سيرتي الأولى. لا مزيد من الشبكات. لا مزيد من الصراعات أو المؤامرات.. لا مزيد من تامر أو كمال العسال أو حامد العسال.

تُرى أين حامد العسال من كل هذا؟ هل سيتخلى عنه ويتبرأ منه خوفا على سمعته، أم سيوكل له محاميا؟ لا بد أنه جنح للخيار الأول، وإلا فلماذا تركه كل هذا الوقت؟

سمع أصواتا، ولاحظ تحركات غريبة في الخارج، ثم دخل عليه ضابط جديد بصحبة عملاقين آخرين (لديهم الكثير من العمالقة هنا، ما شاء الله)، اصطحباه إلى الخارج.. وكأنه بحاجة إلى اثنين من هذه العينة لاقتياده!

إلى أين يأخذونه هذه المرة؟ ولماذا أعطاه الضابط ورقته التي كتبها وتركه يحتفظ بها؟ لماذا أخرجوه من المبنى من باب آخر غير الباب الرئيس؟ لماذا اقتادوه إلى سيارة (ملاكي) ذات زجاج مظلم، وبدون أغلال حديدية في يديه؟

هل هذه هي الإجراءات المعتادة؟

لا تبدو كذلك. وإن كانت هذه إجراءات غير معتادة، كما يشعر، فما معنى هذا؟ هل هذا إخلاء سبيل أم تصعيد؟ هل هذا جيد أم سيء؟ لم يكن يعرف شيئا. فقط كان يشعر أنه مشرف على شيء كبير.. حياته كلها متعلقة بما سيحدث الآن.. فهل سينجو أم هو الهلاك؟

لم يضعوا غمامة على عينيه أو يسيروا به في طرقات مجهولة للتمويه. سألهم عن وجهتهم فلم يتلق ضربة على رأسه بمؤخرة سلاح ما، وإنما سمع اسما واحدا باقتضاب:

- رجب باشا.
- رجب مذكور؟
- هل تعرف رجب باشا آخر؟

***

مكتب رجب مذكور كان مستوى آخر من الفخامة لم يتصوره عماد من قبل.. مساحة شاسعة وتلفاز عملاق ومكتب أكبر من غرفته نفسها وصالون وغرفة معيشة وغرفة سفرة وحمام خاص!

وفي الركن كان هناك حوض أسماك زجاجي ضخم، بحجم حمام سباحة أحلامه، تسبح فيه عشرات الأسماء الفضية الصغيرة التي تشبه أسماك البلطي، لولا أفواهها المدببة وبطونها الحمراء.. ثم.. صندوق زجاجي به.. فئران بيضاء!

ما هذا الرجل؟.. يربي أسماكا في مكتبه، هذا مفهوم.. لكن فئران؟ هذا وغد مجنون بالتأكيد.

قال له رجب مدكور بلهجة آمرة:

ـ وقّع هذا.

قالها وهو يناوله ملفا من عشر صفحات على الأقل.

ـ ما هذا؟

ـ ووقّع هذا أيضا.

ودفع له بأوراق أخرى.

ـ هذا عقد عمل..؟

ـ عقد عملك معنا، والآخر هذا توكيل للمحامي الذي سيتولى إجراءات قضيتك.

ـ لكن... أنا لا أفهم!

ـ القضية انتهت فعليا، لا تقلق، مجرد إجراءات سننتهي منها.

ـ شكرا، أعني.. هذا ممتاز، لكن.. بالنسبة للعقد.. لست متأكدا أنني أريد أن أستمر في هذا النوع من العمل بعد الآن. أعني.. بعد ما حدث!

ـ لن تستمر. هذا عمل جديد تماما. عمل مع الكبار.

ـ كيف؟

- اسمع يا عماد.. أنت كنت تقود فريقا صغيرا مع حامد.. فكر في هذا الفريق كعشة دجاج صغيرة. عملك هنا سيكون مزرعة دجاج عملاقة!
- لكن.. هذا صعب! لم أفعل هذا من قبل.
- أعرف. لكنك أثبتَّ كفاءتك أكثر من مرة.. أنت استطعت توسيع نطاق عملك من قبل.. عملت بمفردك، مع سارة ربيع، وعملت مع فريق صغير في سايبر عصمت، ومع فريق أكبر في شركة كمال ثم فريق أكبر مع حامد.

انحبست أنفاس عماد. إنه يعرف عنه كل شيء.

لاحظ رجب ذلك، فابتسم بجانب فمه في ثقة، وقال:

- طبعا نعرف عنك كل شيء.. ماذا كنت تظن؟

تبا! هل يقرأ أفكاره أيضا؟

- المدير الناجح يا عماد ينقل مهاراته لفريقه بالكامل، يدربهم على عمل كل شيء مثله تماما. أنت فعلت هذا بنجاح من قبل. الآن ستقوم بالشيء نفسه، لكن على نطاق أوسع. ستنقل مهاراتك في تدريب فريق إلى فريق كامل من المدربين.. وسترأس فريق المدربين هذا بنفسك يا سيدي!
- هذا رائع طبعا، لكني.. كنت أقول إنني أفكر...
- أنت تريد هذا، صدقني.. أنت تريد الفلوس، الحياة الرغدة، تريد الراحة لك ولأمك، تريد حياة جديدة مع .. فتاتك.. أليس كذلك؟
- نعم، لكن، ليس بالضرورة بهذه الطريقة.
- وطبعا لا تريد العودة للسجن، وبالتأكيد أنت لا تريد الفضيحة، أم أنك.. تريدها؟

ـ رجب باشا، لقد تعبت من هذا النوع من العمل.

ـ سوف تستريح جدا، الإدارة من أعلى أسهل كثيرا، والشغل معنا مريح لآخر درجة.

ـ لكن..

ـ لاحظ أننا تدخلنا وأخرجناك من كارثة.. ونحن لم نفعل هذا لنتركك تعود إلى سريرك تستلقي على بطنك وتكتئب. الرجال لا يفعلون هذا.. وأنت رجل، صح؟

كيف عرف أنه يستلقي على بطنه في غرفته ويكتئب؟

واصل رجب:

ـ يجب أن تعرف أن الأمور هنا مختلفة تماما. أنت تعمل هنا مع رجب مدكور. هل تعرف معنى هذا؟ هل بحثت وعرفت من هو رجب مدكور؟

طاووس مغرور نرجسي يعتقد أنه سلطان زمانه، وعبقري الأولين والآخرين؟

ـ بالتأكيد يا فندم.

ـ هنا سُلطة وفلوس وحماية لك نصيب منها. ولكن هنا أيضا سرية وكتمان وتنفيذ أوامر دون مناقشة..

نهض من خلف مكتبه، ومد يده في صندوق الفئران وأمسك فأرا بيده العارية.. اقشعر بدن عماد للمنظر.. ما هذا القرف؟

لم تفت رجب أمارات الاشمئزاز التي بدت على عماد، لكنه اتجه لحوض الأسماك، ولوح بالفأر أمام الزجاج، فتجمعت الأسماك باتجاه يده في لهفة.. راقبها رجب باستمتاع وهي تتكالب على زجاج الحوض في غباء، وكأنها قد تستطيع التقاط الفأر من خلال الزجاج.. رفع رجب يده لأعلى الحوض وألقى بالفأر في الماء، فانتفض الفأر وراح يرفّس

بأطرافه طافيا على سطح الماء في ذعر.. رباه! أية هواية هذه؟

عاد رجب يجلس خلف مكتبه، وراح يتابع ما يحدث في الحوض بطرف عينه وهو يقول لعماد:

- آه.. وهنا تعاقد، أنا فقط من يحدد شروطه، وأنت تلتزم بالتنفيذ.. ما دمتَ حيا.

كانت الأسماك تحوم حول الفأر في دوائر، ثم تتقدم إحداها من حين لآخر فتهاجم الفأر بانقضاضة مفاجئة، فيلوذ هو تلقائيا بالفرار مبتعدا، فقط لتأتيه سمكة أخرى بعد طواف آخر بانقضاضة أخرى. لم يستطع عماد أن يرفع عينيه عن الفأر المسكين، لكنه قال لرجب في توتر:

- لكننا.. لم نتعاقد بعد.

- التعاقد حدث منذ اخترتك لهذا ووافقت عليك. ستوقّع الأوراق الآن وتسلمها للسكرتيرة في الخارج. هي ستخبرك بتفاصيل وامتيازات عقدك، وستسلمك شيكا محترما.. عربون التعاقد.

انقضت سمكة انقضاضة مباشرة هذه المرة على بطن الفأر، فنهشت لحمه وتركته يواصل انتفاضاته اليائسة ببطن ممزق.. وببطء بدأ جسده يغطس في الماء.. لماذا يشعر عماد بهذا الألم في بطنه؟

- والعمل.. هنا؟

- هي ستجيب عن كل أسئلتك. جهز نفسك بسرعة، لدينا مهمة كبيرة بانتظارك أنت وفريقك.. وفرقك الجديدة كلها!

- لكن.. كيف سأعمل وأنا.. لا أريد؟

تكالبت الأسماك على جسد الفأر تنهش لحمه وتتخاطف أشلاءه في نهم. كان رجب يراقب هذا المشهد في استمتاع واضح.. هذا هو الجزء المفضل عنده فيما يبدو. قال لعماد مبتهجا:

ـ لم يعد لديك خيار. ستفعل هذا. وإن كنت مصمما وتحتاج إلى إقناع فلا مشكلة، سنقنعك بطريقتنا. لكني لا أنصحك بهذا. الأفضل ـ لك ـ أن تختارنا بنفسك.

ـ على الأقل أمهلني بعض الوقت.. أحتاج فرصة للتفكير.

ـ وقّع على العقود ثم فكّر كما تريد. تفضل.

ـ طيب هل...

ـ تفضل.

٢٩#

رآها من بعيد هناك في المقهى المعتاد في المعادي.

خرج من لقائه مع رجب مدكور مشوشا فاقد الاتزان لا يدري ماذا يفعل، أو إلى أين يذهب، فظل يهيم بلا هدف.. يركب حافلة عشوائية ثم ينزل فيجد نفسه يعود إلى المترو.. إلى أن وجد نفسه يتجه إليها.. كانت تجلس وحيدة تقضم أناملها كما تفعل عادة وهي متوترة.

لماذا تنسى كل شيء آخر عندما تراها؟

لماذا يتحول العالم بأسره إلى مسلسل سخيف كنت مضطرا لمتابعته، بينما تصير هي الحياة الحقيقية التي تهم حقا؟

اتجه إليها ونزع يدها من فمها فجأة وهو يقول:

ـ خطأ يا ماما! لقد كبرنا على ذلك!

هبت واقفة واحتضنته بحرارة وهي تنفجر في البكاء، ثم انتبهت للموقف، فأبعدته عنها وأشارت له بالجلوس.

راحت هي تجفف دموعها وتحاول - عبثا - التوقف عن البكاء، بينما كان هو يطير فرحا، ويقاوم بصعوبة رغبته في التقافز كالأطفال. جلس يتأملها في هيام، وينتظرها حتى تنتهي من التمخط. الفعل المقزز بدا له في هذه اللحظة أكثر ما رأى في حياته بهجة ورومانسية!

قال لها عندما هدأت أخيرا:

ـ لماذا كل هذا البكاء؟

ـ قلقت عليك!

ـ لماذا؟

ـ أليس هذا واضحا؟ ألم تر ما قيل في الإعلام والسوشيال ميديا و...

ـ نعم، رأيت، لكن.. أنتِ تبكين عليّ! أنا نفسي لم أبكِ!

قالها بابتسامة ذات معنى، لكنها ردت بحدة:

ـ هل تمزح؟ هل تعرف ماذا كان يمكن أن يحدث لك؟

ـ الحمد لله، قدّر ولطف.

ـ الحمد لله طبعا، لكن.. ألا تشعر بخطورة ما فعلت؟ مهما كانت أهمية العمل، لا شيء في الدنيا يجعلك تفعل هذا بنفسك، وبأمك، وبي!

ـ وبكِ؟

ـ كان يمكن ألا تعود أبدا.. ألا تخرج.. هل تفهم هذا؟

تنهد مطرقا، وقال:

ـ أعرف، لكن.. لم يكن هذا بيدي، لم يكن اختياري وأنت تعرفين هذا. لم أكن أتصور أن الأمور ستصل إلى هذا الحد..

ـ أعرف كل هذا.. لكن ما كان يجب أن تصل إلى هذا. عماد، هذه هي النهاية.

ـ نهاية ماذا؟

ـ نهاية كل هذه الأعمال.. هذه الألاعيب القذرة. أنت ذكي وموهوب ولا تحتاج إلى كل هذا. يجب أن تتوقف الآن، عدني بهذا.

ـ لكن.. ليس الأمر بيدي. لا أستطيع إنهاءه الآن.. أقسم أنني حاولت فعلا ولكن..

ـ هل تمزح؟ أما زلت تخشى العودة إلى نقطة الصفر وفقدان سنوات من الجهد والعمل وكل هذا الهراء؟

ـ لا! بالعكس، أنا أريد هذه البداية.. أتمنى هذا الصفر.. لكني لا أعرف كيف.. أحتاج إلى بعض التفكير..

ـ تفكير؟ لا يا عماد. لا تفكير. هذا لن يحدث لك مرة أخرى. لن أسمح لك بهذا. ليس وأنا معك.. إن كنت تريدني معك أصلا.

ـ طبعا أريدك.. أكثر من أي شيء في حياتي.

ـ إذن توقف!

ـ الأمر ليس بهذه السهولة.

ـ ماذا ستخسر؟ الوظيفة؟ المال؟ حفنة من الصفحات والحسابات المزيفة؟

ـ لا.. ما عدت أبالي بكل هذا..

ـ ما المشكلة إذن؟

ـ آية، لقد فعلت كل هذا لأنني كنت وحيدا.. لم يكن لديّ ما أخسره.. لم يكن بجانبي أحد يبكي عليّ.. حتى أمي كانت لتكون أفضل بدوني.. والآن، أنتِ هنا، وأنا.. خائف!

ـ وإن قلت لك إنني سأكون معك؟ ألا يكفي هذا لتترك كل هذا خلفك؟

ـ بل يكفي. يكفي لأن أترك الدنيا كلها، لكن..

ـ لكن ماذا؟

ـ لا أعرف.

- بالضبط، هذه هي المشكلة. يجب أن تعرف.. وساعتها ستعرف ماذا تفعل.

صمت. لا يعرف ماذا يقول، تعلقت عيناها بشفتيه المنفرجتين، حتى تنهد وقال:

- أنتِ لا تفهمين.

صاحت بغضب:

- وأنت لا تقول شيئا!

هبت واقفة وحملت حقيبتها لتنصرف. تشبث عماد بيدها وقال:

- آية، أنتِ.. لا تعرفينني.
- ماذا تقول؟
- أنا لستُ مثاليا كما تظنين.
- ومن قال إنني أظنك مثاليا؟!
- لست.. نظيفا.. مثلكِ!
- عماد..
- آية.. هل تعرفين كيف التقينا حقا؟
- أعرف طبعا.
- لا. لا تعرفين.
- لا أعرف ماذا؟
- هل تعرفين كيف تقدمت للعمل في شركة الكمال؟
- كيف؟

أطرق برأسه وقال من دون أن ينظر لها:

- كنت.. أراقبك. كنت أسكن بجواركم عندما كنتم في بيتكم القديم بالسيدة، وعندما انتقلتم تتبعتك حتى عرفت بيتكم الجديد، ثم راقبتك حتى عرفت مكان عملك الجديد و...

رفع عينيه إليها. احتقان وجهها جعل الكلمات تنحشر في حلقه. لماذا تكلم؟ لماذا اعترف؟

قالت بصوت متحشرج:

ـ أنت.. أنت مريض.

نهضت وانصرفت من دون كلمة أخرى.

#٣٠

هناك في غرفته المتواضعة بمنطقة البساتين جلس وحيدا، يحاول ممارسة الهروب من دون جدوى. تستطيع الهروب من كل الناس، على الأقل لبعض الوقت، لكن كيف تهرب من نفسك؟ من أفكارك؟ من قراراتك المؤجلة واختياراتك المعلقة؟

حاول أن تنسى نفسك وتندمج في صراعات آل ستارك مع آل لانيستر في رواية (لعبة العروش) وأنت لم تحسم بعد صراعك الخاص.

حاول أن تتعاطف مع مأزق اللمبي وهو يعيش في جسد غير جسده، وأنت لم تخرج بعد من مأزق الاختيار بين عرض رجب مدكور الذي لا يمكنك رفضه، ورفض آية الذي لا يمكنك تغييره.

جرب التماهي مع حياة سجينات ليتشفيلد في مسلسل (البرتقالي هو الأسود الجديد) لعلك تنسى حياتك الخاصة لساعة واحدة، فقط لتفاجئ نفسك أنك لا ترى السجن بهذا السوء حقا. ما السجن إلا حياة في مكان مختلف بخيارات محدودة، فكيف يختلف هذا عن موقفك الحالي؟

إلى أين المفر؟

إلى من تلجأ الآن؟

***

هبة هي التي اتصلت به، وهي التي جاءت إليه برغم إلحاحه عليها

ألا تفعل. راقبها وهي تعود من المطبخ حاملة صينية الشاي، ثم وهي تضعها بحرص قبل أن تجلس بجواره على الأريكة الوحيدة لديه، وتفرد ساقيها على الطاولة الصغيرة، بجوار صينية الشاي.

عفوية هي هبة هذه.

- حمدا لله على سلامتك. المهم أنك خرجت منها.

- ليس تماما.

- لماذا؟

نظر إليها مليا. لعلها تساعده؟

حكى لها باختصار ما حدث مع رجب مدكور ثم مع آية، وكيف تركته في النهاية غاضبة، ثم قال مختتما كلامه:

- ليس لدي خيار! لو رفضت العمل مع رجب مدكور.. لا أعرف ما الذي يمكن أن يحدث لي، وفي المقابل، هي ترفض مجرد فكرة الاستمرار في هذه «الألعاب القذرة».

قالت بتعاطف:

- دعك منها.. هي لا تفهم موقفك.

دفن وجهه في كفيه وغمغم:

- حقا لا أعرف ماذا أفعل! والآن أنا وحيد.. في أزمة كهذه أنا وحيد!

سمع صوتها الهامس في أذنه:

- لست وحيدا، أنا هنا، معك..

شعر بأصابعها تتخلل شعره. رفع رأسه ليجد وجهها أمامه مباشرة. همست:

- أنا أفهمك.

أنفاسها حارة، رائحتها كالريحان، شفتاها منفرجتان تقتربان منه،

حتى تلتحما بشفتيه في قبلة طويلة، غابت فيها الأفكار ومنحته ملجأً للهروب من خياراته المحدودة للحظات.. خياراته المحدودة: آية أو رجب مدكور. المطرقة والسندان. الرمضاء والنار.. أما من حل ثالث؟ هل يجب أن تعرف آية كل شيء عن عمله؟ مهلا.. ربما...

أفاق فجأة.. فتح عينيه وابتعد بشفتيه عنها. كانت تقترب منه بجسدها كله. قال برفق:

- هبة!

تمتمت بصوت لاهث:

- قل لي يا سارة.
- ماذا؟
- ناديني باسمي.. اسمي الذي اخترته لي بدلا من (ثريا). أحببته أكثر من (هبة).

لماذا تكسرين حاجز الإيهام؟ لماذا تجبرينني على مواجهة نفسي بعد أن هربت منها؟

- بل أنتِ هبة. أنتِ اخترتِ الاسم لنفسك. هل تذكرين يا (ثريا)؟ اسمك الذي كنتِ تكرهينه؟ أنت من اخترتِ اسم (هبة).. أنت تركتِني وتركتِ اسم (سارة) وتركت كل مستقبلنا معا.

انتزع نفسه منها ونهض.

حملقت فيه بحيرة وهي تلهث.. اعتدلت بارتباك وقالت:

- بل أنا هي.. (ثريا حسن ربيع).. هل أريك بطاقتي مرة أخرى؟ هل تتذكر عندما رأيت بطاقتي الجديدة لأول مرة وسط أحواض الريحان؟ يومها اخترت لي اسم سارة. هل

تذكر؟ وكل هذا الوقت كنت معك.. سارة كانت معك.. لأنك لم تنسني.

ـ هبة، لقد أسأتِ فهمي.. هذه القصة انتهت.

صرخت:

ـ لا، لم تنته.. لم كل هذا؟ كانت نزوة مراهقة.. كنت فتاة خرقاء غبية. هل ستشنقني لأجل هذا؟

صرخ بدوره:

ـ لا، ما كنت لأشنقك، بل كنت أتمنى أن أشنق نفسي وقتها. هل تعرفين فزعي حين ظننتك ذهبتِ في الحادثة؟ هل تعرفين مدى فزعي عندما لم أجدك وقالت أمك إنك لم تعودي للبيت منذ يومين؟ هل تعرفين شعوري حينما رأيتك معه؟ لقد متّ وقتها يا ثريا. متِّ بالنسبة لي وما زلت ميتة، وسارة لم تكن أنتِ.. سارة كانت حبيبتي أنا التي رسمتها لنفسي بنفسي.

ـ لا! لم أمت! أنا هنا أمامك حية أرزق. إلى متى ستظل تخدع نفسك؟

ـ إلى الأبد! دعيني أخدعها للأبد.. انخدعي معي! أقنعت نفسي وقتها وما زلت أصدق.. ما كنت لأظل حيا وقتها لو لم تختلط الحقائق بالأوهام. خدعت نفسي لأعيش بسلام. هل تريدين قتلي الآن؟

ـ أنت من تقتلني هكذا! اعتذرت لك، ركعت تحت قدميك، ماذا تريد مني أكثر من هذا؟ لماذا لا تسامحني؟

ـ أنتِ بعتِني.. تخليت عني.. اخترتِ من رأيته أفضل مني. والآن أنا أفضل ممن؟ لا تنخدعي فيّ! أنا لست أفضل من أي شخص في العالم.. أنا أعرف ذلك، اقتنعت بذلك بسببك أنتِ، وإن ظننتِ غير ذلك فستكتشفين الحقيقة لاحقا

وتتركينني من جديد من أجل من هو أفضل مني. الحب ليس مفاضلة يا هبة. اتركيني.. اتركيني كما تركتك للأبد.

ـ أتتركني من أجلها وتقول ليست مفاضلة؟

ـ لا، ليست مفاضلة يا هبة. صدقيني. حاولت أن أسامحك.. حاولت وفشلت. كنت دائما أراكِ معه. صورتك تغيرت في عيني. أصبحت أراكِ...

ـ عاهرة؟

قال في جزع:

ـ لا.. أقصد.. بشكل مختلف.

صمتت هبة. اعتدلت بارتباك وهي تلتقط أنفاسها. اغتصبت ضحكة خرجت منها متوترة متحشرجة، وقالت:

ـ نعم، قصتنا انتهت. أنا أعرف هذا طبعا. كنت فقط أقول إننا لا يجب أن نخسر علاقتنا تماما.

ماذا فعلت يا أحمق؟ ليس بهذه القسوة.

قال بإشفاق:

ـ أنا آسف.

قالت بمرح:

ـ أنا أعبث معك يا أبله.

كرامتها، كبرياؤها. هل ستبكي؟

ـ وأنت تعرفني..

دفعته ليجلس على الأريكة، وأجلست نفسها على ساقيه متصنعة التهتك. وقالت:

ـ فاسدة، وضيعة. ما الجديد في هذا؟ أنت قلتها لي من قبل.

ـ لا.. كنت غاضبا وقتها.

أمسكت رأسه بين راحتيها، وواجهت عينيه المشفقتين، مسيطرة بقوة على ابتسامة صنعتها صنعا بجانبي فمها، وإن ظلت عيناها تلمعان بالدموع. طبعت على شفتيه قبلة سريعة بلا طعم، وقالت بصوت عال من دون مبرر:

ـ أنا حرة، وأنت الآن حر.. ما نفعله الآن ليس خيانة لها. لا ضرر من بعض العبث!

ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟ لا تنجرفي في هذا الاتجاه. الخداع المتقن.. الحقيقة التي تزيفها بنفسك وتتقنها حتى تصدقها.. حتى تعتقد أنها الحقيقة. هذا هو الموت بعينه.

أطبق بشفتيه على فمها، وضمها إليه بقوة، لكنها شعرت به. قبلته فضحت شفقته. حضنه يقول إنه ليس لها. يجاريها في لعبتها ليحفظ ماء وجهها أمام.. أمام من؟

نهضت فجأة، وقالت:

ـ لا.. ليس هكذا.

صاح بها:

ـ سارة!

ـ اسمي ثريا.

#٣١

عندما عادت آية من بيت نهى كانت معنوياتها قد تحسنت كثيرا. كانت فكرة جيدة حقا أن تزورها في بيتها بمنطقة السيدة عائشة اليوم، وتقضي اليوم معها ومع والدتها، التي لم ترها منذ زمن طويل. نهى زميلة دراستها وصديقتها المقربة منذ المدرسة الابتدائية، برغم أن السبل قد تفرقت بهما في الجامعة وبعد ذلك في العمل، إلا أنهما حريصتان على التواصل باستمرار.

صعدت آية سلم عمارتها وهي تفكر كم كان هذا يوما لطيفا، ابتعدت فيه عن جو الاكتئاب الذي يخيم عليها منذ لقائها الأخير مع عماد. جلست مع نهى تفرغ شحنات توترها وتقص عليها كل شيء.. ربما لم تعطها نصيحة شافية، لكن مجرد الحكي أعطاها شعورا عارما بالارتياح.

أخرجت المفتاح من حقيبتها، ودسته في ثقب الباب، ثم دلفت إلى الشقة، ووقفت متسمرة تحدق فيه في حيرة وهي لا تستوعب ما الذي أتى به إلى هنا. كان هناك في الصالون جالسا مع أبيها.

طالت لحظات صمتها هكذا، فتنحنح عماد في إحراج، بينما قال والدها بابتسامة عطوف:

- تعالي يا آية، هذا عماد!

هزت رأسها وكأنما تحاول أن تستفيق، وعثرت على صوتها أخيرا، فقالت:

ـ عماد..؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟

طقطق أبوها بفمه مستنكرا، وقال لها:

ـ عيب يا آية، لا أحد يقول هذا لضيفه!

كان رجلا كبيرا في العقد السابع من عمره، أشيب الشعر لين الملامح، ومن لهجته بدا لعماد أنه لين الشخصية كذلك. ولدهشته لم ترد آية عليه، بل واصلت صياحها:

ـ ماذا تريد؟ لماذا جئت؟

ـ جئت من أجل.. موضوعنا!

ـ أي موضوع؟ ألم ننتهِ من هذا بالفعل؟

ـ لكن.. أنا أحبك!

ضحك والدها ضحكة طويلة، وكأنما سمع دعابة عمره، بينما قالت آية باستنكار:

ـ هل تمزح؟ تأتي إلى هنا لتقول لي هذا؟ هنا؟

تمتم عماد بارتباك:

ـ لا أقصد، أعني.. الحاج رجل متفهم و...

اندفعت آية نحوه فجأة وجذبته من معصمه بقوة وسحبته خلفها للباب، وهي تصيح:

ـ عن إذنك يا بابا!

***

من شارع الكورنيش إلى مقهى (جروبي) إلى مطعم (فلفلة) ذهب معها مستسلما، ومنتظرا إياها أن تكسر صمتها أو أن تتخلى عن عبوس وجهها على الأقل. في المطعم، قال لها أخيرا:

- آية! وماذا بعد؟ إلى أين ستأخذينني بعد ذلك؟ كازينو النيل؟! تكلمي يا بنتي!
- تكلم أنت، أنت الذي جئت. هيا، أنا أستمع!
- هنا؟
- نعم، هنا. عندك مشكلة في المكان؟ ممكن نذهب إلى مكان آخر!

قالتها وهي تهم بالنهوض بالفعل، فأمسك بيدها بسرعة قائلا:

- لا، أرجوكِ! يكفي هذا! لنتكلم هنا!

جاء الجرسون، الذي بدا بملابسه وطريقة كلامه هاربا من فيلم عربي قديم، فقال له عماد:

- قهوة مضبوطة، وعصير برتقال للمودموازيل!

لم ينتبه الجرسون لرنة السخرية في كلامه، فكتب الطلبات وانصرف. التفت إليها عماد قائلا:

- هل أخبرك أحدهم أنني قادم من الخمسينيات؟ جروبي يا آية؟
- أنت الذي تحسبنا جميعا في الخمسينيات؟ تذهب لتقابل أبي من دون أن تسألني؟
- ذهبت لأخطبك منه! كنت أظن هذا.. سيسعدك!
- أنت مجنون والله!
- لماذا؟
- من أدراك أنني موافقة أصلا؟
- هل.. ترفضين؟
- لا أعرف.. أعني لم أفكر.. لكن.. ليس بهذه الطريقة!
- لماذا؟

ـ لماذا؟ هل تحسب نفسك تتقدم للسفيرة عزيزة؟

ـ من هذه؟

ـ لا أعرف، واحدة من الخمسينيات!

ـ ولنفترض.. هل في هذا ما يشين؟

ـ حتى في الخمسينيات كانوا يتعارفون ويتخذون قراراتهم فيما بينهم قبل «زيارة بابا» هذه.

ـ يتعارفون في كازينو النيل وجروبي؟

ـ ألن تتوقف عن المزاح؟

ـ سأتوقف! هأنذا توقفت.. ها؟ موافقة؟

ـ انسَ!

سألها بحذر:

ـ أنسى ماذا بالضبط؟

ترددت للحظات، ثم ظهرت على شفتيها بوادر ابتسامة أخيرا، وقالت بعناد:

ـ أنت مُعاقب، وسنظل في فترة تعارف هكذا لشهر آخر على الأقل، قبل أن أرد عليك أصلا!

ضحك عماد، وقال مبتهجا:

ـ هذا هو كل ما لديك في العقاب؟

قطبت وأشارت بسبابتها محذرة:

ـ ها؟ ستعود للمزاح؟

ـ لا، خلاص، شهر شهر.. أوامرك!

ـ ثم إنك شغلتني بكل هذا ونحن لم نحسم بعد موضوع العمل.

ـ طبعا طبعا.. سنتفق.. سنجد حلا.

ـ طيب. هيا نغير المكان.

ـ إلى أين؟ (مينا هاوس)؟

رمقته بنظرة وعيد محذرة، فقال متراجعا:

ـ كما تريدين! «الأوتوموبيل» ينتظر في الخارج!

لكمته في كتفه في غضب مصطنع، وقهقه هو في سعادة.

لكنه هناك، في أعماقه لم يكن سعيدا حقا.. كان يشعر بما يفعله.. كل هذا مجرد تأجيل للحظة المواجهة، وعندها قد لا يكون هناك مجال لهذا الضحك ولا لهذه السعادة.

#٣٢

أيقظته نغمة منبه الهاتف السمجة الرتيبة. مد يده والتقط الهاتف من خلف الوسادة ليضغط أحد زري الصوت ويكتمه من دون أن يفتح عينيه. تحسس ملمس الوسادة الحريري الذي لم يعتده بعد، فتنبه عقله إلى المكان الجديد الذي لم يعتده بعد. فتح عينيه وتطلع إلى غرفة النوم الأنيقة التي يغلب عليها اللون السماوي، ما زال كل شيء هنا جديدا عليه.

هلّت آية بوجهها الصبوح، جسدها الفاتن يتهادى في قميص نوم حريري أبيض. لا يصدق أنه صار من حقه رؤيتها هكذا.. الآن وكل يوم! قالت له:

ـ صباح الخير!

أجمل تحية صباح تسمعها في حياتك. من الظلم أنه يسمعها وحده. من الأنانية ألا يسجلها بصوتها ويرسلها إلى معاهد الموسيقى لدراستها وتحليل نغماتها ومقاماتها.

ـ صباح الفل!

ـ هيا، قم وخذ حماما لتفطر.

ـ أقوم؟ ألن أفطر في السرير؟

ـ في السرير؟! آه.. أنت نائم وما زلت تحلم بالتأكيد! شهر العسل انتهى يا حبيبي! هيا انهض، عندك عمل.

ـ ما هذه المعاملة؟

ـ بماذا تبرطم؟ هل تقول شيئا؟

ـ لا، لا شيء. حالا سأقوم!

بعد أن خرج من الحمام وارتدى حلته الأنيقة كان الإفطار جاهزا على السفرة في أطباق من الصيني الأبيض الفاخر، استطاع أن يميز فيه العسل والمربى والبيض والجبن مختلفة الألوان والخبز وعصير البرتقال، إلى جانب عدد من الأصناف التي لا بد أن لها أسماء بالتأكيد. لو أخذ لقمة واحدة من كل صنف لامتلأ!

قال وهو يلتهم شريحة من الجبن الرومي من دون خبز:

ـ ما هذه؟ مائدة هبطت علينا من السماء؟

ـ تعليق كل يوم!

راح يلوك الطعام باستمتاع، وهو يقول:

ـ كنت آكل الطعمية كما هي من قرطاس ورق الجرائد.

ـ وماله؟ الطعمية جميلة والفول جميل، وسيعودان لا محالة. هذه مؤنة الزفاف، فلا تعتد على ذلك!

ـ ولماذا؟ دعيني أنخدع قليلا!

بعد الإفطار جلس في الشرفة الواسعة المطلة على حديقة صغيرة، تظهر من خلفها صفوف المباني العالية في شارع واسع بالتجمع الخامس.

تناول صحيفة من كومة صحف ورقية على الطاولة المصنوعة من الخوص أمامه.

اكتشف مؤخرا أن الصحف الورقية ما زالت مفيدة، تستعرض عناوين الأخبار كلها مفرودة أمامك، لا تخضع لمعايير نسب المشاهدة والمشاركات على السوشيال ميديا والكلمات المفتاحية. كل الأخبار هنا، وأنت تحدد بنفسك الغث من الثمين. الخبر الذي يجذبك يمكنك قراءته

فورا، لست مضطرا للنقر على رابط ثم انتظاره حتى يكتمل تحميله، فقط لتكتشف أن العنوان كان خادعا.. لا يصدق أنه هو بالذات من يرى هذا، وهو الذي طالما وجد ملجأه وملاذه في الإنترنت.

اكتفى بقراءة العناوين، ومطالعة تفاصيل بعض الأخبار عن الحزب السياسي الجديد الذي شارك في تأسيسه الأخوان كمال وحامد العسال بعد الصلح بينهما.

تصريحات لرجب مدكور نقلا عن حسابه في تويتر تعليقا على الحزب الجديد، يؤكد فيها بدبلوماسية ألا وجود لخلافات أو ضغائن بينه وبين الأخوين العسال، وأن المنافسة السياسية ظاهرة صحية تصب في النهاية في صالح الوطن.

جاءت آية بالقهوة.. الرائحة التي تتسلل إلى روحك نفسها لتشعرك ببهجة الحياة.. وأن تصنعها هي لك بيدها.. هل في الحياة بهجة أكثر من هذه؟

يرشف القهوة ويتأمل المنظر أمامه. فيما مضى كان ينظر إلى المباني والفيلات هنا ويتساءل عن نوعيات الناس الذين يعيشون هنا، أي عمل هذا الذي يوفر دخلا يسمح بالسكن هنا؟

والآن ها هو ذا يسكن هنا، صار منهم.. صحيح أن وجوده هنا مؤقت، فما زال يسكن بالإيجار، لكنه - على الأقل - يسكن بينهم ويعيش مثلهم.

رجب مدكور كان محقا، هذه حياة مختلفة تماما. هذه أموال لم يفكر فيها من قبل، أموال من النوع الذي لا تراه، أرقام ضخمة في البنوك لا تستوعبها محافظ ولا حقائب.. أعطوه هذه البطاقة الذهبية التي تفتح له كل الأبواب.. هاتوا طعاما وخذوا رقما من هنا.. كل هذا لا يبدو حقيقيا.. يشعر أنه في لعبة كمبيوتر، حيث ينتقي أية ميزة في اللعبة ويدفع

من رصيده من النجوم الذهبية.. هل هذا هو ما يتقاتل عليه الناس طيلة الوقت؟ هل هذا هو ما يلقون بأنفسهم إلى التهلكة من أجل الحصول عليه؟ من أجل حفنة مزايا في لعبة كمبيوتر؟

لا، لم يصبه الزهد فجأة.. لكنهم يبالغون في قيمة الثراء.. المال جيد، والكفاف ضروري، والمال الوفير شيء عظيم.. لكن هذا يفوق فكرة الوفرة، يفوق قدرته على الفهم.. كأن أمامه مائدة ضخمة لوجبة غداء واحدة، صحيح أن كان يتضوّر جوعا، لكنه أكل وشبع، وكل هذا الطعام الباقي لم تعد له قيمة عنده.. لماذا لم يعد يشعر بقيمة المال؟ لماذا لا يستمتع به بعد أن صار معه؟ هل لأنه مشغول بالعمل ولا وقت لديه للشعور بالفارق؟

هو سعيد بوضعه المادي الجديد طبعا، لكن هذه الحياة المزدوجة تؤرقه.. آية تعرف فقط ما يعرفه الآخرون، وهو ما زال مضطرا لإخفاء سره عنها، بينما شعوره بالذنب يمزقه كلما تفانت في حبه وإسعاده.

***

لكن الوقت يمر، وتعتاد حياتك الجديدة، تعتاد الوسائد الحريرية والشقة الواسعة والجبن الرومي وآية وقميص النوم الأبيض، ويبهت الشعور بالذنب حتى يُنسى تماما.

أسابيع قليلة تكفيك لتنسى من كنت قبل ذلك، وتكتسب هذا الشعور بأنك كنت دائما هكذا.. هكذا كانت حياتك منذ الأزل، من قال غير ذلك؟

هكذا يقود عماد سيارته الفخمة متجها إلى المعادي، هذه السيارة - بعكس الشقة - ملكه الخاص، ثمنها كان يكفي لدفع مقدم شقة هنا، لكنه اختار السيارة.

يصل إلى مقر العمل، وكالة (الأصدقاء) للإعلان. مبنى كامل تحتله الوكالة. يترجل من السيارة ويقف متطلعا للمبنى الضخم الذي يرأسه ويدير العمل فيه بالكامل.

يدخل إلى المبنى في خطوات واثقة. الجميع يقفزون لرؤيته ويهبون لتحيته. هذا جيد، عماد يحب هذا. العمل هنا أسهل كثيرا من كل ما مر به من قبل. يصل إلى العمل متى شاء فعلا، بينما هناك جيش كامل من الموظفين يعمل باستمرار على مدار الساعة. ثمة مديرون وسكرتارية ومساعدون ورؤساء أقسام وموظفون وعمال و...

هو متأكد أنه لو تغيب فجأة لمدة شهر لما تأثر العمل، لكنه يحرص على الانتظام في الحضور، ليقدم قدوة للعاملين والموظفين في الالتزام والنظام.. «هاهاها!» يمزح (في قرارة نفسه) بالطبع، فبالتأكيد عمله هو الأهم، وبالتأكيد فإن اجتماعاته واتصالاته وتوجيهاته - وهي الأهم - هي ما يحدد سياسات الشركة وتوجهاتها، من أجل تحقيق الإنجازات والتعاطي مع التحديات.. تعلم عماد أن يقول هذا الكلام، بل وأن يفكر فيه، ويقتنع به.

دعونا لا نتحامل على عماد، صحيح أنه الآن يرتدي هذه الحلة الأنيقة وربطة العنق الغالية هذه، لكن كم من الموظفين ومندوبي المبيعات يلبسون هكذا وربما أفضل!

صحيح أنه يجلس هنا على هذا المكتب العملاق الذي يصلح كطاولة ممتازة للعبة تنس الطاولة، لو أسقطت من فوقه هذه الملفات والأقلام وكل تلك الأشياء الصغيرة التي يضعونها على المكاتب من دون سبب واضح - بالنسبة له - وأنزلت من عليه - بحرص طبعا - جهاز الكمبيوتر الباهظ الثمن، ثم وضعت شبكة صغيرة في منتصفه، لكنه - عماد - ليس مجرد مدير منعّم مرفّه هنا، إن كان هذا ما تحسبه، ليس لديه جاكوزي في المكتب، أو سرير خاص أو «إكس بوكس» أو «بلاي

ستيشن» إن كنت تتخيل هذا.. لديه فحسب - للأمانة - شاشة حديثة ضخمة، لكنه لا يضطجع أمامها هنا على الأريكة البنيّة ليشاهد مسلسله المفضل في وقت العمل.. ربما في أوقات الاستراحة فحسب. ثم إنه، بمجرد دخوله، تنهال عليه المقابلات. يأتي مساعده الأول (حمدي) - نسخته الخاصة من (شادي) - ليطلعه على آخر تطورات العمل.

- إعلانات حملة مجموعة شركات مدكور خرجت من المطبعة، وبانتظار الإشارة لبدء تعليقها في الشوارع والميادين.
- والإعلانات التليفزيونية؟
- انتهى التصوير، لكنها ما زالت في المونتاج.
- أي مونتاج؟ كان يجب أن نرى (بروفة) منذ الأسبوع الماضي.
- المخرج أعاد التصوير من البداية، قال إنه ليس راضيا عن المستوى.
- المستوى مهم، لكن ماذا عن الوقت؟ يجب أن تخرج هذه الحملة للنور بأسرع ما يمكن. هل تفهم؟
- بالتأكيد يا أفندم، لكن..
- بدون «لكن»! هذه أول حملة لنا مع مجموعة بحجم شركات مدكور.. بدايتنا الحقيقية. هذه الحملة هي التي ستصنع لنا اسما في السوق، ومن بعدها ستتهافت علينا العروض من الشركات الكبرى.
- طبعا يا فندم، لكن لو فشلنا...
- فشلنا؟ الفشل كلمة ليست في قاموس عماد الصاوي!
- أوامرك يا فندم!

أرأيت؟! مدير ناجح قوي الشكيمة من الطراز الذي يقول إن الفشل كلمة ليست في قاموسه. عقل مدبر وموجّه وصانع للاستراتيجية.

انصرف حمدي حاملا التوجيهات، وخرج عماد بك يتفقّد العمل في المكاتب. لطالما كان يحلم بأن يصبح جزء من عمله أن «يتفقّد» سير العمل!

راح يتجول بين المكاتب، مساحات واسعة مقسمة بفواصل خشبية، عشرات الموظفين يعملون على عشرات المكاتب التي تملأ الطابق الأول بأكمله. سار إلى نهاية الطابق.. المسافة طويلة والمساحات شاسعة، تذكره بصالات عرض معرض القاهرة الدولي. في نهاية الممر الممتد بين المكاتب وصل إلى المصعد. صعد إلى الطابق الثاني، وخرج.

مشى بين المكاتب في ممر مشابه. المكاتب هنا أصغر وأكثر عددا، والفواصل أقرب. هنا يدور عمل آخر مختلف تماما. العمل الحقيقي.

توقف أمام الباب الأول إلى يمينه. كان يقود إلى غرفة تضم ما يقرب من عشرين موظفا، في مواجهتهم مكتب يجلس أمامه (صابر).

هب هذا الأخير فور رؤيته، وأسرع يحييه:

ـ أهلا عماد بك!

ـ أهلا يا صابر.. ما أخبار العمل؟

ـ كله تمام يا باشا.. بتوجيهات سعادتك!

ـ اجمع لي إيهاب وعاصم ووليد وكل رؤساء الفرق حالا، وتعالوا جميعا في غرفة الاجتماعات.

ـ حالا يا باشا.

٣٣#

اتصلت به هبة.

نظر إلى الاسم الظاهر على شاشة الهاتف طويلا.. لمس زر الرد أخيرا قبل أن ينتهي الرنين.. قالت له قبل الـ»ألو»:

ـ غريب! لم تغير رقمك؟

ـ ولم أغيره؟

ـ يعني، بما أنك الآن (عماد بك)، ومشغول طبعا، وغالبا لا وقت عندك للعامة والدهماء وطلباتهم التي لا تتوقف!

قال مداعبا:

ـ دهماء؟ لكنني من الدهماء! أنسيت؟!

ـ لا، لم أنسَ. كنت أتوقع أنك أنت نسيت! ثم إنك لست منّا الآن، لم تعد من الدهماء.

ـ منكم؟ هل يعني هذا أن لديك طلبا ما؟

ـ ربما!

ـ هكذا؟ طيب أنا تذكرت الآن أنني مشغول جدا!

ضحكت وقالت:

ـ خلاص، لا داعي. متشكرة يا سيدي!

ضحك ولم يضف شيئا، فقالت بعد لحظة صمت ثقيلة:

- رأيتك أمس في التليفزيون.. صرت مشهورا يا عم!
- لا مشهور ولا يحزنون! المشاهير يعرفهم الناس في الشوارع.
- لكن أتعرف؟ أنا شاهدت البرنامج لآخره، بصراحة كنت أحاول أن أفهم لماذا اختاروك أنت ضيفا في الحلقة.. ولم أفهم!

قال ضاحكا:

- أنا نفسي لم أفهم!
- فعلا؟!

فكر لحظة، ثم قال بجدية:

- يعني، كنت أتحدث عن الأزمة الاقتصادية في مصر والجهود المبذولة لاستعادة السياحة، والتحديات التي...
- تحديات؟ أرأيت؟ تحولتَ وصرت تتكلم مثلهم!
- من هم؟
- هم.. الآخرون.. غير الدهماء!

قرر تجاهل تعليقها، لكنه لم يجد ما يقوله. قال بعد لحظات:

- المهم كيف أحوالك أنت؟
- على قيد الحياة؟
- ماذا بكِ؟
- لا شيء.. أبحث عن عمل.
- هل تركتِ عملك؟
- ليس بالضبط. سأحكي لك عندما أراك. المهم، هل.. ما زلتم تقبلون موظفين جددا؟
- لا، لكن تعالي وسأتصرف.

- حقا؟ ممكن الآن؟
- نعم، أحضري معك سيرتك الذاتية، وارتدي ملابس رسمية.
- لا، لن أرتدي شيئا!
- نعم؟
- لا! أقصد...

ضحك وقال:

- طيب، طيب. لكن لا تتأخري عن الساعة الرابعة.
- سأكون عندك بعد ساعة.

***

استقبلها عماد في مكتبه بالدور الأول. رشفت بعضا من عصير البرتقال، وقالت:

- لم تقل لي، ما علاقتك أنت بعودة السياحة للبلد؟
- علاقة وثيقة طبعا.. التسويق.. وهذا عملي.
- التسويق لمصر في الخارج؟
- نعم، لنا أعمال في الخارج الآن، بالتعاون مع وكالات أجنبية طبعا. عملاؤنا هنا لهم أعمال في الخارج أيضا..
- تقصد عميلكم.. رجب مدكور!
- واضح أنك متابعة!

هزت كتفيها، وقالت ببساطة:

- هذا واضح للجميع.
- ليس هو فقط، لدينا اتفاقات وخطوات جديدة في السوق.
- صحيح؟ مبروك!
- المهم، ماذا لديكِ؟ ماذا ستعملين معنا؟
- ماذا؟ أنا الذي سأختار؟

- طبعا! نحن سعداء الحظ لمجرد قبولك العمل معنا!
- طيب، أنا ممكن أعمل مديرة. ممكن؟
- ممكن طبعا، لدينا منصب شاغر.. مديرة قسم عمال النظافة!
- هكذا؟

ضحك عماد، ثم قال بجدية:

- لا بجد، ممكن في السكرتارية أو الحسابات؟ أنتِ لم تعملي من قبل على برامج غرافيك، صحيح؟
- سكرتارية وحسابات؟ أنا أريد أن أعمل معك.
- هذا العمل معي.
- لا، أقصد العمل الآخر.
- أي عمل؟
- عماد! هل سنلعب حقا هذه اللعبة؟
- أية لعبة؟
- لم تسألني كيف تركت عملي.
- سألتك في التليفون!
- العمل تغير كثيرا بعد دخول كمال العسال في السياسة وانشغاله في الحزب مع أخيه حامد.. وتامر صار هو المدير تقريبا!
- تامر المدير؟ هذا سبب كاف لترك العمل!
- ما كنت بحاجة لهذا السبب.. لقد طردوني.. تقريبا!
- تقريبا؟
- تامر يشك فيّ منذ سربت لك معلومات وأنت مع حامد العسال.
- وكيف عرف؟

- لا أدري بالضبط.. ربما من تقارير أو ملفات تلقاها من حامد العسال بعد الصلح. المهم أنهم يعرفون.. ويعرفون أيضا أنك المسئول عن دعاية رجب مدكور السرية على السوشيال ميديا.
- طبيعي.. حامد العسال هو من قدمني لرجب مدكور من البداية.
- وموضوع غطاء شركة الدعاية والإعلان لم يخدعهم.. ولم يخدع أحدا. ثم إن الموضوع نفسه انتشر.. الجميع صاروا يفعلون هذا..
- يفعلون ماذا؟
- ماذا بك يا عماد؟ لا تتظاهر بالغباء! أتحدث عن شبكات الحسابات المزيفة.. شبكات الدعاية والتسويق على السوشيال ميديا.
- وأنتِ تريدين العمل معنا في هذا؟
- ولم لا؟ ألا تثق بي؟
- ليس هذا، أقصد لماذا تعملين في الظلام؟ يمكنني أن أجد لكِ عملا طبيعيا.
- تقصد عملا تقليديا مملا؟
- بل عملا حقيقيا يا.. هبة.
- وأنت تعمل الآن في عالم افتراضي؟ في «الماتريكس»؟

صاح بحدة:

- نعم! كل هذا غير حقيقي.. عمل ظاهري مزيف، وعمل مزيف حقيقي! كلاهما مزيف! والعمل نفسه، أدوار مزيفة وخداع وتضليل، ومعارك ضد شبكات أخرى مزيفة أيضا. سأصاب بالجنون!

هزت كتفيها وقالت:

ـ كانت هذه فكرتك.. أنت بدأت كل هذا!

ـ لم يكن اختياري. كانت حيلة للهروب من الواقع، للتحايل على الحقيقة.

ـ ولو.. أنت فعلت هذا.. هو خيارك أنت.

ـ أنا نفسي أشعر أنني لم أعد حقيقيا! صرت مجرد حساب على السوشيال ميديا، يمكن محوه في لحظة.. تعبت من كل هذا.

ـ أنت حقيقي بالنسبة لي.

ـ أريد يوما حقيقيا واحدًا من دون تمثيل.. العالم الحقيقي كله يبهت ويزول تدريجيا من حولي، الجميع صاروا هناك فقط، في العالم الافتراضي، يتخفّون خلف ابتسامات مزيفة، يتدربون عليها ويعلّبونها في صور يلتقطونها بكاميرات هواتف حديثة ويجمّلونها بالتطبيقات المرحة ثم يصدّرونها للآخرين في العالم الافتراضي.. وأين هم أنفسهم؟ بائسون يعيشون حياة بائسة..مثلي. وأنتِ تريدين أن تعودي لكل هذا؟

هزّت كتفيها وقالت ببساطة:

ـ نعم! هذا عمل أسهل. فلم لا؟ أنت فقط الذي تعقّد الأمور.

ـ حمقاء!

ـ هذا اختياري.

ـ طيب.. هل تركتِ العمل هناك نهائيا؟

ـ لا، لم يفصلوني رسميا، لكنهم يُبعدونني عن العمل ويسحبون مني حساباتي ومسئولياتي تدريجيا.. فاهم؟

ـ نعم، أفهم.. هكذا فعلوا معي من قبل.

ـ حقا؟!

- نعم.. اسمعي، سأطلب منكِ مهمة أخيرة قبل الاستقالة.. أو الفصل.
- لكن.. قلت لك إنهم يراقبونني!
- نعم نعم، لكن هذا سهل. ملف واحد ستضعينه على جهاز تامر وتنقرين عليه، وكل شيء سيتم تلقائيا بعد ذلك.
- لكن كيف سأضعه هناك؟
- سأعطيك الملف على ذاكرة فلاش، تسللي إلى مكتبه في الاستراحة.. لن يستغرق الأمر دقيقة.
- أظن أن الجهاز محمي بكلمة مرور.
- سأعطيكِ كلمة المرور!
- كيف؟

ضحك عماد وقال:

- الأحمق لم يغيرها منذ كنا نسكن معا، كنت أراه وهو يكتبها ولم يتصور أنني أستطيع التقاطها من حركة أصابعه، وما زال يستخدمها على كل أجهزته!

قالت بانبهار:

- تستطيع التقاط كلمة المرور من مجرد حركة أصابعه وهو يكتبها؟
- ليس من أول مرة طبعا.. صورته بالفيديو، وفحصت الفيديو فيما بعد حتى عرفتها!

حدقت فيه غير مصدقة، ثم هزت رأسها وقالت:

- أنت.. شيطان!
- لحظة، سأنسخ لكِ الملف.
- هل يعني هذا أننا اتفقنا؟ سأعمل معكم؟

قال وهو يحرك الفأرة لينسخ الملف:

ـ نعم، سأرى إن كانوا يريدون عمالا في المطبخ!

أخرجت لسانها متظاهرة بأنها ستتقيأ، فضحك.. نزع ذاكرة الفلاش من الجهاز وناولها إياها. تناولتها وقلبتها بين أصابعها للحظات مفكرة، ثم قالت:

ـ صحيح.. مبروك، على الزواج!

ـ شكرا!

ـ هل هي تعرف؟

ـ تعرف ماذا؟

ـ العمل الحقيقي والمزيف؟

ـ لا.

ـ لماذا؟

ـ تريدني أن أتوقف.

ـ تقصد أنها تظنك توقفت بالفعل؟

رمقها عماد بنظرة طويلة ولم يرد.

***

دلفت هبة إلى مكتبه وهو مشغول بمتابعة شاشة الكمبيوتر باهتمام شديد. أشار إليها بالجلوس من دون أن يرفع عينيه عن الجهاز.

انتظرت وانتظرت، بينما ظل هو يتابع في صمت. قالت أخيرا في ملل:

ـ ها؟ «طلّعت قُماش»؟

هز رأسه في حيرة والتفت إليها قائلا:

ـ شاشة جهاز تامر. غير معقول! هل هذا كل ما يفعله حقا في العمل؟ يلعب «سوليتير» وينسّق ملفات نصية؟

قالت ببساطة:

- لا أعرف، ربما كشف اللعبة!
- كيف؟ هل تعتقدين أنه رآكِ؟
- لا، لم يرني، أنا متأكدة من هذا، لكن.. ربما كان حذرا.. ربما لاحظ البرنامج على جهازه، أو ربما لديه برامج حماية..

رمقها للحظة في شك، ثم قال:

- ربما!
- متى أبدأ العمل؟
- فورا، ستتولين رئاسة فريق، لكن بعد فترة تدريب و...

قاطعته طرقات على الباب، ودخل حمدي يتنحنح ثم قال:

- عماد بك، أستاذ أسامة رشدي هنا، ويقول إن هناك موعد متفق عليه مع رجب باشا.
- صحيح. دعه يدخل.

دخل أسامة. روبوت آخر يحمل حقيبة جلدية سوداء، ويرتدي ابتسامة بلاستيكية، لا يختلف في شيء عن شادي أو عن حمدي. من أين يستوردون هؤلاء؟

انصرفت هبة، وتقدم أسامة من عماد فصافحه ثم جلس وفتح حقيبته، وأخرج منها جريدة وفتحها على مقال ما، ووضعه أمام عماد.

هز عماد رأسه متسائلا عن مقصده، فأشار أسامة إلى اسم كاتب المقال.

قال عماد:

- طارق هلال، ماذا عنه؟
- اقرأ المقال.
- قرأته اليوم.. مقال يثير الشكوك حول أعمال رجب مدكور.

ـ بالضبط. مطلوب التخلص منه.

ـ التخلص منه؟ تقصد التشكيك في مصداقيته؟ الهجوم عليه وعلى...

ـ لا.. التخلص منه تماما.

هب عماد واقفا، وانعقد لسانه تماما للحظات، ثم صاح أخيرا باستنكار:

ـ ماذا تعني بالتخلص منه؟ نحن لسنا...

ـ اجلس واهدأ يا عماد بك.. أنا أوصل رسالة من رجب باشا مدكور.

جلس عماد وشهق بعمق مسيطرا على أعصابه، فتابع أسامة:

ـ سأخبرك بالقصة كلها، إما التخلص منه أو تخليصه من الوثائق التي لديه!

ـ أي وثائق؟

قال أسامة:

ـ اجلس، سأحكي لك كل شيء.

٣٤#

جلس عماد في غرفة الاجتماعات ينتظر الباقين لبدء الاجتماع. فتح صفحة طارق هلال الشخصية على الفيس بوك وراح يتصفح منشوراته الأخيرة، ملاحظاته على الصفحة، صوره، مقالاته في الصحف. كان عماد يعرفه جيدا، لكنه لم ينتبه من قبل إلى أنه متابع جيد له إلى هذا الحد. كان يقرأ مقالاته ومنشوراته كلما مرت أمامه، ربما ليس إلى حد أن يفتح محرك البحث ليبدأ يومه بقراءة مقالاته مثلا، خاصة أن كتاباته لم تكن عبقرية إلى هذا الحد. ربما لأنه من جيله؟ لو أن نجيب محفوظ نفسه كان من جيلك وقرأت له في بداياته بعض الأعمال الساذجة على مدونته - لو أن نجيب محفوظ كتب في مدونة - لما اعتبرته كاتبا أسطوريا مهما كتب.

كان عماد يعرفه جيدا. لم يكن يقرأ مدونته فحسب، وإنما كان يتبادل معه بعض التعليقات والمناقشات على مدونته أيامها، قبل أن تظهر شبكات التواصل الاجتماعي وتبتلع كل هذه المدونات. كان يعرف عنه الكثير، كان طارق هلال من قرية صغيرة في محافظة أسيوط، وجاء إلى القاهرة - مثل عماد - بحثا عن مستقبله المهني في الصحافة، لكنه لم يُخلص للقمة العيش - كما فعل عماد - وإنما انساق وراء أحلامه ومبادئه وقضى حياته في القاهرة يقاتل من أجلهما. طارق ما كان ليقول

كما قال عماد «أنا أبحث عن لقمة عيشي»، ولو فعل لصار نسخة أخرى من عماد.. لكنه لم يفعل، لم يختر لقمة العيش، ولم يختر سلامته، وانحاز إلى المبادئ والمستقبل والوطن والثورة وكل هذا الهراء..

والنتيجة؟ لا نتيجة. أحمق آخر سيُدهس تحت الأقدام وسيطويه النسيان.

والآن، ها نحن في المواجهة يا طارق، وأنا مكلف بالقضاء عليك.. بسحقك تماما، أنت وأحلامك ومبادئك وتضحياتك.

ستقاتل وتقاوم يا طارق، لكنني أقوى منك، بكل الإمكانات الممنوحة لي، أنا أقوى منك، وبوجودهم خلفي لن ينقذك مني تعاطفي معك.

اعذرني يا طارق، نهايتك ستكون على يدي.

اكتمل الحضور حول الطاولة، آخرهم كانت هبة التي أغلقت الباب خلفها ثم اتخذت مقعدها بينهم في انتظار أن يبدأ عماد الاجتماع. قال عماد دون إبطاء:

ـ لنبدأ الاجتماع. سنتكلم عن مهمتنا الأساسية اليوم، لكن قبل الدخول في التفاصيل: ما أخبار العمل؟

سرت همهمات ميز فيها عماد كلمات «تمام» و»بخير»، بينما قالت هبة بوضوح:

ـ عندنا مشكلة.

سأل عماد باهتمام:

ـ ماذا؟

ـ عندنا نقص في حسابات الشبكة..

وقال عاصم وكأنما كان ينتظرها لتفتح الموضوع:

- عندنا حسابات كافية، لكن.. معظم الحسابات منشأة حديثا، وطبعا هذا يعني أننا لن نستطيع استخدامها في أي مهام الآن!

قال صابر باستهتار:

- نستخدمها ولو انكشف ننشئ غيرها!

قالت هبة بانبهار مصطنع:

- صحيح! كيف غابت عنا هذه الفكرة؟ ننكشف تماما في أول مهمة ونعود إلى نقطة الصفر!

رد صابر في حدة:

- عندك حل آخر يا أم العباقرة؟

احتقن وجه هبة وهمت بالرد، لكن عماد أوقفها بإشارة من يده، ثم قال:

- لسنا هنا لنتشاجر. الحلول موجودة، نستخدم حسابات قديمة ونغير بياناتها.

ظلوا يحدقون فيه بانتظار المزيد، وكأنه قال شيئا غامضا، فأضاف موضحا:

- نسرق بعض الحسابات.. هذا مكتوب في دليل العمل، أليس كذلك؟

قال صابر:

- مكتوب طبعا و...

في الوقت نفسه ترددت صيحات النفي بين الباقين، فاحمر وجه صابر. قال له عماد:

- لم تقرأ الدليل حتى الآن؟ طيب، لي كلام معك بعد الاجتماع. المهم، الموضوع بسيط، سأعطيكم قائمة مرتبة بأشهر ١٠ كلمات مرور مستخدمة بين العامة، تختار الحساب وتجرب

الدخول بكلمات المرور هذه بالترتيب.. فمثلا تجرب اسم المستخدم نفسه كما في بريده الإلكتروني، إن لم يصلح فجرب «اسم المستخدم +١٢٣».. بعدها جرب تاريخ ميلاده الموجود في ملفه الشخصي، ثم رقم هاتفه الأرضي ثم المحمول، وبعد ذلك كلمات مرور عامة مثل: ١٢٣٤ أو ١٢٣٤٥٦ أو password وهكذا.

- من الحمار الذي ما زال يستخدم كلمات مرور مثل هذه؟
- كثيرون.. أكثر مما تتخيل!
- وماذا لو كان الحساب محميا؟
- اتركه يا سيدي، لا وقت لدينا.. ابحث عن غيره.

والتفت إلى إيهاب قائلا:

- تقدر تكتب هذا الكلام وتضيفه للدليل؟

أومأ إيهاب برأسه إيجابا في حماس، فقال عماد:

- والآن، هل انتهينا؟

قال صابر:

- نعم، كله تمام يا ريس!

رمقه عماد بنظرة جانبية ثم تنحنح وقال:

- طارق هلال، الصحفي الشاب، هو هدف مهمتنا الجديدة. هل تعرفونه؟

أومأ بعضهم برأسه إيجابا، بينما تلفت آخرون حولهم في حذر خشية الظهور بمظهر الجاهل، لكن عماد لم يعبأ بكل هذا، وواصل:

- طارق هلال وصل إلى ملفات ووثائق متعلقة برجب مدكور وبعدد من الأسماء الكبيرة الأخرى.. هي وثائق سرية يهمنا ألا تتسرب أو تُنشر.. طارق سلّم الوثائق والمستندات إلى

ضابط شرطة، ولحسن الحظ استطاع رجب بك تدارك الأمر واستعادة الوثائق الأصلية بطريقته. المشكلة أن طارق هلال كان يحتفظ بصور من الوثائق على إيميله الشخصي، أو هكذا قال. وهذا هو المطلوب منا، مسح هذه الملفات من إيميله بأي شكل!

خيم علهم الصمت جميعا، وتبادلوا النظرات الحائرة، حتى تشجع عاصم أخيرا وغمغم:

- لكن.. هذا ليس عملنا.. هل يحسب رجب بك أننا نستطيع اختراق خوادم بريد جوجل مثلا؟

قال عماد بنفاد صبر:

- لا أحد قال هذا، ورجب بك أعطانا المهمة ولا يهمه كيف سننفذها.

قال عاصم:

- إذن كيف سنفعلها؟

- هذا هو السؤال الذي نحن هنا من أجله!

- جميل، الإجابة: لا نعرف!

قال عماد بحدة:

- أنتم رؤساء الفرق هنا، المديرون، أنتم العقول المفكرة في هذا المكان، عملكم هو هذا بالضبط، التفكير.. فكروا إذن!

هم عاصم بالرد، لكن إيهاب تدخل قائلا:

- حملة هجوم على السوشيال ميديا؟

قال عماد وقد تخلى عن حدته هذه المرة:

- لن يصلح هذا، قد ننجح في تدمير سمعته وربما إفقاده عمله، لكن هذا قد يدفعه لنشر الوثائق فورا على سبيل الانتقام.

ـ ولماذا لم ينشرها حتى الآن؟
ـ ربما لأنها نسخ رقمية، لن تعتبر أدلة يعتد بها.. ربما هو يحاول الآن الحصول على نسخ أخرى أو أدلة أخرى.

قالت هبة:

ـ إذن.. نحن نريد اختراق بريده الإلكتروني أو أحد أجهزته؟
ـ بالضبط.
ـ لكن.. هذا يحتاج إلى «هاكر».
ـ أو إلى حيلة.
ـ حيلة؟
ـ الهندسة الاجتماعية.
ـ كيف؟
ـ يعني نحن لا نستطيع اختراق خوادم جوجل، لكن ربما نستطيع تخمين كلمة المرور مثلا، أو إجباره على البوح بها أو.. أي شيء.

أكمل إيهاب:

ـ ابتزازه؟

قال عماد موافقا:

ـ بالضبط!
ـ نعم.. لكن كيف؟

قالت هبة:

ـ تهديده بأي شيء.. فضيحة ما..

قال صابر بحماس:

ـ علاقة جنسية!

قال عماد بغيظ:

- ومن أين سنجد واحدة؟

قال صابر ببساطة:

- نلفق له واحدة، كما في الأفلام القديمة، فتاة نستأجرها توقع به وتستدرجه لعلاقة حتى تصوره و...

ضرب عماد الطاولة بكفه، وهتف:

- لا! لن ننزل إلى هذه الدرجة.

تبادلوا نظرات الدهشة، وران الصمت، فانتبه هو لحدته، وخفض صوته وهو يقول:

- لنبحث عن حل آخر.

قال صابر ساخرا:

- حل أخلاقي؟

رمقه عماد بنظرة جانبية، ولم يعلق، فقال إيهاب بلباقة:

- الحل المنطقي أن نعثر على معلومات حقيقية، أي شيء نستند إليه ونضخمه أو نهدده بتسريبه.

أمّنت هبة على كلامه، قائلة:

- صحيح، مهما كان نظيفا، فلا بد أن لديه أسرارا أو معلومات لا يريد لها أن تُنشر على الملأ.

- ربما لو وجدنا طريقة لاختراق جهازه أو سرقة هاتفه المحمول أو...

قال عماد في شرود:

- سرقة هاتفه المحمول؟ أو.. الوصول إلى جهازه الذي يستخدمه...

هبّ من مقعده فجأة. لقد تذكر شيئا. غاب لحظات ثم عاد بحاسبه المحمول، وضعه أمامه وراح يجري بالفأرة في توتر. ظلوا يتبادلون النظرات للحظات، حتى طال به الأمر، فراحوا يتهامسون ثم يتناقشون بصوت مسموع وكأنما غادرهم، بينما ظل هو منكبا على شاشة الجهاز يقرأ ويقرأ.

أخيرا توقف، ورفع رأسه إليهم وقد بدا عليه الظفر، وقال:

- وجدت الحل.
- فعلا؟ ما هو؟
- نحتاج إلى فحص دقيق لكل حسابات ومنشورات طارق هلال على الإنترنت، نريد ٣ معلومات أساسية: موقعه المفضل للتسوق الإلكتروني، طراز هاتفه المحمول الحالي، ورقم هاتفه المحمول.

سرت بينهم همهمات حائرة، وسألته هبة:

- وكيف سيفيدنا هذا؟
- سأخبركم بالتفاصيل في اجتماعنا التالي، لكني أريد هذه المعلومات فورا.
- فورا؟
- بعد ساعة من الآن.

غمغم صابر محتجا:

- والاستراحة؟

كرر عماد بصرامة:

- بعد ساعة من الآن. تفضلوا.

#٣٥

موضوع من منتدى (الجحيم):

@لورد:

«طريقة لاختراق الحسابات بزرع هاتف للهدف بدلا من اختراق هاتفه:

- تتم مراقبة الهدف المطلوب اختراقه على السوشيال ميديا ومتابعة عاداته وتفضيلاته في التسوق عبر الإنترنت.
- تحديد نوعية الهواتف المحمولة التي يفضلها.
- شراء هاتف جديد من الطراز المحدد، حاول أن يكون الجهاز مغريا بما يكفي ليحتفظ به.
- فتح الجهاز وزرع أحد برامج التجسس التي تعمل بصمت في خلفية نظام أندرويد (تجدون أمثلة لها **في هذا الرابط** مع الشرح وروابط التحميل)، ثم إغلاق الجهاز، وإعادته إلى صندوقه بتغليفه الأصلي ليبدو كالجديد. برنامج التجسس لن يزول بإعادة الجهاز إلى حالة المصنع، لكن جرب أولا للتأكد من نجاح تشغيل البرنامج.

- ضع الجهاز في صندوق شحن أصلي تابع لمتجره الإلكتروني المفضل، وليكن (أمازون). تستطيع استخدام أي صندوق قديم جاءك من الموقع.
- أرسل الجهاز مع عامل توصيل يرتدي ملابس عليها شعار الموقع، ليسلمه له ويخبره أن الشحنة مدفوعة مسبقا.
- قد يشك في الموضوع كله طبعا، لكنه غالبا سيعتبر الأمر خطأ حدث من الموقع وسيأخذ الجهاز لنفسه كهدية مجانية!
- عندما يستخدم الجهاز سيصير بإمكانك أن تراقب جميع أنشطته على الجهاز، واختراق حساباته ونسخ ملفاته وصوره من على بعد.»

@الهوبيت:

«خدعة ساذجة لن تصمد طبعا. الشخص المستهدف سيتصل حتما بالموقع، وسيكتشف أنهم لم يرسلوا شيئا، وعندها قد يسلم الجهاز إلى الشرطة، والشرطة ستفحص الجهاز وتكتشف برنامج التجسس، وقد تنصب لك فخا وتتتبعك.»

@القاتم:

«مخاطرة كبيرة، وإهدار لهاتف جديد بلا فائدة، واحتمالات نجاحها ضعيفة».

@آلان سوبرانو:

«هذه الفكرة ستنجح في بلدان العالم الثالث بالتأكيد، لا أحد هنا سيفكر في الاتصال بالموقع ولا بالشرطة، وحتى لو فعل، فالشرطة لن تفحص الهاتف!».

@لورد:

«الهندسة الاجتماعية يا شباب! تعديل بسيط وتصير اللعبة محبوكة:

- احصل على رقم هاتفه المحمول.
- أرسل له رسالة قصيرة على هاتفه تتضمن تهنئة بفوزه بهذا الجهاز في قرعة عشوائية على عملاء الموقع، (أو لأي سبب آخر تراه مقنعا له)، ثم أتبعها باتصال هاتفي من شخص يقول إنه أحد مسئولي التسويق في الموقع، وإنه سيتابع معه شخصيا حتى يتسلم جائزته. سيبدو من المكالمة إن كان قد ارتاب أم لا، فإن ابتلع الطعم تستطيع الانتقال إلى الخطوة التالية من دون مخاطرة.
- بعد توصيل الشحنة، يتصل به الشخص نفسه للتأكد من التسليم (وللتأكد من أنه لن يتصل بالموقع الحقيقي لأي سبب فيكشف اللعبة).

والآن ما رأيكم في الفكرة بعد هذه التعديل؟»

***

حبسوا أنفاسهم في ترقب.

كانت الشاشة الكبيرة في غرفة الاجتماعات مفتوحة، ومتصلة بكابل طويل ينتهي بحاسب عماد المحمول، وأمامها التف فريق المديرين مع عماد حول طاولة الاجتماعات، يحدقون في الصورة المعروضة عليها، شاشة هاتف محمول، تظهر فيها نافذة خطوات إعداد الهاتف لأول مرة، خانة تطلب كتابة الاسم الأول، وأخرى تطلب اسم العائلة، ثم زر «التالي».

للحظات لم يحدث شيء، وظلت الشاشة ثابتة، فقال صابر ساخرا:

- يبدو أنه لا يتذكر اسمه!

مرت لحظات أخرى ثم ظهر مؤشر الكتابة، مع لوحة المفاتيح أسفل الشاشة، وبدأت الحروف تنكتب: **«ريهام مصطفى»**.

تمتمت هبة بدهشة:

ـ ما هذا؟

وصاح عماد وقد احتقن وجهه:

ـ تبا!

وغمغم إيهاب:

ـ يابن الكلب!

بينما انفجر صابر في الضحك، ورمقت هبة عماد بتعاطف، وقالت مقررة ما بدا واضحا للجميع:

ـ أعطاها الهاتف هدية؟!

قال صابر وسط ضحكاته:

ـ نجرب مرة أخرى، نشتري له «تابلت» هذه المرة!

قال عاصم وقد راقت له الدعابة:

ـ الوغد سيحقق أحلامه على حسابنا!

رد صابر بسرعة:

ـ هذا إن لم يعطه هدية لأمه أصلا!

جز عماد على أسنانه، وقال لصابر:

ـ توقف عن السخرية لحظة، وافعل شيئا! وأنتم جميعا، ابحثوا عن هذه الفتاة. من هي ريهام مصطفى، وما علاقته بها؟

فتح صابر حاسبه المحمول، بينما قال إيهاب قد بدأ يبحث على هاتفه بالفعل:

ـ جوجل لا يعرف عنها شيئا، ليست شخصية معروفة.

قال عماد:

ـ والفيس بوك؟

قال صابر:

ـ ربما هي هذه..؟ تظهر معه في صور كثيرة على الفيس.

أدار الشاشة لتواجه الباقين، وراح يستعرض صورهما سويا. أغلب الصور كانت جماعية، مع ما يبدو أنه فريق عمل في جريدة أو ربما في موقع ما..

قال إيهاب:

ـ طارق دائما بجوارها.

واصل صابر استعراض الصور، حتى هتفت به هبة:

ـ توقف هنا، صورة «سيلفي» لهما فقط.

قال عماد:

ـ وماذا في ذلك؟ الزملاء يلتقطون صور «السيلفي» معا طوال الوقت.

ـ دقق هنا، يده على كتفها.

ـ عادي أيضا، ربما...

ـ ويدها اليسرى.. حول وسطه!

ـ آه!

قال عماد في توتر لم يدرِ ما سببه:

ـ إذن فاللعبة لم تفشل تماما..

ـ نعم، بالتأكيد سنعثر على ما نريد في محادثاتها معه.

قال صابر:

ـ لكن كيف سنعرف؟ ربما هما يتكلمان في التليفون أو على الواتساب أو...

أشار عاصم إلى الشاشة الكبيرة وصاح:

ـ انظروا!

كانت الشاشة تُظهر كلمة المرور تنكتب في تطبيق «فيس بوك ماسنجر»، ثم زر «تسجيل الدخول» ينضغط.

هتف صابر:

- تبا! لم ألتقط كلمة السر.

رد عماد بالتوتر ذاته:

- كل هذا مسجل بالفيديو.

قالها، وتناول الفأرة، وفتح فيديو التسجيل. جرى بمؤشر الفيديو دقائق إلى الأمام حتى لحظة كتابة كلمة السر، وبدأوا جميعا يتابعون الحروف التي تنكتب:

- Riri_١٩٩٠

- والبريد الإلكتروني، عد ثوانٍ للخلف.

فعل عماد، وراحوا يقرأون:

riham_mostafa_ana@gmail.com

فتح عماد موقع فيس بوك على المتصفح، فظهر الموقع من حسابه الشخصي، سجل الخروج، ثم عاد للدخول بحسابها، وفتح تبويب الرسائل. كانت رسائل ريهام مع طارق في الأعلى. غمغمت هبة:

- واضح أنهما مقربان فعلا.

وقال إيهاب بحماس:

- هذا ما كنا نبحث عنه. انظروا.. الكثير من الرسائل الصوتية. لنستمع إلى بعضها. بالتأكيد سنجد شيئا هنا.

انتقى عماد رسالة صوتية، وضغط زر التشغيل، فخرج صوت الفتاة من سماعات الشاشة:

- «يا (طقطق)! اشتريت لك نسخة من ديوان نجم، لا تشتريها مرة أخرى. وصباح الفل على عيونك!».

ثم رسالة صوتية أخرى من طارق:

- «أين أنتِ يا بنتي؟ رقمك غير متاح من الصبح، قلقت عليكِ».
- «سأخرج مع لمياء وماما اليوم، لا تتصل وأنا معهما، لا داعي للفضائح من فضلك.. اصبر، سأعود إليك، لن أطير.. (صوت قبلة)».

رسائلها الصوتية الشخصية تُسمع على الملأ في قاعة اجتماعات، ينصت إليها هؤلاء الغرباء الذين لم تلتق بهم من قبل.. ماذا لو عرفت؟ ماذا لو رأت منظرهم هذا وهم يدونون انطباعاتهم عنها وملاحظاتهم على شخصيتها.. ما كانت لتتباسط في كلامها، لربما كانت أكثر حذرا.

راحوا يستمعون إلى عشرات المحادثات الصوتية المشابهة، حتى قال عماد في فتور:

- لا جدوى من كل هذا.

ونهض يمط جسده الذي تصلب من الجلسة لوقت طويل.

تناولت هبة الفأرة وشغّلت المحادثة التالية، فأتاهم صوت طارق:

- «سأكلمك في التليفون بالليل، حتى ننام معا كالأمس».

هتف صابر في ظفر:

- هذه هي.

قال عماد:

- لكن.. هو لا يقصد هذا.. هو يقصد أنهما كانا يتكلمان في التليفون حتى النوم.
- ربما، لكن هذا هو ظاهر الكلام.. ونشر هذا التسجيل سيحقق الفضيحة المطلوبة.

قال إيهاب:
- ويمكننا التأكد.. ماذا لو استمعنا للمكالمة اليوم؟ نحن نستطيع هذا، صحيح؟
أجاب عماد بتوتر:
- نستطيع تسجيل المكالمة ثم نحصل على ملف التسجيل.. نعم.
- عظيم. لنفعل هذا.
- ليكن، لكن كل هذا لم يحقق الهدف المطلوب.
- الوثائق؟
- بالضبط.
- سمعت أن هناك ملفات تجسس يمكن أن تتلقاها على بريدك الإلكتروني، وبمجرد أن تفتح الملف يعمل في الخلفية ويرسل معلوماتك إلى الهاكر.
- صحيح، لكن طارق قد يكون حذرا.. قد لا يفتح الملف، وأي حمار الآن يعرف أنه لا يجب أن يفتح أي ملف من رسالة مجهولة.
- نعم، لكن ماذا لو كانت الرسالة من حبيبته؟
- تعني..؟
- نعم، الرسالة تأتيه من ريهام نفسها!
تفكر عماد هنيهة ثم قال بحزم:
- طيب، واصلوا فحص هذه الرسائل، وسأقوم أنا بإرسال الرسالة.
تركهم واتجه لمكتبه.

لماذا لا يتحمس كلما اقتربوا من تحقيق الهدف بدلا من أن يتوتر هكذا؟ هل يتمنى في قرارة نفسه أن يفشلوا؟

هز رأسه كأنما ينفض عن رأسه هذه الهواجس، وفتح بريدها الإلكتروني، وراح يقرأ.. عثر على رسائل ومحادثات مختلفة مع طارق. مناقشات طويلة في السياسة والأحداث الجارية، الكثير من الثرثرة عن الشعر والأدب وعن حياتهما اليومية.. توقف عند رسالة بها عدد من الملفات النصية والكتب بصيغة pdf، فتح عماد بعضها، كانت كلها دواوين شعرية وقصائد، مع تعليق كتبه طارق في نهاية الرسالة:

«لا تنسي البحث عن الملف الذي حدثتني عنه، قصائدك التي أرسلتها إلى دار النشر قبل أن تُغلق، ابحثي باسم الملف أو باسم دار النشر وسوف تجدينه إن شاء الله، وأرسليه لي طبعا، أريد أن أقرأ أشعارك العظيمة!».

هذا هو.

لم يكن هناك رد من ريهام، يبدو أنها نسيت أو فشلت في العثور على الملف.

جرب عماد البحث بكلمات مختلفة: (قصائد)، (شعر)، (ديوان)، مع تصفية النتائج بإظهار الرسائل التي تحتوي على ملفات مرفقة فقط. عثر على الملف أخيرا.

فتح متصفح (تور)، ونقر على زر الاتصال.. سيدخل الشبكة المظلمة من جديد.

كان يعرف ما الذي يبحث عنه بالضبط، موضوع في منتدى (الجحيم)، وجده محفوظا في ملف نصي عنده. فتح صفحة الموضوع حتى عثر على الروابط. حمّل ملف التجسس بصيغة docx (مايكروسوفت وورد)، ونسخ فيه محتويات ملف ريهام، وأعاد تسميته ثم أرسله إلى

طارق من بريدها وجلس ينتظر.

بعد ساعة وصله تنبيه من برنامج التجسس: لقد فتح طارق الملف، وتم زرع البرنامج.

لم يضيع عماد وقتا، فتح البرنامج ودخل إلى جهاز طارق. كانت حافظة الشاشة تعمل وتغطي الشاشة ببالونات ملونة تتطاير في كل اتجاه، بما يعني أنه ترك جهازه مفتوحا. شغّل نظام التحكم عن بعد في جهاز طارق، وحرك الفأرة فزالت حافظة الشاشة فورا.. ليأمل أنه لا يرى الشاشة الآن. يجب أن ينتهي بسرعة. كانت نافذة المتصفح مفتوحة على موقع فيس بوك، وفي الخلفية موقع تويتر وعدد من المواقع الإخبارية.

فتح موقع بريد (جيميل)، كانت كلمة المرور مسجلة فانفتح صندوق الرسائل ببساطة. والآن كيف سيعثر على الوثائق وسط كل هذه الرسائل؟

بدأ البحث بتبويب (الرسائل المهمة)، الرسائل التي يميّزها طارق بعلامة النجمة لأهميتها. لم يجد شيئا فيها.

فكر قليلا ثم فتح صندوق البحث وكتب بريد طارق نفسه، فظهرت رسائل قليلة في نتيجة البحث.. الرسائل التي أرسلها طارق إلى نفسه فحسب. في مقدمتها رسالة بلا متن بعنوان (مهم جدا - رجب مذكور)، مع عدد من الملفات المرفقة.. هذه هي الوثائق.

أسرع! قد يعود طارق في أية لحظة. قد ينتبه إلى ما يحدث على شاشة جهازه.

فتح الرسالة. المرفقات كانت ملفات صور وpdf مرفقة. ضغط زر (إعادة توجيه)، وكتب بريده الإلكتروني الخاص وضغط زر الإرسال. أعاد فتح الرسالة ثم مسحها. فتح صندوق الوارد ومسحها من هناك كذلك. فتح صندوق المحذوفات ومسحها من هناك. هل نسي شيئا؟

أغلق نافذة المتصفح وجلس يلهث.

تناول هاتفه واتصل برجب مدكور. سمع صوته من الناحية الأخرى فقال بلهفة:

- رجب باشا، تم العثور على الملفات المطلوبة ومسحها. هو الآن ليس بحوذته شيء.
- لا يكفي. هو ما زال يكتب.
- لكن..
- لا لكن يا عماد، يجب إيقافه عند حده تماما. نفذ.

الوغد! يصر على وضعه في هذه المواجهة.

نهض في تباطؤ وعاد إليهم في قاعة الاجتماعات. كانوا مستمرين في سماع الرسائل. التفتت العيون إليه في تساؤل، فقال في جمود:

- سربوا التسجيلات.

***

أنت تعرف كيف تحدث هذه الأمور. فجأة تظهر هذه التسجيلات على صفحة مجهولة أو على قناة مغمورة على موقع يوتيوب، ثم تُنسخ ويعاد نشرها عشرات المرات.. البعض يحمّل التسجيل نفسه ويرسله إلى المجموعات الخاصة على الواتساب، والمواقع الإخبارية تتلقف التسريب وتنشر نصه، لأنها لا تجرؤ على نشر التسجيل نفسه، لكن هذا يكفي لإثارة فضول القارئ ودفعه للبحث عن التسجيل.. وليس الأمر صعبا على الإطلاق، سيبحث على جوجل أو على فيس بوك أو على يوتيوب، سيجرب كلمات مفتاحية عامة مثل (طارق هلال+تسريب) وسيعثر عليه في غضون ثوان. سيكتب البعض عن لا أخلاقية التسريب وعن ضرورة احترام الخصوصية، لا سيما وأن التسريب لا يتضمن ما يشين، لكن بعد فوات الأوان. حاول أن تضغط زر الإبلاغ وتطالب بحذف الملف قد يُحذف مرة أو مرتين، لكن العفريت سيكون قد خرج من القمقم

ولن يعود بإمكان أحد أن يعيده حيث كان. سينتشر التسجيل وتحدث الفضيحة، وستشتعل مواقع التواصل الاجتماعي بالمناقشات الساخنة.. سيقولون: «ياللعار!».

«علاقة سرية؟ ياللعار!»

«تسريب وانتهاك خصوصية؟ ياللعار!»

«تدافعون عن الانحلال؟ ياللعار!»

«تبررون انتهاك الحرمات؟ ياللعار!»

«تدعون الفضيلة وأنتم أول من هرع لتتبع عورات الناس؟ ياللعار!»

حتى تخبو النيران ويُنسى الموضوع برمته مع «التريند» التالي.

لكن الموضوع هذه المرة لم يمر بسلام.

في اليوم التالي لظهور التسريب، وفي غمرة اشتعال «التريند» قرأ عماد الخبر: ريهام اختفت.. اختطفت.

وعلى الفيس بوك قرأ منشورا كتبته إحدى زميلات ريهام يروي ما حدث: ريهام من أسرة صعيدية، والدها متوفي، وهي تسكن في القاهرة مع والدتها المسنة، التي لا تعرف أين اختفت ولماذا لم تعد، و الفتاة - كاتبة المنشور - تشك في أقاربها في الصعيد الذين - حتما - وصلهم التسريب.

تابع عماد المناقشات الساخنة التي تطورت لتتناول خطورة انتهاك الخصوصية، الذي وصل - كما في هذه الحالة - إلى الاختطاف.

«هذه هي عواقب الانتهاك».. والرأي المضاد: «لا، بل هي عواقب الانحلال».

لكن التصاعد يستمر.. في اليوم التالي عُثر على طارق هلال ملقى

في شارع جانبي مضروبا جريحا ونقله بعض المارة من أولاد الحلال إلى المستشفى، والآن هو في العناية المركزة بين الحياة والموت.

تابع عماد كل هذا من بعيد.

كان يتمنى أن يكون كالآخرين، يتابع حتى لا يفوته موضوع «التريند» الحالي.. كان يتمنى لو استطاع ألا يتابع أصلا. كان يتمنى أن يتابع وهو يرى الخيوط تعود إليه والإدانة تقترب منه، لكنه كان يعرف أن هذا لن يصير. هو فعل هذا، ولن يدينه أحد. نظر إلى يده المرتعشة ووضعها على لوحة المفاتيح.. بهذه الأصابع سالت دماء طارق هلال، وربما ريهام مصطفى كذلك.

الشرطة تحقق وتبحث في الصعيد، لكنهم لا يبحثون عنه ولن يصلوا إليه.

مرحى يا عماد، لقد صرت قاتلا.

٣٦#

عماد زوجها يخفي شيئا. هذه أمور لا تحتاج المرأة إلى دليل ملموس لتصل إليها.. فقط هي لا تعرف ما هو هذا الشيء، وهذه أمور حتى المرأة تحتاج إلى دليل ملموس لتصل إليها.

عندما تركت آية عملها في شركة الكمال، قبيل زواجها من عماد الصاوي، كان ذلك بمحض إرادتها؛ لم تكن بحاجة للوظيفة، ولا لإثبات وجودها وتحقيق ذاتها بجانب زوجها، ولا هي ينقصها المال، فمصروفها من أبيها لم ينقطع حتى بعد زواجها، وإن كان عماد لا يعرف بذلك.. لم تكن حتى بحاجة للادخار لتشتري سيارة مثلا فلديها سيارتها الخاصة، ولا هي تخشى المستقبل، فحسابها في البنك سيؤمن لها حياة كريمة إذا ما تعثر هذا الزواج أو وقع ما لم تحسب له حسابا.. ثم إنها تعشق النوم، وتعشق السهر، وتكره الالتزام، فلماذا تتخلى عن هذه الإمكانية - إمكانية البقاء في البيت بلا وظيفة تقيدها - إذا كان هذا متاحا؟ لا أحد يختار الشقاء لنفسه ما لم يكن مضطرا أو لديه دافع شخصي أو أحمق طبعا، وآية لم تكن مضطرة، ولا كان لديها دافع شخصي، ولا هي حمقاء.

تنام وتستيقظ متى شاءت، تشاهد أفلامها ومسلسلاتها المفضلة.. تذهب إلى السينما لمشاهدة الأفلام الجديدة فور نزولها.. تذهب بمفردها، مع أية صديقة متاحة، ولا تربط نفسها بعماد ومواعيده، خاصة بعد أن

أخلف موعده معها ثلاثة مرات من قبل - لظروف العمل كما يقول كل مرة - حتى حسمت أمرها وأخبرته بحسم أنها لن تحرم نفسها ولن تدع ظروف العمل - عمله - تنغص عليها عيشها. قالتها بجفاء، متوقعة أنه سيرفض ويعتذر، لكنه وافق ببساطة. فقط قال لها:

ـ لكن.. اختاري دار سينما راقية، هناك لن يضايقك أحد.

ظلت آية بعدها غاضبة في سرها لموافقته ببساطة هكذا. ألا يخاف عليها؟ ألا يغار؟

لكن هذه المشاعر تبددت مع الوقت، خاصة وهو يعاملها بحنان ودفء، في اللحظات التي لا يضطر فيها للعمل في البيت.. عمله في البيت كان يغضبها، لكنها كانت تقول لنفسها إنه يتولى عملا مهما، وهذه هي ضريبة أن تكون مسئولا.

يكفيها هذا.. يكفيها أن تشعر أنه يحبها حقا، تنعم بحياتها معه، وتستمتع بحياة الحرية في الوقت ذاته، فماذا تريد أكثر من ذلك؟

الملل يطرح نفسه طبعا، لكنها دائما تستطيع أن تجد الصحبة، تزور أمها أو تحدثها في الهاتف، أو تقابل إحدى صديقاتها القديمات، أو تثرثر بالساعات في التليفون مع (نهى) صديقتها المقربة التي تزوجت وسكنت مع زوجها في مدينة العبور، فصارت المسافة بينهما طويلة، وصار التليفون هو وسيلتهما للتواصل.

بدأت فكرة الإنجاب تراودها.. ربما لوفرة الوقت أو بسبب الملل، وربما هي أسئلة الناس عن الإنجاب..

لأسابيع ظلت تمحص الفكرة، وتتخيل حياتها الجديدة في وجود طفل.. طفل بريء جميل يملأ عليها حياتها، ثم تفكر في المسئوليات الجديدة وتتراجع.. تتصفح ملابس وأحذية الأطفال على مواقع التسوق الإلكتروني، فيستهدفها الفيس بوك بالمزيد من الإعلانات عن منتجات

شبيهة. تخرج من الفيس بوك، فتطاردها إعلانات جوجل في أي موقع آخر تزوره..

ملابس أطفال؟ حفاضات؟ ألعاب أطفال؟ جوارب؟ أحذية على شكل أرانب ودببة؟ لدينا كل احتياجات طفلك يا سيدتي، فقط اتخذي قرارك واشتري من موقعنا، بضغطة زر واحدة، والشحن مجانا.

تلح عليها الفكرة، وتزيد الإعلانات في الإلحاح، لكنها لم تطرح الفكرة على عماد، لأنه.. مريب.

الغريب أنه عرف بنفسه بشكل ما، لا تدري كيف.

قال لها:

ـ أنت تفكرين في الإنجاب، أليس كذلك؟

قالت بدهشة:

ـ ماذا؟ كيف عرفت؟

ـ لا يهم..

صاحت بحدة:

ـ هل تراقبني؟ تتجسس عليّ؟

أسرع يحتويها:

ـ لا والله، الفيس بوك هو الذي يراقبك، يتابع المنتجات التي تتصفحينها ويرسل لكِ، ولي أيضا، إعلانات لمنتجات شبيهة.

قالت في شك:

ـ ولماذا يُظهرها لك أنت؟

ـ لأننا نستخدم اتصال إنترنت واحد.. هذا طبيعي.

قبّلها بحنان، ثم قال:

ـ وعلى أي حال، أنا مستعد عندما تكونين مستعدة.

لكنها لم تكن مستعدة.. ينقصها الإحساس بالأمان.

كانت تكره فكرة عمله مع رجب مدكور، وكان الأمر يثير ريبتها في البداية، لكنها لو اشترطت عليه العمل مع من هم فوق مستوى الشبهات، فقد يمكث في البيت بلا عمل، ثم إنه - على الأقل - قد ابتعد عن أعمال التضليل والتزييف التي كان يعمل فيها من قبل، كما أن أنباء نجاح الوكالة كانت مطمئنة.. هذا عمل ناجح وفي النور، صحيح أنه لا يتحدث عن أي تفاصيل تخص عمله، لكن كل صديقاتها المتزوجات يقلن الشيء ذاته عن أزواجهن، هذه آفة ذكورية معتادة فيما يبدو.

لكن عندما بدأت هذه الرسائل المجهولة تصلها على هاتفها بدأت تعيد التفكير..

كانت رسائل مقتضبة من رقم مجهول، تقول إن زوجها يعمل فعليا في وظيفة سرية لصالح رجب مدكور، وإن عمله المعلن ما هو إلا غطاء لهذه الأعمال «المشبوهة».

اشتعلت غضبا في البداية، ثم بدأت تهدأ وتعيد التفكير. ما مصلحة هذا المجهول؟ بالتأكيد هو ليس متفرغا للبحث عن مصلحتها الخاصة، هذه حتما مكيدة ما. لكن.. ما هدفه؟ الإيقاع بينها وبين عماد؟ الانتقام منه أو منها؟ ربما هو أحد خصوم عماد القدامى.. ربما هو تامر؟ هذا هو أسلوبهم على كل حال.

قررت تجاهل الأمر تماما، لكن الرسائل ظلت تتوالى، وكأنها - الرسائل - تقرأ أفكارها وترد عليها:

«حتى لو كنتُ مغرضا، وحتى لو كانت لديّ ضغينة ضد عماد، فهذا لا ينفي احتمال أن أكون صادقا»!

«لا أطلب منكِ تصديق كلامي، تأكدي بنفسك بالطريقة التي تناسبك»!

«نظرة واحدة على جهازه وسترين كل شيء بالتأكيد. أراهن

أنه يخفي عنك تفاصيل عمله بمنتهى الحرص»!

كان من الصعب أن تتجاهل كل هذا.

لماذا لم تواجه عماد؟ لا تعرف. ربما لأنها بدأت تشك فعلا، ولو أنها واجهته من دون دليل فلسوف ينكر ببساطة، ثم يأخذ حذره ويخفي أي أثر قد يكشفه.

ازدادت شكوكها أكثر في الفترة الأخيرة.. صار يتأخر أكثر من المعتاد في العمل، ثم يعود ويغلق على نفسه باب المكتب ويعكف بالساعات على الكمبيوتر، ناهيك عن عصبيته وتوتره المستمرين.. ماذا يشغله بالضبط؟ كيف تتأكد؟

في تلك الليلة جافاها النوم، وظلت في الفراش تتحاور مع أفكارها وهواجسها، وتنتظره حتى ينتهي من عمله. عندما عاد متسللا في الظلام قرب الفجر تظاهرت بالنوم. انتظرت حتى راح في النوم وارتفع صوت غطيطه ثم نهضت. تسللت إلى خارج الحجرة وهي تحبس أنفاسها. وقفت خارج الغرفة تلتقط أنفاسها بشراهة، وكأنما خرجت من غطسة طويلة تحت الماء. انتظرت.. لو شعر بها فقد يتبعها الآن، وعندها ستدّعي أنها كانت ذاهبة للحمام..

مرت دقائق ولم ينهض.. تسللت إلى المكتب، وأغلقت الباب خلفها وأضاءت كشاف هاتفها المحمول، فتحت حاسبه المحمول الذي تركه هناك على المكتب.. ظهرت أمامها شاشة البداية تطالبها بكلمة المرور.

ـ تبا!

وقفت تفكر.

كتبت اسمها.. «كلمة مرور غير صحيحة»!

كتبت اسم (سارة).. «كلمة مرور غير صحيحة»!

فكرت قليلا ثم كتبت (هبة).. شهقت في ارتياح عندما ظهرت

الرسالة الحمراء ذاتها «كلمة مرور غير صحيحة».

تبا! تبا لكل هذه الأوهام!

عادت للغرفة على أطراف أصابعها، واندست في الفراش بجانبه.

اعتدلت مستندة على مرفقها وراحت تتأمله وهو نائم، على الضوء الخافت القادم من الحمام.. ملامحه الطيبة الحنون. كيف اقتنعت ببساطة أنه يكذب عليها؟ كيف يدفعها مجهول مغرض إلى الشك فيه؟ مالت على جبينه وطبعت عليه قبلة. كان هاتفه هناك أمام عينيها، بجوار وسادته، متصلا بكابل الشاحن. قفزت الفكرة إلى رأسها فجأة.. ماذا لو..؟

مدت يدها فوق جسده بحرص، وقبضت على هاتفه، ونزعته من كابل الشاحن بإبهامها. قربت الهاتف من يده، وألصقت إبهامه بزر البداية فانفتح.

هكذا هي التكنولوجيا، محكمة وآمنة، أنت تثق في بصمة إصبعك، وتعرف أنها ملكك أنت وحدك، لكن هل تثق في زوجتك وأنت نائم؟ هذه ليست مسئولية الشركة المنتجة التي صممت نظام الفتح بالبصمة يا أفندم، برجاء التوجه إلى مختص بالمشاكل الزوجية.

أخذت الجهاز وتسللت للخارج، ودلفت إلى الحمام وأغلقت الباب عليها. فتحت المتصفح، وراحت تتصفح الصفحات الأخيرة التي زارها.. مقالات للصحفي طارق هلال، بحث في جوجل عن طارق هلال، ثم عن ريهام مصطفى. من هي ريهام هذه؟ المواقع التي زارها أمس: طارق هلال وريهام مصطفى. أول أمس: طارق هلال. لماذا فجأة يهتم بهذا الصحفي؟ أهو شيء ما في العمل؟

فتحت تطبيقات الرسائل: فيس بوك ماسنجر، واتساب، تليغرام.. لا يوجد ما يريب.

أغلقت الشاشة وغادرت الحمام وعادت متسللة إلى الغرفة. أعادت

توصيل الهاتف بالشاحن، فأصدر نغمة خافتة.. تحرك عماد.. تململ في نعاس ثم تقلب على جنبه الآخر وواصل نومه.. لم يستيقظ. مالت عليه وطبعت قبلة على خده واستلقت على ظهرها بجواره.

عندما استيقظت في اليوم التالي كانت قد حسمت أمرها، ستلقي بكل هذه الشكوك وراء ظهرها، ستنتزعها من رأسها انتزاعا.. بل ستخبر عماد بأمر الرسائل. هو سيفهم بالتأكيد.. هو سيستطيع أن يتوصل إلى مصدرها ويكشف اللعبة الدنيئة.

عادت تستعرض المزيد من ملابس وأحذية الأطفال، ثم بدأت تضيف بعضها إلى «عربة التسوق». لكنها عندما فتحت الفيس بوك لتلقي نظرة سريعة على الصفحة الرئيسة وجدت «التريند».. الجميع يتحدثون عن فضيحة طارق هلال، واختفاء ريهام مصطفى، والعثور على طارق هلال ملقى في الشارع بعد الاعتداء عليه.

أسقط في يدها.. عماد كان يبحث عن طارق هلال بالتحديد، فهل..؟

عاد عماد في السابعة مساء واجما، حياها بشرود ودخل يبدل ملابسه، ثم خرج وغاب في المطبخ وعاد بفنجان قهوته، يحمله بحذر ويخطو به نحو الشرفة.

كانت آية تنتظره في الصالة. قالت من دون أن تنظر إليه:

ـ لماذا فعلتم فيه هذا؟

التفت إليها متسائلا، فأضافت:

ـ طارق هلال!

اهتز فنجان القهوة في يده، وانسكبت قطرات منه على الطبق ليتبدد سطحه السميك الذي لا يشرب عماد القهوة بدونه..

نقل بصره بينها وبين الفنجان، ثم تجاهل كل هذا وواصل طريقه إلى الشرفة.

٣٧#

وقف عماد في مكتبه بالشركة، أمام النافذة المفتوحة، يدخن سيجارة ويحاول الفرار من أفكاره بالشرود في هذا الأفق المكتظ بالمباني الأسمنتية العالية، لكنها لم تكن فكرة جيدة، فليس هذا بمشهد مريح على الإطلاق.

دنت منه هبة، ووقفت بجواره صامتة، وكأنها تتابع معه مشهدا ما.. مدت يدها والتقطت السيجارة من يده، فتركها لها دون أن يلتفت.. سحبت منها نفسا عميقا ونفثته للأعلى. قالت بخفوت، وكأنما تخشى تدنيس الصمت:

ـ كان يجب أن تكون سعيدا.

ـ بماذا؟

ـ نحن نجحنا في النهاية، وليس ذنبنا أن حظه السيء ألقاه في طريقنا.

رمقها بنظرة خاوية وكأنه لا يعي ما تقول، ولم يرد. قالت:

ـ ماذا بك؟ هناك شيء آخر؟

استعاد السيجارة وسحب منها نفسا بدوره، ثم قال بعد تردد:

ـ آية.. عرفت.

ـ كيف؟

ـ لا أعرف.. ربما خمنت..

ـ آه.. وتشاجرت معك؟

ـ تقريبا.

لاذت هبة بالصمت لحظات، وفتحت فمها كأنها ستقول شيئا، ثم عدلت عن رأيها وأطبقته. قال:

ـ قولي.

ـ لا.. كلامي مجروح.

ـ تكلمي، أريد أن أسمعك.

لم تفكر كثيرا، قالت فورا:

ـ ماذا تريد منك؟ أعني، هذا غريب، هذا ليس حبا!

ـ ماذا تعنين؟

ـ الحب ليس تعاقدا مشروطا إذا أخل طرف بأحد شروطه سقط الحب.. الحب أن يكون حبيبك معك، لا ضدك.

ـ هي ليست ضدي، هي تريدني أن أصير أفضل، وأنا أريد هذا لنفسي كذلك.

ـ كلنا نريد أن نتغير للأفضل، لكن الحب لا يتوقف على ذلك. ما الحب في هذا؟ المرأة تحب الرجل كما هو برغم عيوبه، وربما تحبه بعيوبه.. بمشاكله. أما أن ترسم في خيالها نسخة معدلة منه منزوعة العيوب، ثم تشترط عليه الالتزام بها، فهي لا تحبه. المرأة التي تفعل هذا تشعر أن الرجل ليس جديرا بها.. تشعر أنها رضيت به على مضض، وأنه يجب أن يتغير حتى يليق بها.

ـ أنا لست جديرا بها؟

ـ لا، أنا لا أقول هذا، بالعكس، أنت جدير بـ...

قاطعها:

ـ أنا نفسي أردت هذا التغيير.

ـ ولم تستطع.. حتى الآن على الأقل. الواقع أجبرك على ذلك. إن كانت تحبك ستتفهم هذا وستقف معك.. لن تجبرك على إخفاء حقيقة عملك عنها.

ـ ربما، لكنني لا ألومها.. أنا لم أكن صريحا معها من البداية.

ـ والآن؟

ـ الآن هي غاضبة فعلا.. ليس مني فقط.. هي غاضبة مما حدث لطارق.

ـ وما شأنها هي؟

ـ ضميرها يؤنبها. أرسلت لي رسالة على الواتساب (لا تريد حتى أن تتحدث معي)، تقول إنني يجب أن أكفّر عما فعلته به، وإلا فإنها ستفضح الأمر كله!

ـ تفضح ماذا؟ هل أصابها الجنون؟! ألا تعرف ما قد يحدث لو...

ـ لا يهمها.. فقدت أعصابها تماما.. لهذا أنتظرها حتى تهدأ لأتكلم معها بهدوء.

ـ عماد! هذا خطير! هذه ليست مجرد مشاجرة زوجية، هذا أكبر بكثير..

ـ أعرف، لكن ماذا بيدي أن أفعله؟

ـ تفاهم معها.. لعلها ترضى بالانفصال مقابل أن تنسى كل هذا.

ـ أنا لا أريد الانفصال!

ـ السجن سيعني الانفصال كذلك!

ـ السجن؟!

- طبعا! بعد ما حدث لطارق وريهام قد يصل الأمر إلى السجن.. هذه ليست لعبة!

قال في تجهم:

- نعم.. طارق وريهام.. هذه هي الكارثة.. خطيئتي الكبرى!
- عماد! فيم تفكر بالضبط؟

***

في اليومين التاليين لم تتحدث آية معه تقريبا، كانت تترك له الطعام على السفرة، وتنزوي بعيدا في غرفة النوم أو أمام التليفزيون. ارتاح عماد لهذا الوضع، واعتبره هدنة تبشر بزوال التوتر مع الوقت. لكنه، في اليوم الثالث، تلقى اتصالا من رجب مذكور. اضطربت معدته وتقلص قولونه فور رؤية الاسم.. هذا الغراب لم يكلمه بأخبار تسره قط.

لمس زر الرد، فأتاه صوت رجب الصارم الجاف:

- سيطر على أمورك يا عماد.
- أوامرك يا باشا، لكن.. هل توجد مشكلة؟
- مشاكلك مع زوجتك تبقى بعيدة عن عملنا، لا وقت لدينا للعب العيال هذا، مفهوم؟
- مفهوم يا باشا، لكن.. هل فعلت آية شيئا؟
- وهل كنت تتوقع أنها ستفعل شيئا؟
- لا، أنا أقصد...
- تصرف يا عماد، هذا آخر تحذير.

وأغلق الخط.

ظل عماد متجمدا يحدق في شاشة الهاتف. كيف عرف؟ هل يراقبونني؟

تلفت حوله في قلق، وكأنه يتوقع رؤية كاميرات حوله في مكان ما. هب في هستيريا يفحص إطارات النوافذ.. أركان السقف.. دعامات الستائر.. المصابيح.. الأجهزة.. تحت المقاعد.. لا شيء. هو أصلا لا يدري عم يبحث بالضبط.

الوسائد؟ راح يتحسسها بحثا عن أي شيء صلب بداخلها.. هل يشقها كالمجانين؟

لا.. اهدأ يا عماد، تمالك نفسك وفكر. لا بد أن هناك طريقة ما.. هناك طريقة ما.

***

دلف إلى مكتبه وتبعته هبة كالعادة. قال لها في همس متوتر:

ـ آية هربت! لا أعرف أين هي.

شهقت هبة بفزع وصاحت:

ـ ماذا؟ هربت؟

صاح بها:

ـ اخفضي صوتك. نعم. ولا أعرف ما الذي تنتوي عمله.

ـ مصيبة! هذه مصيبة! ماذا ستفعل؟

ـ لا أعرف. انتظري. سأحضر فنجان قهوة ثم نجلس لنفكر.

عاد عماد بعد دقائق بفنجان قهوته. كانت هبة جالسة تنتظره قابضة على هاتفها. وضع الفنجان بحرص على المكتب، ثم تناول هاتفه ولمس بعض الأزرار، ثم تأفف وألقى به قائلا:

ـ الشبكة اللعينة!

التفت إليها مادا يده قائلا:

ـ هاتي تليفونك يا هبة، أريد عمل مكالمة مهمة.

بدا عليها التردد لحظة، لكنها نظرت للهاتف وكتبت كلمة مرور الفتح، وناولته له. لمس عماد بعض الأزرار ووضع الهاتف على أذنه وبدأ يتحدث:

- ألو، أنا عماد الصاوي...

راح يتمشى وهو يتحدث، ثم خرج من المكتب واتجه للمطبخ وكأنما يبتعد عنها حتى لا تسمعه. هناك في المطبخ توقف عن التظاهر بالتحدث، وراح يفتش في المكالمات الأخيرة والرسائل، ثم في رسائل الواتساب. رفع رأسه فوجدها أمامه.

- ماذا تفعل؟

رفع شاشة الهاتف في مواجهتها، وقال:

- تامر يا هبة؟ تتجسسين عليّ لصالح تامر؟ تخونينني؟

- خطفت الهاتف من يده، وقالت في عناد:

- هذا لا يبرر...

صاح بها مقاطعا:

- ولحساب رجب مدكور؟ كيف؟!

لم يعد الإنكار مجديا.

تراجعت هبة أمام غضبه.. انكمشت في ذعر يقول كل شيء، وسالت دموعها في صمت.

صرخ عماد:

- كيف؟ قولي لي كيف؟

قالت في خفوت:

- تامر يعمل معه سرا.. ورجب نفسه.. هو من كلفه بمراقبتك.

- وأنتِ يا هبة؟ كيف أقنعك بالتجسس عليّ؟ أم..؟ مهلا.. أنتِ جئت هنا لهذا السبب من البداية؟!

صمتها كان اعترافا أقوى من أي اعتراف. ردد في ذهول:

ـ لماذا يا هبة؟ لماذا الخيانة؟

انفجرت فجأة في البكاء وقالت من بين دموعها:

ـ أنت خنتني أولا.. أنا أحببتك وأنت اخترتها هي.. لا ترى غيرها برغم أنها لا تحبك. كلكم هكذا. تلهثون وراء الشكل الجميل مهما ادعيتم احترامكم للعقل أو للمشاعر.. تلهثون وراء العذرية وأنتم فاقدوها.. تبحثون عمن تحمل ملصق الشرف وأنتم لا تتذكرون أصلا كيف كان الشعور بهذا الشيء!

حدق فيها في حيرة.. لا يفهم شيئا..

ـ عمن تتحدثين بالضبط؟ أنت تخلطين بيني وبين شخص آخر.. نحن لم...

ـ لا فرق.. كلكم هكذا.

شهق بعمق، وصاح بها فجأة بكل انفعاله:

ـ كفى يا هبة! كفى! لا أريد أن أعرف شيئا! أنا لم أعد أبالي بك.. لم أعد أبالي بكل عُقدك ومشاكلك التي لا تنتهي..

ـ أنت ترفض أن تسامحني، دائما ترفض وكأنني...

صرخ بأعلى نبرة تستطيعها حنجرته:

ـ قلت كفى!! لم أعد أبالي بكِ أصلا كي أسامحك. أنا نسيتك أصلا.. لماذا عدتِ؟

ـ لأنني أحبك! ما زلت أحبك! أنا تجسست على تامر لصالحك من قبل، هل نسيت؟ وماذا كان جزائي؟ تركتني من أجلها!

ـ وماذا كان جزائي أنا؟ حولتِ الدفة إلى تامر وأبدلتِ الأدوار؟ لماذا؟ لأنك «تحبينني»؟ حقا؟! أهذه هي فكرتك عن الحب؟

قالت وهي تمسح دموعها:

ـ أنت لا تفهم شيئا.

ـ وأنتِ لا تحبين أحدا يا هبة. فاهمة؟ أنت تحبين نفسكِ فقط. لا، أَتعلمين؟ أنت حتى لا تحبين نفسك. من يحب نَفسه لا يبيعها ويتاجر فيها هكذا. اذهبي يا هبة. لا أريد أن أراكِ مرة أخرى.

جاهدت لتتوقف تماما عن البكاء، ثم نهضت واستدارت مبتعدة، فهتف بها قبل أن تبلغ الباب:

ـ انتظري.

توقفت دون أن تلتفت، فأضاف:

ـ لا أريد أن أراك في هذا العالم كله، لا في هذه الشركة ولا في أي مكان آخر، لا معي ولا ضدي.. قدمي لي خدمة وانمحي تماما من حياتي.

رمقته في كراهية. لم ير هذه النظرة في عينيها من قبل قط. قالت ببطء:

ـ جميل أن تطلب من أعدائك أن يتوقفوا عن أن يصيروا كذلك. ليت الحياة بهذه السهولة يا صغيري!

***

مكالمة أخرى من رجب مدكور جاءته بعدها. أليس لديه أسماء أخرى في قائمة جهات الاتصال؟

ـ أين زوجتك يا عماد؟

ـ موجودة. في البيت يا باشا.

ـ زوجتك في قسم الشرطة.

ـ قسم الشرطة؟ لماذا؟

ـ آه.. ليس لديك فكرة أصلا! قدمت بلاغا ضدي تتهمني بالمسئولية عن الاعتداء على طارق هلال!

ـ ياللمجنونة!

استمر صوت رجب هادئا إلى حد الضجر وهو يقول:

ـ مجنونة فعلا. أظن أنها اتهمتك بشيء ما كذلك..

ـ أنا آسف جدا يا باشا..

ـ عماد.. قلت لك ألا وقت عندي لتفاهاتك هذه..

ـ تمام يا باشا.. سأتصرف.

أتاه صوت رجب مدكور وهو يقول في ملل:

ـ ماذا ستفعل؟ أنا غاضب يا عماد. هل عندك حل لهذا؟

ـ سأفعل ما بوسعي يا باشا.

ـ ما بوسعك؟ قد لا يكفي هذا. تخلص منها تماما وأوقف هذه المهزلة. هل تستطيع؟

ـ أتخلص منها؟ كيف؟

ـ هذه مشكلتك. افعلها بنفسك أو فلتترك الأمر لنا.

ـ أفعل ماذا؟

ـ افعل اللازم يا عماد، أقنعها بالعمل معنا، أو اعقد معها صفقة أو تخلص منها تماما.. تصرف. أمامك يوم واحد، وبعدها سنتصرف نحن.

ـ لحظة.. الأمر يحتاج...

تك!

أغلق الخط مرة أخرى.

***

#٣٨

وقوع البلاء أهون من انتظاره. عماد كان يعرف هذا، لكنه أخيرا جربه وتأكد منه بنفسه.

رجب - الوغد - ليس من النوع الذي يغضب فيحزّ الأمر في نفسه ويتجنبك يومين ثم يلقاك بعدهما عابسا.. غضبه هو من النوع المؤذي، المدمر، الذي قد تسيل فيه دماؤك، أو - إن كنت محظوظا - يضيع بسببه مستقبلك فحسب.

آية لم تعد للبيت وهاتفها مغلق، وأبوها لا يعرف شيئا عن مكانها.. لعلها عند واحدة من صديقاتها. المشكلة أنه - رجب الوغد - لن ينتظره حتى يعثر عليها ويتفاهم معها..

والمشكلة الأكبر أنه - رجب الوغد - لم يهدد، ولم يلمّح، ولم يذكر شيئا عن الخطوة التالية. هناك خطوة تالية بالتأكيد. لكن ما هي؟

حاول أن يتصل به، لكنه لا يرد كالعادة.

بحث على الإنترنت. ابتعد عن عشرات الأخبار والمقالات التي ورد فيها اسم رجب مذكور في سياقات رسمية روتينية تخص السياسة أو الاقتصاد، وانتقى المدونات ومنشورات الفيس بوك وتغريدات تويتر، هنا قد تجد بعض الحقائق التي تُعرف ولا تُكتب.. الشائعات والأقاويل التي يتداولها الناس ويتهامسون بها، ولا يجرؤ أحد على التصريح بها على

منصة إعلامية، لأنه لا دليل عليها، ولأنه - طبعا - لا يجرؤ. وجد الكثير من النميمة، قصص اختفاء قديمة، يدعي البعض أنها حالات انتقام ممن غضب عليهم رجب مدكور، منهم محام يقال إن رجب مدكور قتله بنفسه، بيديه العاريتين.. لكن بلا دليل، كل هذه في النهاية مجرد أقاويل.. لا دليل..

لا... دليل؟

تذكر فجأة الوثائق.. وثائق طارق هلال!

فتح صندوق بريده الإلكتروني، وفتح الرسالة التي أرسلها لنفسه، ونقر على زر تحميل المرفقات.. ٢٥٤ ميجا بايت؟ هذا رقم كبير بالنسبة لوثائق!

استغرق التحميل ما يقرب من عشر دقائق، أشعل خلالها سيجارتين. اكتمل التحميل أخيرا. ملف واحد مضغوط بصيغة zip. فك ضغط الملف، وراح يطالع الوثائق. هذا كثير.. كثير. كل هذه الفضائح.. كل هذه الأسماء الكبيرة متورطة في.. في كل هذه المصائب؟ غسيل أموال.. تهرب ضريبي، تجارة آثار وتجارة عملة وتلاعب في البورصة ورشاوى و... يحتاج أسبوعا على الأقل فقط ليقرأ كل هذا، لكن فيما بعد.. عليه أن يركز الآن فقط على رجب مدكور. بدأ يتبع نظاما صارما، يفتح الملف ويلقي نظرة عامة، أو يبحث داخل الملف، فإن وجد اسم رجب مدكور أكمل القراءة ونقل الملف إلى مجلد خاص، وإلا أغلقه وفتح غيره..

في النهاية تكون عنده مجلد معتبر لرجب مدكور فقط.

هذا الرجل سفاح حقيقي، وأخطبوط حقيقي، وحوت حقيقي، وثعلب حقيقي.. هذا رجل جمع الكثير فعلا من صفات المملكة الحيوانية!

قتل وسرقة وتهريب وفساد، وملاحقة قاسية لكل من يعترض طريقه.. هذا رجل لا يمزح أبدا.

ماذا سيفعل رجل كهذا في موقف كهذا؟ هل سيعاقبه؟ هل يمكن أن يتخلص من آية فعلا؟ وأين آية الآن؟ هل هربت عند إحدى صديقاتها فعلا، أم أن رجب هو من..؟

فكر يا عماد!

ماذا تفعل الآن؟

هذه الوثائق قد تكفي للقضاء على رجب مدكور، لكن من يجرؤ على خوض معركة كهذه؟ وكيف؟!

رجب فعلها من قبل واستعاد الوثائق، فهل ستنجح أنت فيما فشل فيه طارق هلال؟

مرة أخرى.. طارق هلال!

هل قررت أخيرا أن تصير مثله؟

مثله في البطولة أم في الغباء؟

هكذا احتلت صورة رجب - الوغد - أفكاره، وحرمته حتى النوم.. ليلة نابغية بامتياز.

راح يرفع رأسه من على الوسادة، ثم يتطلع للساعة كل دقيقة.. الثالثة والنصف صباحا، وهو في السرير منذ منتصف الليل تقريبا. يمضي الوقت أكثر فيتوتر أكثر.. يتوتر أكثر فيبتعد النوم أكثر.. دائرة مفرغة لعينة.

عندما انطلق المنبه في السابعة صباحا كان عماد نائما أو شبه نائم. لا يدري متى غفا، ربما نام ساعة أو بعض ساعة. ينهض مرتاحا لخلاصه من تلك الليلة النابغية، ليواجه يوما نابغيا (إن كان ثمة شيء كهذا).

ارتدى ملابسه على خلفية أفكار ومخاوف مزعجة تطن في رأسه كمستعمرة نحل كاملة، كل نحلة فيها تحمل وجه وملامح رجب - الوغد، كما اتفقنا - وتطن بصوته الخشن «أنا غاضب.. غاضب»!

خرج من البيت متجها لسيارته، فوجد حمدي هناك، ينتظره مرتديا ابتسامته الآلية الباردة.. استقبله قائلا:

ـ أهلا عماد بك. رجب باشا في انتظارك.

من قال إن الألقاب انتهت؟ الألقاب لها احترامها هنا، لأول مرة يلاحظ هذا، بالنسبة لحمدي فرجب مدكور «باشا»، بينما هو مجرد «بك» حقير.

ـ أين؟

قال بالابتسامة السليكون ذاتها:

ـ في أحد مكاتبه.

حمدي يشتري ابتسامته كما تشتري أنت جراب هاتفك المحمول.. يشتري منها كميات بسعر الجملة، ويدخرها للاستخدام وقت الحاجة.

ـ طيب، سأتبعك بسيارتي.

قال حمدي بابتسامته المثبتة بالمسامير:

ـ لا داعي لسيارتك، سأوصلك بسيارتي.

هل ينزعها قبل النوم أم ينام بها؟

ـ أفضل سيارتي، من أجل العودة..

ـ لا تقلق بشأن العودة!

ماذا؟! ما معنى هذا؟

هل يهرب الآن؟

لا طبعا، هذه أسوأ فكرة ممكنة. سيعثرون عليه أينما ذهب.. لا مجال للفرار.

جلس في السيارة إلى جوار حمدي يراقب الطريق في صمت. هو حمار تماما فيما يتعلق بالطرق، ويصير الأمر أسوأ بكثير وسط هذه التجمعات المتشابهة. لا يعرف إلا أن هذه طرق سفر.. غالبا.

قاد حمدي طويلا على طرق سريعة، حتى دخل أخيرا وسط طرق داخلية في منطقة ما. الكثير من البنايات والفيلات الأنيقة والحدائق الغناء، بلا حياة، لا باعة ولا مقاهٍ ولا مارة في الشوارع، ولا حتى قطط أو كلاب ضالة.. لا بد أن هذا هو التجمع التاسع أو شيء من هذا القبيل.

هل يلقي نظرة على خرائط جوجل؟

لا، ليس الآن، فيما بعد عندما يختلي بنفسه، لا يريد أن يعرف حمدي أنه مرعوب. يكفيه أنه مرعوب.

توقف حمدي بالسيارة أمام فيلا محاطة بسور حديدي عالٍ، ينتهي بخوازيق تحيط بها أسلاك شائكة.. لن يندهش لو رأى مدافعَ مضادة للطائرات خلف هذه الأسوار.

خلف السور من الداخل ثمة أشجار ونباتات كثيفة متشابكة تحجب تماما ما بالداخل.

لم كل هذا التعتيم؟ أنتم في كوكب غير مأهول أصلا يا قوم.

ترجلا من السيارة ووقفا أمام البوابة.

ضغط حمدي الجرس، ثم نظر إلى كاميرا أعلى البوابة ليريهم ابتسامته الرائعة، أول لبسة، ما زالت جديدة.

صدر صوت جرس قصير من الباب، وانفتح آليا.

أين رجال الحراسة؟ كل هذا التأمين ولا حراس؟

ظهرت الأجساد الضخمة خلف البوابة التي انفتحت. هذه هي الحراسة إذن.

اجتازا الحديقة الغناء، التي - بالتأكيد - يهب فيها النسيم العليل وتغرد الطيور كما في كتب القراءة، و.. تنبح الوحوش (في علم الأحياء هذه الكائنات تصنف على أنها كلاب، لكن دع علماء الأحياء يرون هذه بأعينهم أولا).. أحصى عماد ستة على الأقل من هذه الوحوش الشرسة

وهي تنبح باتجاهه.. نهرها حمدي من دون أن يتخلى عن ابتسامته، وخطا عماد خلفه محتميا بوجوده منها، بينما تبعهما خرتيتان يرتديان الحلل السوداء.

كانت الفيلا من الداخل فخمة حقا، لكنها خالية تماما. لو دفنوه هنا لما شعر به أحد.

اقتاده حمدي إلى غرفة مكتب شاسعة مترامية الأطراف، وقال:

ـ ستنتظر هنا. رجب باشا على وصول.

ومد يده بكف مبسوطة إلى عماد قائلا:

ـ هاتفك لو سمحت.

ـ لماذا؟

ـ إجراءات أمن.

ـ طيب، ولن دعه لي حتى يصل رجب باشا.. أريد أن أتسلى بشيء..

ـ لا، عندك المكتبة بالداخل، اقرأ ما يحلو لك.

ـ طيب ممكن أنتظره في الخارج؟ في الحديقة أو حتى في الشارع؟

قال حمدي دون أن يخلع الابتسامة:

ـ لا، وهذا ليس اختياريا يا عماد بك. هاتفك لو سمحت.

قال عماد بعناد:

ـ لا، سأحتفظ بهاتفي.

تراجع حمدي خطوة مفسحا المجال للخرتيت الذي تقدم من عماد، ومد يده فقبض على رسغه بقبضة فولاذية لها باع طويل في «الجيم» فيما يبدو، إذ اعتصرت رسغه اعتصارا حتى سقط الهاتف من يده تلقائيا، فتلقاه الخرتيت بيده الأخرى في خفة ورشاقة يحسده عليهما أقرانه من

بني الخرتيت.

تناول منه حمدي الهاتف ببساطة، وخرج من الغرفة مع الخرتيتين، وأغلقوا باب المكتب خلفهم.

للحظات تجمد عماد في مكانه مبهوتا، ثم انتفض فجأة وضرب الباب بكفه هاتفا:

ـ حمدي! حمدي! هل أنا محبوس هنا؟

لم يتلق ردا. الصمت البليغ.

ليس أمامه إلا أن ينتظر.

جلس على الأريكة الجلدية ينتظر ويفكر في أن «وقوع البلاء أهون من انتظاره».

***

ساعة، ساعتان، ثلاثة؟ ربما خمسة؟

لم يعد يدري.. لا ساعة هنا، لا كمبيوتر، لا طعام، ولا حتى ماء يا كفرة؟

حسنا، للدقة هناك ماء، لو احتسبنا الماء الموجود في حوض الأسماك الضخم هذا.. هذا طبعا بفرض أن الماء الذي فيه عذب قابل للشرب، وأنه - عماد - يستطيع الحصول على بعض منه من دون أن تفترسه هذه الأسماك المتوحشة أو تلتهم أصابعه. هذا الرجل مهووس بالأسماك المفترسة حقا. نسخة طبق الأصل كحوض الأسماك إياه الذي رآه في مكتبه الأول.. لماذا لا يرى صندوق الفئران هنا؟.

ثمة نافذة كبيرة، فتحها فانفتحت. أطل منها فوجدها تطل على الحديقة الخلفية، لكن الأرض بعيدة حقا، هذه تصلح للانتحار فقط وليس للهرب.. دعك من أن النجاة من السقوط تعني الوقوع بين أنياب الوحوش القابعة هناك في الأسفل.

على الأقل يعرف منها أن الشمس على وشك الغروب.

هل ينام قليلا؟ يبدو أنه سيمكث هنا أكثر مما كان يحسب.

تفحص المكتب، لا شيء فوقه ذو قيمة. فتح الأدراج، فوجدها محشوة بأوراق دعاية براقة وأجندات خالية. بالتأكيد ليسوا حمقى ليضعوا شيئا ذا قيمة هنا.

الملل يقتل.. والقلق يقلب المعدة، والقولون يتقلص معترضا من تلقاء نفسه.

أين الحمام؟

هذا الباب الصغير، لا بد أنه هو. فتحه.. كان هو. حمدا لله.. هذا نوع من الفضائح ليس من اللطيف أن تتعرض له بعد أن تجاوزت الرابعة من عمرك.

خرج من الحمام، وعاد يواصل تفقّد المكان. المكتبة كانت تحتل جدارا كاملا تقريبا، تمتلئ كلها بمجلدات من النوع الفاخر الذي لا يقرؤه أحد، ويظل جديدا حتى إعادة تدويره أو بيعه بالكيلو لباعة اللب والسوداني. استعرض أسماء الكتب.. أسوأ مجموعة كتب ممكنة، بالنسبة له على الأقل.. لا بد أن هذه إحدى وسائل التعذيب في هذه الزنزانة المبتكرة: «إدارة وتخطيط العلاقات العامة»، «ترشيد قرارات اختيار محفظة الأوراق المالية للمستثمر»، «بقاء الاستقلال الإثيوبي»، «كتاب المؤتمر السنوي السادس»...

ألا أجد لديكم رواية يا قوم؟

الملل يقتل!

تمدد على الأريكة وأغمض عينيه يحاول النوم.

هنا انفتح الباب فجأة ودخل رجب مدكور.

ـ مساء الخير يا عماد!

ما له يقولها ببساطة كأنه صديقه الذي جاء يقابله في الموعد؟

اعتدل عماد على الأريكة، وغمغم بحنق:

ـ والله؟!

ضحك رجب ضحكة عالية، وواصل طريقه مترجرجا إلى حوض الأسماك، ووقف يتطلع إليها في حنان وكأنما يتطلع إلى أرانب وديعة، والتفت إلى أحد الخرتيتين عند الباب قائلا:

ـ الأكل يا سليمان.

لم يستغرق الخرتيت الرشيق أكثر من ثوان ثلاثة ليغيب ثم يعود بطبق كبير ميز عماد عليه ورك ديك رومي كبير.. ورك يقترب حجمه من فخذ خروف صغير. تناوله رجب من الطبق، ومد يده به في الحوض ممسكا بطرفه، ووقف يراقب الأسماك تتعلق فيه بأسنانها في عنف.. تنهش وتمزق. خطر لعماد أن يده لو نزلت سنتيمترات قليلة أخرى فلربما نالت هذه الأسماك وجبة من الأصابع السمينة!

ظل رجب يراقبها هكذا لبعض الوقت، ثم ترك لهم الورك تماما، فراحوا يتجاذبونه فيما بينهم وهو يغطس ببطء. ناوله الخرتيت منشفة، جفف بها يده ثم أعادها له وواصل طريقه مترجرجا حتى وصل سالما إلى كرسي المكتب، فألقى بأطنان جسده عليه، بينما لحق به حمدي الذي وقف في جانب أمام المكتب، ثم الخرتيتان اللذان وقفا على جانبي الباب المفتوح، يحرسانه ليمنعا درفتيه من الهروب فيما يبدو.

قال حمدي بابتسامته المقيتة:

ـ عماد بك غاضب لأننا أخذنا منه الهاتف.. كان يريد أن يتسلى به!

صاح عماد بتوتر:

ـ بل أنا معترض على هذه المعاملة! لماذا أنا مسجون هنا الضبط؟

قال رجب بنعومة كريهة:

ـ مسجون؟ عيب يا رجل، لا تقل هذا. أنا تأخرت عليك فعلا.. لكن اعذرني، كنا نعد لك المفاجأة.

ـ مفاجأة؟

ـ نعم، هدية، خدمة العمر.. سنخلصك من كل مشاكلك!

ـ ما معنى هذا بالضبط؟

أشار رجب إلى حمدي، فغاب هذا الأخير في الخارج لحظات، بينما تراجع رجب في مقعده العملاق، مريحا لغده على صدره، وقال لعماد:

ـ أتعرف هذه الأسماك اللطيفة؟ اسمها «بيرانا». الحصول عليها هنا صعب حقا، فهي تعيش أصلا في أمريكا الجنوبية.. لكنها تستحق الجهد! تعرف؟ بعض الشائعات المغرضة قالت إنني أربي هذه الأسماك لألقي لها بجثث أعدائي، لكن هذا غير صحيح. أنا أحب هذه الأسماك، صدقني، هذا كل ما في الأمر. ثم، انظر بنفسك.. ورك صغير كهذا سيطعم الأربعين سمكة اليوم كله.. أكلتهم خفيفة!

ماذا يقصد بالضبط؟ ورك رومي في يوم.. ترى إذا قسمنا جسد الشخص البالغ إلى قطع بحجم ورك الديك الرومي، فكم قطعة لدينا؟ احسب الناتج موضحا عدد الأيام التي سوف تستغرقها أسماك «البيرانا» في هذا الحوض لالتهام جسدك الخاص، وقيمة التوفير في ميزانية طعام هذه الأسماك خلال هذه الفترة.

لكن.. العظام؟ الأسماك لا تأكل العظام بالتأكيد.. إلا إذا.. هذه الكلاب الشرسة في الحديقة..؟ هل تأكل العظام؟

ارتجف جسد عماد للفكرة..

أتى حمدي في هذه اللحظة يحمل حاسبا لوحيا، وفتح عليه بعض الصور لمنشورات من الفيس بوك، وناوله لعماد.

جرى عماد بعينيه على الكلمات، واحتبست أنفاسه في ذعر. قلّب الصور الواحدة بعد الأخرى، فازداد ذعرا على ذعر، حتى خارت ساقاه وسقط جالسا على المقعد، وغمغم بصوت متحشرج:

ـ آية!

#٣٩

قال له رجب مدكور وهو يتمشى في الغرفة:

ـ أنا متمسك بك ومؤمن بقدراتك يا عماد، لكنها كانت نقطة ضعف لك ولنا.

قالها وهو يتوقف أمام حوض الأسماك ويراقبها وهي تواصل النهش في الورك الكبير في نهم. واصل تأملها للحظات ثم التفت إلى حمدي قائلا:

ـ كانت جائعة حقا! أتتركونها هكذا بلا طعام؟ هل أنتم وحوش؟

خطر لعماد أن يقول له إنه جائع، ولا يمانع في تناول بعض السمك المشوي، لكنه فضل ابتلاع التعليق.. من يدري، لربما - لو نطقها - يبلغ به هوسه بالأسماك أن يطعم الأسماك عمادا مشويا!

التفت إليه رجب من جديد وقال بهدوء:

ـ قررت أن أخدمك وأخلصك منها.. هذا جميل يستحق الشكر، الأولى بك أن تشكرني.

رمقه عماد بنظرة خاوية.. «لن أقول لك في وجهك إنك أحمق، وهذا جميل يستحق الشكر».. يتمنى أن يبصقها في وجهه، لكنه كان أعقل من ذلك، فأسرّها في نفسه.

فجأة انقلبت سحنة رجب مدكور وصرخ فيه بشراسة:

ـ اشكرني!

انتفض عماد في فزع.. لقد جُن الرجل!

تمتم بسرعة:

ـ شكرا!

هدأت سحنته مرة أخرى، واستعاد لهجته الناعمة بسرعة عجيبة وهو يقول:

ـ الخيار يعود لك طبعا في موقف كهذا، عملك وحياتك ومستقبلك، أم زوجتك؟ الخيار صعب، لكنني أثق في ذكائك وأعرف أنك ستختارنا.. ولهذا لم أتردد في مساعدتك والوقوف بجانبك في هذه المرحلة.

عم يتحدث هذا المأفون؟

ـ أعرف أنك كنت ستفضل قيادة فريقك بنفسك في تنفيذ هذه المهمة، فأنت دقيق في عملك وتهتم بكل التفاصيل، أليس كذلك؟

نظر إلى عماد وكأنما ينتظر ردا، فأوما عماد برأسه إيجابا في صمت، فواصل هو:

ـ لكنني أقدّر صعوبة الأمر عليك، فقررت أن أوفر عليك هذا الموقف، ونفذناها نحن بفريقك نفسه.

نهض رجب من على مكتبه وراح يتمشى وكأنما يتدحرج، وقال بصوت شعر عماد أنه يخترق ظهره كالرصاص:

ـ وكما رأيت، فالمهمة تمت على أكمل وجه بدون قيادتك. تستطيع الآن الاطمئنان على كفاءة فريقك.. وهذه، كما تعرف، من أساسيات الإدارة الناجحة، العمل لا يختل أو

يتوقف بغياب أي عضو من الفريق، حتى لو كان المدير شخصيا.

عثر عماد على صوته، فقال بصعوبة:

- هل ستقتلونها؟

ضحك رجب ضحكة عالية طويلة. ما المضحك في هذا؟

- نقتلها؟ ولماذا؟

واقترب من عماد حتى اشتم عماد رائحة فمه الذي لم يعرف فرشاة أسنان منذ فطمته أمه على الأرجح، وقال بصوت كالفحيح:

- أنت معنا يا عماد، واحد منا، وكل هذا لصالحك.. لن نقتلها طبعا. إلا إذا رأيت أنت ضرورة لذلك!

- أنا؟

- طبعا! هكذا تسير الأمور معنا، القرار لك، ونحن سنساندك ما دمت معنا. لكنها، كما رأيت بنفسك، أعلنت بنفسها للجميع على الفيس بوك أنكما انفصلتما بناء على طلبها، وأنها ستهاجر نهائيا مع «الإنسان الذي اختاره قلبها لتكمل معه حياتها»، وأنها لا تريد أي شيء يربطها بحياتها قبل هذه النقطة، أو يربطها بمصر كلها، سترحل ولن تعود مرة أخرى، وحتى حسابها هذا ستغلقه نهائيا.

لم يدر عماد ما يقول. كل هذا كثير.. كثير.

هذا الشعور، عندما تعجز بلاغتك عن إسعافك بالكلمات، فلا تجد في اللغة ما يعبر عنك إلا سيول الشتائم البذيئة، الشتائم التي لم تتلفظ بها ولم تتخيلها على لسانك من قبل.. الشتائم التي ستكفي واحدة منها غالبا للقضاء على حياتك وحياتها.

وجد نفسه يقول في إشفاق:

ـ لكن.. هذا أشبه بحكم الإعدام.

ـ بالعكس! هذا منتهى الرأفة والتعقل. هي حية وموجود، وخبر اختفائها على الإنترنت أعلنته بنفسها، وهي تقوم الآن بالرد على تعليقات المتشككين والمتسائلين على الفيسبوك.

ـ سيشكون أن حسابها سُرق.

ـ طبعا، لهذا سوف ترد بنفسها بفيديو مسجل.. ستعلن للجميع أنها فعلت كل ذلك بنفسها وبمحض إرادتها.

ـ تحت التهديد طبعا! ما الرأفة في ذلك؟

ـ على الأقل هي اختارت.. لو ماتت الآن أو اختفت تماما فلن تكون هناك شكوك في أنها هربت. فإما أن تهاجر الآن وتنفذ السيناريو المرسوم لها، أو.. أن نخفيها نحن.

ـ أي سيناريو؟ تهرب مع شخص ما؟

ـ لا طبعا.. هذا هو المعلن. هل تعرف برنامج حماية الشهود في أمريكا؟ نحن أعددنا لها شيئا كهذا.. في نيجيريا!

ـ نيجيريا؟

ـ هناك ينتظرها اسم جديد وعمل وسكن، وهناك ستكون وسط أصدقاء لنا وتحت عيوننا وحمايتنا.

ـ في نيجيريا؟ لنا أصدقاء هناك؟

ـ ليس نيجيريا فقط.. أي مكان ينفذون فيه طلباتنا مقابل الثمن المناسب.

ـ لكن.. لماذا؟

ـ لأننا نحتاج إليك! أنت قطعت مسافة كبيرة معنا.. صرت منا.. اطّلعت على أسرار لي ولمن هم أكبر مني.. هذا لا يعني أن

كل ذلك لم يكن بعلمنا، لكن.. هذا خطير.. ومن يصل إلى هذه المرحلة، يضع نفسه أمام مفترق طرق: إما أن يصبح معنا للأبد، أو ينتهي تماما وينتهي معه خطره.. للأبد أيضا.

- أنا معكم، ومن البداية كنت معكم.
- صحيح، لكن هناك قواعد وشروط تسري علينا جميعا. هذا نظام أكبر مني ومنك يا عماد.. عملك معنا يجب أن يكون أهم من أي شيء آخر في حياتك، يجب أن تختار أن تكون واحدا منا بمحض إرادتك!

ما هذا الكلام؟ لماذا يتكلم كمصاصي الدماء هكذا؟ من هم بالضبط؟ المجانين؟

- ما زلت لا أفهم.. لماذا؟ كنت أعمل معكم بإخلاص على كل حال..
- لا أحد يعمل معنا من دون ملف تأميني.

ملف تأميني؟ هل سيتحدث عن المعاشات الآن؟ هل أنشأوا نقابة لمصاصي الدماء أخيرا؟

- .. ضمانات للولاء.. نقطة ضعف.. زر طوارئ لوقت الحاجة.
- لكن، إن كنتم لا تثقون بي فلماذا تقبلون بي معكم أصلا؟
- أنا أثق بك، لكنني لا أثق في الضعف البشري، ولا أثق في الضمير الأحمق الذي قد يستيقظ فجأة.

ورفع سبابته في وجه عماد، قائلا في لهجة تنظيرية تليق بمدرس فلسفة:

- حتى لو وثقتَ في شخص، فلا تثق في الزمن أبدا يا عماد. أي شخص قد يتغير أو يُجن أو يتعرض لضغوط.. أو إغراءات.. لا تترك فرصة لهذه الاحتمالات، تذكر هذا جيدا، ستحتاجه حتما عندما يأتي دورك لتضم أنت أجيالا جديدة بيننا!

صمت عماد طويلا، ثم زفر قائلا:

ـ أين آية؟

ـ هنا.

ـ هنا؟

قال رجب ببساطة:

ـ نعم، هنا، في غرفة بالأعلى.. اذهب وتحدث إليها.

نهض عماد في لهفة واتجه للباب، فأوقفه رجب قائلا:

ـ عماد.

استدار عماد، فأضاف رجب ببطء:

ـ معنا سيكون أمامك مستقبل كبير، سلطة وأموال ونفوذ.. وحماية.. لكننا لسنا أغبياء.

ـ أعرف.

ـ لو فكرَتْ أن تغير رأيها وتتكلم فيما بعد فلن نتركها.. نستطيع أن نمحو ونكذّب ونشوّش.. ونستطيع أن نتعقبها ونمحوها هي محوا. الخطة الحالية أقل تكلفة لنا، لا تدعها تجبرنا على رفع تكلفة صمتها. أجور المحترفين في الخارج باهظة، وهي ـ بالتأكيد ـ لا ترضى لنا بالخسارة!

قال عماد باقتضاب:

ـ سأقنعها.

أشار رجب إلى حمدي، وقال بلهجة آمرة:

ـ خذه عندها يا حمدي، واتركهما معا.

قاده حمدي إلى غرفة بالدور الثاني، وتركه يدخل، ثم أغلق الباب ووقف ينتظره بالخارج.

خرج عماد بعد دقائق، فصحبه حمدي إلى مكتب رجب مدكور مرة أخرى.

وقف عماد أمام رجب وشد قامته وقال بوجه جامد:

ـ آية موافقة، ومستعدة للسفر.

٤٠#

بهذه البساطة تنقلب الحياة تماما. بهذه البساطة تتغير المصائر، تنتهي حياة زوجية، وتنتقل زوجتك إلى أحراش أفريقيا بينما تنتقل أنت إلى أحراش الكومبوندات الأسمنتية. هكذا بمثل بساطة التلفظ بكلمة.

ويسألونك عن أسرار النجاح السبعة أو العشرة أو التسعة عشر، قل لهم إن النجاح ليس بالاجتهاد أو بالإرادة أو بالعزيمة أو بالكلام الفارغ.. النجاح يأتي بقرار من «فوق».

هذا هو النجاح يا عماد، هكذا تقول معايير السوق العالمية، وإن لم تختره بنفسك فلترض به لأنه لا فكاك لك منه.

قال له رجب باشا:

ـ دورك معنا سيختلف من الآن. سيتم تصعيدك.

ـ لا أريد الدخول في أحزاب.

ـ لن نؤسس حزبا، لا نريد أحزابا أو تيارات.. ستكون معنا هكذا، كما نحن.

ـ ومن «نحن»؟

ـ نحن تروس الآلة.. حجارة البناء الكبير الذي نعيش فيه جميعا. نحن قلبه ومحركه.. نحن وقوده.

ـ وماذا لو تغير النظام؟

ـ النظام لا يتغير يا عماد.. الحجارة تتغير والتروس تتغير، لكن النظام كما هو منذ بنينا هذه الأهرامات.

هذا الرجل مخبول فعلا، يتحدث كأنه كان أحد كهنة خوفو..

ـ إذن فنحن قد نتغير؟

ـ طبعا، لكنك ستتعلم كيف تلتزم بقواعد اللعبة وتحافظ على مكانك في البناء.

الكاهن الأعظم القادم من قلب غرفة التحنيط يبوح لك بسر الخلود.

ـ ماذا سأفعل؟

ـ ستصبح واحدا من رجالنا ونجومنا في العمل العام.

ـ العمل العام؟ أنا لا أفهم في السياسة!

ـ ومن يفهم؟! لديك ما تحتاج إليه بالضبط، لا تقلق. عندما ظهرتَ في التليفزيون وكانوا يسألونك عن أمور لا تعرفها.. ماذا فعلت؟

ـ تصرفت.. قلت كلاما عاما.. أي كلام يوحي بالفهم.

ـ هذا ما نريده بالضبط.. هذه هي السياسة!

أين المفر؟! كيف تقنعه بأنك حمار لا تصلح لهذا؟

ـ لكن.. لماذا أنا؟ أعني.. كنت أظن أن سعادتك من ستتجه للسياسة.

ـ أتجه؟! السياسة كانت دائما جزءا من عملي! ثم إنك لست بديلا لي..أنت واحد من كثيرين، وكلهم سيفعلون مثلك ويملأون الساحة.

ـ لا أعرف.. أشعر أن كل هذا.. أكبر مني.

ـ سنوجّهك.. لا تخف.

- سعادتك قلت لي من قبل إن السياسة خطرة، ويجب أن نحافظ على مسافة بعيدا عنها.. وإلا أغرقتنا.
- كان زمان! الزمن تغير الآن، ووسط كل هذه التغيرات التي تعصف بالجميع، إن لم تتحرك فورا ستدهسك الأقدام ولن تجد لك مكانا في العصر القادم.
- والنظام الذي لا يتغير؟
- كما هو، لكنهم الآن يغيرون الحجارة والتروس.. هذا وقت الإحلال والغربلة.. لعبة الكراسي الموسيقية، الجميع يرقصون الآن.. السياسة الآن في الشارع والبيت والمسجد والكنيسة والجامعة.. في الفن والرياضة وعلى المقاهي.. هذا ليس خيارا.. سنعود إلى مقاعدنا عندما تنتهي الرقصة.

صاح عماد:

- هذه انتهازية!

متسرع! أدرك هذا بعد أن سمع نفسه يقولها، لكن رجب لم يعترض، رفع سبابته الفلسفية وقال ببساطة:

- نعم، هذا نحن، نحن أهل الفلوس والمصالح، ننتهز فرص النجاح والسيطرة.. نحن الانتهازيون الأحياء، لو نجحنا في الحفاظ على أماكننا، وإلا فسينزحوننا إلى مقابر الضعفاء والفشلة وأصحاب المبادئ البالية.. والإقامة هناك مجانية.

طنين مزعج يتصاعد في رأس عماد. أفكار تتزاحم وتتصارع. يشعر بأنه ينجرف معهم ولا مجال للتملص.. ما الذي ألقى به وسط كل هذا؟

- هل.. متى.. ماذا أفعل بالضبط؟

ضحك رجب، وقال:

- لا ترتبك. ستعتاد على كل هذا. لا تفعل شيئا الآن، استرح في شقتك الجديدة في الكومباوند، وخذ وقتك لتهضم كل هذا، أو سافر.. استرخ وهدئ أعصابك.
- وبعد ذلك؟
- بعد أسبوع سنبدأ العمل.
- والشركة؟
- انس أمرها.. ربما يستعينون بك في استشارات فنية من وقت لآخر، لكننا سنحتاج إليك في أمور أهم.
- إذن ما العمل الذي..؟
- العمل العام يا عماد.. ستبدأ من الغد كتابة مقالات في صحف مختلفة، وستشارك في برامج حوارية ولقاءات على الفضائيات، وبعدها سنرى.. ربما تسلك طريق الأعمال الخيرية أولا، أو تبدأ الترشح للبرلمان!

ما فيلم الرعب هذا؟ من يحسبونك بالضبط؟ هل نسي هذا العجوز من أنت؟

- باشا.. أنا لست كاتبا ولا أجيد كتابة المقالات.

ضحك رجب مدكور عاليا وقال:

- ومن يجيد؟! ألم تكتب منشورات على الفيس بوك من قبل؟
- نعم، لكن هذه..
- اكتبها بالفصحى تصير مقالات!
- لكن.. ماذا أقول؟ عن ماذا أكتب؟
- لا تقلق يا بني، مقالاتك جاهزة وستُنشر باسمك من الغد!
- أنا؟ لكن كيف؟ وعندما يسألونني عنها في التليفزيون؟
- اقرأها وتكلم عنها!

ـ سيناقشونني فيها، وهي ليست أفكاري..

ـ هي أفكارنا، وإذن فهي أفكارك. أليس كذلك؟

يعاوده الطنين.. الصداع، زغللة العين.. أهذه أعراض التورط؟

متى ينتهي كل هذا؟ متى ينام؟ جفونه تتثاقل..

ـ أنت متعب!

ـ جدا!

ـ انهض.. اذهب لبيتك.

ـ وآية؟

ـ اذهب يا عماد.

نهض متثاقلا.. تعوقه الأفكار المتزاحمة حتى تكاد تعرقله وتسقطه أرضا.

ماذا عن الوثائق؟ هل هي المخرج من كل هذا؟ هل يسربها ويفضحهم؟ لكن كيف؟

كيف يفعلها من دون أن يؤذوه أو يؤذوها؟

ـ عماد!

التفت متسائلا، فأضاف رجب:

ـ تذكر.. أنا لست الكبير! أنا مجرد درجة أخرى أعلى منك، وما زال الهرم فوقنا عاليا.. والآن أنت تحت المنظار.. مشكلتك لم تعد أنا فقط، بل كل من هم أعلى منا في الهرم.. فاهم؟

لماذا قال هذا الآن؟ هل يسمع أفكارك؟ لماذا يصر على مضاعفة الطنين في عقلك؟

قال عماد باقتضاب:

ـ فاهم يا باشا.

#٤١

@هبة حسن:

تركتهم ينفونها بهذه البساطة؟ لم تحاول حتى الدفاع عنها؟

@عماد الصاوي:

كيف عرفتِ؟

@هبة حسن:

أهذه هي فكرتك عن الحب؟ أهذا هو الحب الحقيقي الذي تتحدث عنه؟ أليست هذه خيانة لها؟

@عماد الصاوي:

لم أخنها! ليس لي يد فيما حدث.

@هبة حسن:

آه! هذا إذن ما تحاول إقناع نفسك به؟

@عماد الصاوي:

هذه هي الحقيقة!

@هبة حسن:

بل هذا هو النفاق! أن تغير تعريفك للخيانة عندما ينطبق عليك!

@عماد الصاوي:

كيف عرفتِ؟

@هبة حسن:

أهذا كل ما يهمك؟

عرفت من تامر.

@عماد الصاوي:

وكيف عرف تامر؟

@هبة حسن:

ياه! انت آخر من يعلم فيما يبدو!

@عماد الصاوي:

أعلم ماذا؟!

@هبة حسن:

من تولى مكانك في قيادة الشبكة؟

@عماد الصاوي:

حمدي.

@هبة حسن:

بل تامر!

@عماد الصاوي:

لا طبعا.. تامر يعمل مع كمال وحامد.. خصوم رجب..

@هبة حسن:

الخصومة لا تدوم.. المصالح المشتركة أعادتهم للتحالف، وكنت أنت أول ثمار الصلح!

@عماد الصاوي:

هذا كذب!

@هبة حسن:

لماذا تتعجب؟ أنت تعرف أن مصالحنا تنسينا خصوماتنا. أنت مثلا تتكلم معي الآن بهذه البساطة لمجرد أن تعرف ما لديّ، بعد أن قلت لي إنك لا تريد أن تراني مرة أخرى في أي مكان وإلى الأبد و... و...

@عماد الصاوي:

أنتِ محقة!

@هبة حسن:

ماذا تعني؟

@عماد الصاوي:

ما كان يجب أن أتحدث معك من البداية.

@هبة حسن:

...

***

لا يعرف عماد كيف وصل إلى الشركة بهذه السرعة. كيف قاد سيارته بهذا التهور وبرغم هذا وصل سالما. لم يفكر إن كان لا يزال مسموحا له بالدخول إلى الشركة أم لا، لكنه اقتحم المكان من دون استئذان.. ويبدو أن الموظفين ورجال الأمن لم يفكروا في ذلك أيضا، فلم يعترضه أحد، وإن توقف كل من رآه مرتبكا مترددا، وعماد يتجاوزهم إلى الداخل، ثم يهرع إلى أعلى كرصاصة لا تتوقف.. فقط تخترق.

وصل إلى المكتب الذي كان يوما مكتبه واقتحمه وتوقف هناك لاهثا أمام تامر الجالس خلف مكتبه. الآن وقد وصل لا يدري ماذا يفعل؟ ماذا يريد؟ لماذا جاء إلى هنا؟

ابتسم تامر ابتسامة واسعة فور رؤيته، وأشار لرجل أمن جاء مرتبكا خلف عماد بأن ينصرف، فأغلق الباب وعاد أدراجه، بينما أشار تامر إلى المقعد وقال لعماد في ود عسير الهضم:

- اجلس يا صديقي.

لم تفارق عماد تقطيبة الغضب لكنه جلس.

- فيك الخير والله! جئت لتبارك لي؟

استجمع عماد أفكاره، ووجد شيئا ليقوله أخيرا:

- لماذا فعلت هذا بآية؟
- أنا؟ رجب مدكور هو الذي فعل. هل تريد رقمه؟
- أنت الذي نفذت!
- حقا؟! إذن أخبرني، لماذا فعلت ما فعلت بطارق هلال؟
- أنا لم...
- لم ماذا؟ كنت تنفذ الأوامر.. أليس كذلك؟ ما الفرق؟
- ما كنت لأفعل هذا بك!

ضحك تامر في سخرية، وقال:

- حقا؟ ولماذا يا ترى؟ من أجل العشرة والعيش والملح والحمص؟
- ربما.. ألا يعني هذا لك شيئا؟
- أما زلت تسأل؟ ألم تعرف بعد؟
- لماذا تكرهني؟
- أنا لا أكرهك.. أنت أقل من أن أكرهك.. أقل مني وستظل هكذا دائما.. منذ كنت تلبس في العيد ما ألقيه أنا في الزبالة، ومنذ كانت أمك نفسها...

لم يتركه عماد ليكمل، كل غضبه تصاعد وتجمع حتى وجد له منفذا فجأة في قبضته، فهوى بها على وجه تامر بكل قوته، ليسقط هو ومقعده الفخم أرضا.

نهض تامر غاضبا والدم يسيل من أنفه. الغضب صبغ وجهه باللون الأحمر حتى بدا كشيطان رجيم.. لم يره عماد غاضبا هكذا في حياته.. اقترب من عماد في بطء.. منذ متى كان بهذه الضخامة؟ هوى عماد على وجهه بلكمة أخرى، فتلقاها تامر في كفه ببساطة، ثم قبض على شعر عماد بأصابع حديدية، وهوى بقبضته الأخرى على فك عماد بلكمة ارتجّ له مخه، ثم أتبعه بلكمات أخرى، على أنفه ثم على فكه.. ثم ترك شعره فسقط أرضا، وكأنما كان يحمله منه.

نهض عماد يغالب شعورًا بأنه قد فقد نصف حواسه، الدم يسيل من أنفه وفمه بغزارة، والصداع يعصف برأسه إثر الزلزال الذي أصاب جمجمته، والدموع تسيل من عينيه بلا سبب واضح، محيلةً الرؤية إلى مشهد ضبابي متداخل التفاصيل. حاول التركيز على أي شيء أمامه، هذا الشيء على المكتب حاسب محمول بالتأكيد، لولا أنه يبدو كبقعة سوداء هلامية.. عندما تخونك عيناك وتعجز عدساتها عن العثور على بُعدها البؤري هكذا تبدو لك الأمور.. لكنه برغم كل هذا ميز صوت تامر الهادئ، الذي عدل هندامه وجلس ببساطة قائلا:

- اهدأ يا أحمق! أنا لست ضدك.. لست في صفك، لكنني لست ضدك. لست بهذه السذاجة حتى أحاربك وأنت في معسكر رجب مدكور.. نحن في المعسكر نفسه الآن. أنا ضمنت مكاني في لعبة الكراسي الموسيقية، أما أنت..

زالت الدموع وبدأ عماد يميز ما أمامه.. الحاسب المحمول يتضح ويكتسب شكلا هندسيا بحواف حادة واضحة.. البعد البؤري يعود. يميز ما تسمعه أذناه.. هذا كابوس بالتأكيد.. كابوس يخبره تامر فيه بمستقبله

ومصيره كما حددوه له:

- ... أنت ستقضي على نفسك بنفسك.. سيلمّعونك ويصنعون منك نجما وستصير في وجه المدفع.. ستكون أول من يحترق.. ما هي إلا المرحلة الانتقالية، وتنتهي الموسيقى ويتخلصون منك.. هذا إن لم تقض أنت على نفسك أولا بغبائك هذا..

استمع إليه عماد بعينين جاحظتين وهو عاجز عن الكلام. كل هذا صحيح.. منطقي.. هذا ما سيحدث بالضبط..

وهو؟ كالعادة هو الأحمق الذي يجيد فقط التعامل من خلال الشاشات.. هناك فقط تبدو الأمور واضحة له، أما هنا فهو ينكشف ويخسر ويبدو على حقيقته.. معقد منطوٍ غريب الأطوار لا يفهم الألاعيب ولا يقدر على رد السخرية.

عاجزا ضعيفا يقف من جديد أمام تامر الذي انتهى من خطبته القصيرة، ومسح أنفه الدامي وعدل من هندامه ثم أشار له بسبابته إلى الخارج وقال آمرا:

- والآن، ارحل.

قبل أن يدرك كان يتناول الحاسب المحمول من على المكتب ويهوي به على رأس تامر بكل قوته. هوى تامر أرضا بلا حراك والدماء تسيل من رأسه ببطء، ترسم بقعة لزجة على الأرض، تتسع في أشكال دائرية عشوائية..

هل مات؟

انحنى عماد بجانبه يفحص نبضه.. كان حيا.

***

منشور على فيس بوك:

«@رنا خليل:

القصة كلها مثيرة للشك. آية سعيد تعلن بنفسها على حسابها أنها ستهاجر وأنها انفصلت عن زوجها بإرادتها، بل وتعلن عن وجود علاقة بينها وبين «إنسان» اختارته وستهرب معه. هل هي بهذا الغباء؟

هذا إعلان كفيل بتدمير أية فرصة للتعاطف معها.. كان بإمكانها أن تترك الأمور مفتوحة، تغلق حسابها وترحل في صمت.

قد يبدو ما حدث قابلا للتصديق، لكن معارفها وأصدقاءها كتبوا على الفيس بوك أنها لم تكن على علاقة بأي شخص غير زوجها، وبأنها ليست من هذا النوع..

آية لم يكن لديها دافع لفعل كل هذا.

خلافات مع زوجها؟ هناك الطلاق، لكن لماذا ما الهدف من قطع العلاقات مع كل معارفها؟ لماذا الهجرة؟ لماذا الهروب بهذه الطريقة؟

مَن له مصلحة في كل هذا؟

زوج آية هو عماد الصاوي، مدير شركة دعاية وإعلان ضخمة تتولى التسويق لمجموعة شركات رجب مذكور الملياردير المعروف وحوت الاقتصاد المرعب. هل حدث خلاف كبير بين الزوجين؟

ولو حدث هذا هل يستغل زوجها علاقاته واتصالاته مع رجال الأعمال وأصحاب النفوذ لينتقم منها فيحاول «مسحها من الوجود» بهذه الطريقة؟

ربما، لكن المؤكد أن هذه لعبة مكشوفة تماما، وحتى الفيديو الذي نشرته آية، على الأرجح كان تحت التهديد.

آية قد تكون مختطفة وقد تكون معرضة للقتل.. أو قتلت أصلا.

#أنقذوا_آية

#أين_آية؟"

***

منشور على فيس بوك:

«@أحمد يحيى:

لم يكن عندي اهتمام بقصة اختفاء آية أو علاقة عماد الصاوي بها ولا كنت أعرف من هما أصلا حتى أول أمس، عندما تابعت الأخبار كغيري، وقرأت بعض المنشورات ورأيت صور عماد وآية.. واليوم، رأيت بالصدفة عماد الصاوي يغادر البلاد معي في طائرتي المتجهة إلى اليونان. أنا مسافر للسياحة، فهل هو كذلك؟ ولماذا الآن بالذات؟

فكرت أن ألتقط له صورة، لولا أن خشيت أن يراني، لكنني متأكد من أنه هو.

أعتقد أن هروبه في هذا التوقيت بالذات قد يحسم الشكوك حول مسئوليته عن اختفاء آية.

#أين_آية؟»

***

انفراد: عماد الصاوي يهرب من مصر بعد اتهامات بمسئوليته عن اختفاء آية سعيد.

علمت جريدة الساعة أن عماد الصاوي قد غادر البلاد أمس على متن طائرة متجهة إلى اليونان.

وقال شاهد عيان للجريدة إنه شاهد عماد الصاوي معه على متن الطائرة المتجهة إلى اليونان.

وعلق المصدر: أنا ومعظم المصريين الذين كانوا على متن الطائرة سافرنا للسياحة، فهل سافر عماد الصاوي لذلك أيضا؟ ولماذا الآن بالذات؟

***

عماد الصاوي يرد من اليونان: أنا في إجازة ولم أهرب، ولست مسئولا عن اختفاء آية.

تلقت جريدة الساعة اتصالا من السيد عماد الصاوي، نفى فيه ما ورد في الانفراد الذي نشرته الجريدة من قبل حول هروبه من البلاد على متن طائرة متجهة إلى اليونان، مؤكدا أنه قد غادر البلاد بالفعل إلى اليونان في إجازة قصيرة، هربا من الضغوط والشائعات التي تلاحقه منذ اختفاء زوجته السابقة آية سعيد، إلا أنه نفى تماما وجود أي علاقة تربطه بما حدث لها.

وكانت آية سعيد قد نشرت على حسابها على الفيس بوك منشورا تعلن فيه أنها انفصلت عن زوجها السيد عماد الصاوي، وأنها ستهاجر بصحبة الإنسان الذي اختاره قلبها، وردت على التعليقات المتشككة بفيديو مسجل أعادت فيه تأكيد ما كتبته بنفسها.

***

منشور على فيس بوك:

@علي صادق:

ناس عجيبة والله!

السيدة قالت بنفسها إنها انفصلت عن زوجها بمحض إرادتها، واعترفت بوجود علاقة بينها وبين شخص آخر ستهرب معه. أليس الاعتراف هو سيد الأدلة حتى في القانون نفسه؟

شككوا في كلامها، فسجلت فيديو بنفسها وأكدت ما قالته في البداية.

ماذا تريدون أكثر من هذا؟ ماذا تفعل لتثبت كلامها؟ تمشي في الشوارع بميكروفون، أم تطوف على الناس في البيوت وتقسم لهم أنها فعلت كل هذا بإرادتها؟

ثم إنها تركت لكم البلد بما فيها، وقالت دعوني وشأني، فماذا نريد منها؟

وماذا نريد من زوجها؟

الرجل يستحق التعاطف معه في أزمته، بدلا من كل هذا الهجوم المسعور عليه بلا دليل. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا».

حالة الاستقطاب التي نعيشها هذه، والمصالح والأجندات الخاصة للبعض لا يجب أن تصل إلى حد الطعن في سمعة الشرفاء من أمثال عماد الصاوي أو رجب مدكور بلا دليل واضح.

#اتقوا_الله

#٤٢

منشور على موقع فيس بوك:

@نهال صبري:

هذا هو فيديو آية الأخير، شاهدوه وحملوه عندكم قبل الحذف، وأعيدوا رفعه ونشره مرة أخرى إن حُذف من عندي (أنا حملته من حساب عماد الصاوي، ورفعته بعد إغلاق حسابه).

شاركوا الفيديو وانشروا الحقيقة.

#أين_آية؟

الفيديو المرفق مع المنشور:

تظهر آية جالسة أمام الكاميرا، وراءها خلفية زرقاء مصمتة، **لا** تدل على مكان التسجيل.

تنحنحت آية وقالت وهي تنظر للكاميرا:

- مساء الخير عليكم. طبعا أنا تابعت الضجة الكبيرة التي حدثت بعد اختفائي، وبعد الفيديو الأول لي، وطبعا التكهنات والتوقعات والتفسيرات حول حقيقة ما حصل، والناس سألوا:

هل كنت واقعة تحت التهديد؟ هل ما حصل كان له علاقة بزوجي عماد الصاوي، أو رجل الأعمال رجب مدكور؟ أنا هنا الآن لأوضح الحقيقة بالكامل. أولا: نعم، كل ما قلته كان تحت التهديد من رجب مدكور ورجاله.. أجبروني على قول كل ما قلته في الفيديو الأول وأملوا عليّ ما أقوله بالضبط، وثانيا: الموضوع فعلا له علاقة بزوجي عماد الصاوي، وكما قلت برجب مدكور، لكن باستثناء واحد، وهو أن عماد لم يتآمر ضدي.. بالعكس.. هو معي ليدافع عني ويحميني.. أنا وعماد لم ننفصل، لكنني خرجت من مصر، ولن أعود حاليا لأسباب واضحة، لكن ذلك لم يكن بإرادتي.. وعماد هنا ليوضح أكثر.

مدت يدها وأدارت الكاميرا جانبا، فظهر عماد جالسا بجوارها. ابتسم للشاشة وقال ضاحكا:

- أنا أيضا اختفيت معها!

مدت آية رأسها لتظهر أمام الكاميرا، وقالت:

- نحن معا الآن.. وراء الشمس!

ضحك عماد، ثم تنحنح وبدأ يتكلم في جدية وهو ينظر للشاشة:

- رجب مدكور هو من قرر نفي آية خارج البلاد، ليتخلص منها تماما.. وكان هذا على سبيل الرأفة.. كان البديل أن يقتلها، لكنه تركها.. من أجلي! أنا كنت أعمل مع رجب مدكور، ومن قبله مع كمال العسال وحامد العسال.. كنت مسئولا عن الترويج لهم ولأعمالهم على مواقع التواصل الاجتماعي.. هذا عادي طبعا، لكن الأمر لم يكن يقتصر على الدعاية والتسويق الطبيعي. لا أعفي نفسي من المسئولية، وأعترف أن عملنا ببساطة كان التضليل.. تضليلكم والتلاعب بأفكاركم

ومناقشاتكم وبالأخبار التي تقرأونها وما الذي ينتشر منها وما يمر وسط الضجيج من دون أن ينتبه له أحد.. وكل هذا بهدف غرس قناعات معينة في عقولكم، لخدمة مصالحهم وللدفاع عنهم.

ناولته آية حزمة أوراق، فتناولها منها وقلب فيها وهو يقول:

- الصحفي طارق هلال عثر على وثائق مهمة تدين رجب مدكور ومجموعة كبيرة من رجال الأعمال والشخصيات العامة وأصحاب النفوذ والمناصب السابقين والحاليين. نجح رجب مدكور في استعادة أصول هذه الوثائق من طارق هلال، وكلفني عندما كنت أعمل معه بمسح صور الوثائق التي يحتفظ بها على الإيميل.. وفعلنا.. لكني احتفظت بنسخة من الوثائق.. وسأنشرها كاملة. ترون الآن على الشاشة موقعي الإلكتروني الشخصي emadelsawy.com ادخلوا على الموقع الآن.. ستجدون الوثائق كلها عليه، حمّلوا الوثائق واقرأوها، اعرفوا حقائق جرائم رجب مدكور كاملة، احتفظوا بنسخ منها وأعيدوا رفعها قبل أن يخترقوا الموقع ويحذفوها، وهذا سيحدث عاجلا أو آجلا.. شاركوها على هاشتاغ **#عماد_الصاوي**، فهم يستطيعون اختراق المواقع وغلق الصفحات، لكن لا أحد يستطيع منعك من كتابة هاشتاغ. سأرسل الوثائق بنفسي إلى الصحف والمواقع الإخبارية، مع نشر هذا الفيديو.

قرأ شيئا في الأوراق التي أمامه وتابع:

- نعم، أنا - وشبكة السوشيال ميديا معي - مسئولون مسئولية كاملة عن اختراق وتسريب تسجيلات طارق هلال.. التسجيلات التي كادت تودي بحياته.. أنا لن أسامح نفسي

على ما حدث له، ولا أتوقع منه أن يسامحني، لكني أعتذر له، وأحمد الله على سلامته.. وأؤكد مسئولية رجب مدكور الأولى عما حدث، بالتحريض والتمويل.. وأنا مستعد لتحمل المسئولية والخضوع للمحاسبة لو ضمنت محاكمة عادلة للجميع.. و... وماذا أيضا؟

عاد يقلب ويقرأ في الأوراق التي أمامه، ثم ابتلع ريقه بصعوبة وقال:

ـ بالنسبة لشركة الأصدقاء للدعاية الإعلان التي كنت مديرها.. هذه كانت مجرد غطاء لشبكة من الكتائب الإلكترونية، تعمل لصالح رجب مدكور وحلفائه. الدور الأول مخصص للأعمال التقليدية المعلنة، والأدوار العليا كلها عبارة عن مكاتب تضم مجموعات موظفين يعملون في نوبات عمل ٢٤ ساعة على مواقع التواصل الاجتماعي، للتلاعب بكم وتضليل وصناعة الرأي العام لصالحهم. ليست هي الشبكة الوحيدة، كل فريق الآن صار له شبكته وكتائبه.. أنتم ترونهم طوال الوقت وتلاحظون تعليقاتهم ومنشوراتهم المكررة لكنكم تتناسون الأمر وتواصلون حياتكم وكأن الأمر لا يعنيكم. لا أعرف فائدة كلامي هذا، لكن كل ما أملكه الآن هو أن أكشف الحقيقة، وآمل أن يأخذ العدل مجراه يوما بالطرق الطبيعية والقانونية، أو ـ على الأقل ـ نحرمهم من تفوقهم بأن نكشفهم.. المخبر السري الذي يعرفه الجميع لن يظل سريا ولن تعود له فائدة بعدها.. الآن أنتم تعرفونهم.. هم هناك، معكم وحولكم، نصف أصدقائكم على الفيس بوك منهم.. ينشطون أكثر منكم ويخوضون المناقشات بحماس واهتمام فقدتموه أنتم.. ينتشرون في كل الدوائر والمجموعات والصفحات، يصنعون «التريند» ويفتعلون المناقشات ويشوشون على الآراء التي لا توافق مصالحهم..

لا تتركوا لهم عقولكم. أنا كنت معهم وأعرف أساليبهم جيدا. أنا توقفت لكن غيري لم ولن يتوقف. كنت أراقبكم وأتلاعب بكم معهم، كنت أخترق خصوصيتكم وأعبث بأسراركم لصالحهم. أنت تستطيع حماية نفسك.. أنت من تترك نافذتك مفتوحة بإرادتك.

مد يده تناول كوبا وتجرع بعض الماء، ثم تابع:

- كنت مجبرا.. والآن استطعت الفرار منهم.. أنا وزوجتي اخترنا حياتنا معا بعيدا عن كل هذا.. نحن نعرف أن ظهورنا هذا مخاطرة بحياتنا وسلامتنا، لكن هذا كان خيارنا الوحيد.. نحن الآن في بلد آخر، لن نقول ما هو.. نحن هنا بعيدان عن سلطة رجب مدكور وأذرعه وعلاقاته وحلفائه وأعوانه، وكل من سيسعون خلفنا بعد نشر هذا الفيديو. نحن في أمان الآن، لكنهم يستطيعون تتبعنا والوصول إلينا لو أرادوا.. أعني لو أرداوا ذلك حقا لدرجة أن يدفعوا مقابل ذلك.. هكذا يحسبون هذه الأمور، بالجدوى الاقتصادية.. كم سيكلفهم تتبعنا والقضاء علينا، وكم سيكلفهم تجاهلنا وتجاهل الموضوع كله؟ في الغالب سيكلفهم تجاهلنا كثيرا من سمعتهم ونفوذهم وربما أدى إلى سجن بعضهم، لذلك سيسعون خلفنا بكل طاقتهم. أملنا الوحيد أن يزلزل اعترافنا هذا وجودهم ذاته.. أن ينفضح أمرهم ولا يجدوا الفرصة لتعقبنا بعده.. أن ترتبك حساباتهم وتتغير أولوياتهم في هذه المرحلة لتصبح النجاة من تبعات الفضيحة هي الأولوية الوحيدة لديهم. لا تتركوهم يفلتوا.. انشروا الحقيقة ولا تدعوها تموت، فهي التي ستقضي عليهم. هذا كل شيء لديّ الآن.. وأي تحديث أو حقائق جديدة تظهر ستجدونها على موقعي الشخصي نفسه emadelsawy.com، فتابعوني هناك.

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution